ذكر ولاية أبي العبّاس صِقلّية

كان إبراهيم ابن الأمير أحمد أمير إفريقية قد استعمل على صِقلّية أبا مالك أحمد بن عمر بن عبد اللّه، فاستضعفه، فولّى بعده ابنه أبا العبّاس بن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب، فوصل إليها غُرّة شعبان من هذه السنة في مائة وعشرين مركباً وأربعين حربى، وحصر طرابلس.

واتّصل خبره بعسكر المسلمين بمدينة بَلَرْم [وهم] يقاتلون أهل جرجنت، (٥٠٦/٧) فعادوا إلى بَلَرْم، وأرسلوا جماعة من شيوخهم إليه بطاعتهم، واعتذروا من قصدهم جرجنت، ووصل إليه جماعة من أهل جرجنت، وشكوا منهم وأخبروه أنّهم مخالفون عليه، وأنّهم إنّما سيّروا مشايخهم خديعة ومكراً، وأنّهم لا إيمان لهم ولا عهد؛ وإن شئتَ أن تعلم مصداق هذا فاطلب إليك منهم فلاناً وفلاناً.

فأرسل إليهم يطلبهم فامتنعوا من الحضور عنده، وخالفوا عليه، وأظهروا ذلك، فاعتقل الشيوخ الواصلين إليه منهم، واجتمع أهل بَلَرْم وساروا إليه منتصف شعبان، ومقدّمهم مسعود الباجيُّ، وأمير السفهاء منهم ركمونْيه، وصحبهم ثمّ أسطول في البحر نحو ثلاثين قطعة، فهاج البحر على الأسطول، فعطب أكثره، وعاد الباقي إلى بَلَرْم.

وأما العسكر الذين في البرّ فإنّهم وصلوا إليه وهو على طرابلس، فاقتتلوا أشدّ القتال، فقُتل من الفريقَيْن جماعة وافترقوا، ثمّ عاودوا القتال في الثاني والعشرين، فانهزم أهل بَلَرْم وقت العصر، وتبعهم أبو العبّاس إلى بَلَرْم برّاً وبحراً فعاودوا قتاله عاشر رمضان من بُكرة إلى العصر، فانهزم أهل البلد، ووقع القتل فيهم إلى المغرب، واستعمل [أبو] العبّاس على أرباضها، ونُهبت الأموال، وهرب كثير من الرجال والنساء إلى طَبَرْمِين، وهرب ركمونْيه وأمثاله من رجال الحرب إلى بلاد النصرانيّة، كالقُسطَنطينيّة وغيرها، وملك أبو العبّاس المدينة، ودخلها، وأمّن أهلها، وأخذ جماعة من وجوه أهلها فوجّههم إلى أبيه بإفريقية. (٥٠٧/٧)

ثمّ رحل إلى طَبَرْمِين، فقطع كرومها وقاتلهم، ثمّ رحل إلى قَطانية فحصرها، فلم ينلْ منها غرضاً، فرجع إلى المدينة وأقام إلى أن دخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين فتجهّز للغزو، وطاب الزمان، وعمّر الأسطول وسيّره أوّل ربيع الآخر ونزل على دَمَنْش، ونصب عليها المجانيق، وأقام أيّاماً.

ثمّ انصرف إلى مَسيّني، وجاز في الحربية إلى ريّو، وقد اجتمع بها كثير من الروم، فقاتلهم على باب المدينة، وهزمهم، وملك المدينة بالسيف في رجب، وغنم من الذهب والفضّة ما لا يُحدّ، وشحن المراكب بالدقيق والأمتعة، ورجع إلى مَسيّني وهدم سورها، ووجد بها مراكب قد وصلت من القُسطنطينيّة، فأخذ منها ثلاثين مركباً ورجع إلى المدينة، وأقام إلى سنة تسع وثمانين [ومائتين]، فأتاه كتاب أبيه إبراهيم يأمره بالعود إلى إفريقية، فرجع إليها جريدة في خمس قطع شواني، وترك العسكر مع ولدَيه أبي مُضر وأبي معدّ.

فلمّا وصل إلى إفريقية استخلفه أبوه بها، وسار هو إلى صِقلّية مجاهداً، عازماً على الحجّ بعد الجهاد، فوصلها في رجب سنة سبع وثمانين ومائتين، وقد ذكرنا خبره سنة إحدى وستّين ومائتين.(٥٠٨/٧)

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة جمعت طيّ مَنْ قدرتْ عليه من الأعراب، وخرجوا على قفل الحاجّ، فواقعوهم بالمَعْدِن، وقاتلوهم يومَيْن بين الخميس والجُمعة لثلاث بقين من ذي الحجّة، فانهزم العرب وقُتل كثير وسلم الحاجّ.

وفيها مات إسحاق بن أيّوب بن أحمد بن عمر بن الخطّاب العدويُّ، عدّي ربيعة، أمير ديار ربيعة من بلاد الجزيرة، فوُلّيَ مكانه عبد اللّه بن الهيثم ابن عبد اللّه بن المعتمر.

وفيها توفّيت قطر الندى ابنة خُمارويه بن أحمد بن طولون، صاحب مصر، وهي امرأة المعتضد. وحجّ بالناس هذه السنة محمّد بن عبد اللّه بن داود.

وفيها استعمل المعتضد عيسى النّوشريُّ، وهو أمير أصبهان، على بلاد فارس، وأمره بالمسير إليه.

وفيها توفّي فهد بن أحمد بن فهد الأزديُّ الموصليُّ، وكان من الأعيان؛ وعليُّ بن عبد العزيز البغويُّ، توفّي بمكّة، وهو صاحب أبي عبيد القاسم ابن سلاّم، بالتشديد. (٥٠٩/٧)

سنة ثمان وثمانين ومائتين

في هذه السنة وقع الوباء بأذْرَبِيجان فمات منه خلق كثير إلى أن فقد الناس ما يكفنون به الموتى، وكانوا يتركونهم على الطرق غير مكفّنين ولا مُدَفّنين.

وفيها توفّي محمّد بن أبي الساج بأذربيجان في الوفاء الكثير المذكور، فاجتمع أصحابه، فولّوا ابنه ديوداد، واعتزلهم عمّه يوسف بن أبي الساج مخالفاً لهم، فاجتمع إليه نفر يسير، فأوقع بابن أخيه ديوداد وهو في عسكر أبيه فهزمه، وعرض عليه يوسف المُقام معه فأبى، وسلك طريق الموصل إلى بغداد، وكان ذلك في رمضان.

وفيها، في صفر، دخل ظاهر بن محمّد بن عمرو بن الليث بلاد

فارس في عسكره وأخرجوا عنها عامل الخليفة، فكتب الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني إلى طاهر يذكر له أنّ الخليفة المعتضد قد ولاّه سِجستان، وأنّه سائر إليها، فعاد طاهر لذلك.

وفيها ولّي المعتضد مولاه بدراً فارسَ، وأمره بالشخوص إليها لمّا بلغه أنّ طاهراً تغلّب عليها، فسار إليها في جيش عظيم في جُمادى الآخرة، فلمّا قرب من فارس تنحّى عنها من كان بها من أصحاب طاهر، فدخلها بدر، وجبى خراجها، وعاد طاهر إلى سجستان، كما ذكرناه من مراسلة إسماعيل الساماني إليه بأنّه يريد [أن] يقصد سِجستان. (٥١٠/٧)

وفيها تغلّب بعض العلويّين على صنعاء، فقصده بنو يعفر في جمع كثير، فقاتلوه، فهزموه، نجا هارباً في نحو خمسين فارساً، وأسروا ابناً له، ودخلها بنو يعفر، وخطبوا فيها للمعتضد.

وفيها سيّر الحسين بن عليّ كورة صاحبه نزارَ بن محمّد إلى صائفة الروم، فغزا، وفتح حصوناً كثيرة للروم، وعاد ومعه الأسرى؛ ثمّ إنّ الروم ساروا في البرّ والبحر إلى ناحية كيسوم، فأخذوا من المسلمين أكثر من خمسة عشر ألفاً وعادوا.

وفيها قرب أصحاب أبي سعيد الجنّابيّ من البصرة، فخاف أهلها، وهمّوا بالهرب منهم، فمنعهم من ذلك واليهم.

وفيها، في ذي الحجّة، قُتل وصيف خادم ابن أبي الساج، وصُلبت جثّته ببغداد، وقيل إنّه مات ولم يُقتَل. وحجّ بالناس هذه السنة هارون بن محمّد المكنّى أبا بكر.

وفيها، في ربيع الآخر، توفّي عبيد اللّه بن سليمان الوزير، فعظم موته على المعتضد، وجعل ابنه أبا الحسين القاسم بن عبيد اللّه بعد أبيه في الوزارة.

وفيها توفّي إبراهيم الحربيُّ(؟)، وبشر بن موسى الأسديُّ، وهو من الحفّاظ للحديث.

وفيها، في صفر، توفّي ثابت بن قُرّة بن سنان الصابيُّ الطبيب المشهور، ومُعاذ بن المثنّى. (٥١١/٧)

سنة تسع وثمانين ومائتين

ذكر أخبار القرامطة بالشام

في هذه السنة ظهر بالشام رجل من القرامطة، وجمع جموعاً من الأعراب، وأتى دمشق، وأميرها طُغج بن جُفّ من قِبَل هارون بن خُمارويه بن أحمد بن طولون، وكان بينهما وقعات.

وكان ابتداء حال هذا القُرْمُطيّ أنّ زكرويه بن مهرويه الذي ذكرنا أنّه داعية قُرْمُطَ هذا، لمّا رأى أنّ الجيوش من المعتضد متتابعة إلى من بسواد الكوفة من القرامطة، فإنّ القتل قد أبادهم، سعى في استغواء من قرب من الكوفة من الأعراب: أسد وطيّ وغيرهم، فلم يجبه منهم أحد، فأرسل أولاده إلى كلب بن وَبرة فاستغووهم، فلم يجبهم منهم إلاّ الفخد المعروف ببني العُلَيْص بن ضمضم بن عديّ بن خبّاب ومواليهم خاصّةً، فبايعوا في سنة تسع وثمانين ومائتين، بناحية السّماوة، ابن زكرويه، المسمّى بيحيى، المكنّى أبا القاسم، فلقّبوه الشيخ، وزعم أنّه محمّد بن عبد اللّه بن محمّد بن إسماعيل بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، (٥١٢/٧) وقيل: لم يكن لمحمّد بن إسماعيل ولد اسمه عبد اللّه، وزعم أنّ له بالبلاد مائة ألف تابع، وأنّ ناقته التي يركبها مأمورة، فإذا تتبعوها في مسيرها نُصروا، وأظهر عضداً له ناقصة وذكر آيته، وأتاه جماعة من بني الأصبغ، وسُمّوا الفاطميّين، ودانوا بدينه، فقصدهم شبل غلام المعتضد من ناحية الرُّصافة فاغترّوه فقتلوه، وأحرقوا مسجد الرُّصافة، واعترضوا كلّ قرية اجتازوا بها، حتّى بلغوا ولاية هارون بن خُمارويه التي قوطع عليها طُغج بن جُفّ، فأكثروا القتل بها والإغارة، فقاتلهم طُغج، فهزموه غير مرّة.

ذكر أخبار القرامطة بالعراق

وفيها انتشر القرامطة بسواد الكوفة، فوجّه المعتضد إليهم شبلاً غلام أحمد بن محمّد الطائيّ، وظفر بهم، وأخذ رئيساً لهم يُعرف بأبي الفوارس، فسيّره إلى المعتضد، فأحضره بين يديه وقال له: أخبرني! هل تزعمون أنّ روح اللّه تعالى وأرواح أنبيائه تحلّ في أجسادكم فتعصمكم من الزلل وتوفّقكم لصالح العمل؟ فقال له: يا هذا إن حلّت روح اللّه فينا فما يضرّك؟ وإن حلّت روح إبليس فما ينفعك؟ فلا تسأل عمّا لا يعنيك وسلْ عمّا يخصّك. (٥١٣/٧)

فقال: ما تقول فيما يخصّني؟ قال أقول: إنّ رسول اللّه ﷺ مات وأبوكم العبّاس حيّ، فهل طالب بالخلافة أم هل بايعه أحد من الصحابه على ذلك؟ ثمّ مات أبو بكر فاستخلف عمر، وهو يرى موضع العبّاس، ولم يوصّ إليه، ثمّ مات عمر وجعلها شُورى في ستّة أنفس، ولم يوصّ إليه، ولا أدخله فيهم، فبماذا تستحقّون أنتم الخلافة؟ وقد اتّفق الصحابة على دفع جدّك عنها.

فأمر به المعتضد فعُذّب، وخُلعت عظامه، ثمّ قُطعت يداه ورجلاه، ثمّ قُتل.

ذكر وفاة المعتضد

في هذه السنة، في ربيع الآخر، توفّي المعتضد باللّه أبو العبّاس أحمد بن الموفّق بن المتوكّل ليلة الاثنين لثمان بقين منه، وكان مولده في ذي الحجّة من سنة اثنتين وأربعين ومائتين.

ولمّا اشتدّ مرضه اجتمع القوّاد منهم يونس الخادم، وموشكير وغيرهما، وقالوا للوزير القاسم بن عبيد اللّه ليجدّد البَيعة للمكتفي، وقالوا: إنّا لا نأمن فتنة، فقال : إنّ هذا المال لأمير المؤمنين ولولده من بعده، وأخاف [أن] أطلق المال فيبرأ من علّته فينكر عليّ ذلك.

فقال : إن برىء من مرضه فنحن المحتجّون، والمناظرون، وإن صار الأمر إلى ولده فلا يلومنا، ونحن نطلب الأمر له. (٧/٥١٤)

فأطلق المال، وجدّد عليه البيعة، وأحضر عبد الواحد بن الموفّق وأخذ عليه البيعة فوكّل به وأحضر ابن المعتزّ، ومضى ابن المؤيّد وعبد العزيز بن المعتمد ووكّل بهم.

فلمّا توفّي أحضر يوسف بن يعقوب وأبا حازم وأبا عمر بن يوسف بن يعقوب، فتولّى غسله محمّد بن يوسف، وصلّى عليه الوزير، ودُفن ليلاً في دار محمّد بن طاهر، وجلس الوزير في دار الخلافة للعزاء، وجدّد البيعة للمكتفي.

وكانت أمّ المعتضد، واسمها ضرار، قد توفّيت قبل خلافته، وكانت خلافته سبع سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً؛ وخلّف من الولد الذكور: عليّاً وهو المكتفي، وجعفراً وهو المقتدر، وهارون، ومن البنات إحدى عشرة بنتاً، وقيل سبع عشرة، ولمّا حضرته الوفاة أنشد:

تمتّع من الدنيا فإنّك لا تَبقَى ... وخذْ صفوَها ما إن صَفَتْ ودَع الرنقا
ولا تأمن الدهرَ أنّني قد أمتُّهُ ... فلم يُسقِ لي حالاً ولم يَرْعَ لي حقّا
قتلتُ صناديدَ الرجال ولم أدع ... عدوّاً ولم أُمهلْ على طَغيه خَلْقا
وأخليتُ دارَ الملك من كلّ نازع ... فشرّدتهم غَرباً ومزّقتهم شرقا
فلمّا بلغتُ النّجمَ عِزّاً ورفعةً ... وصارت رقابُ الخلق أجمعَ لي رِقّا

(٧/٥١٥)

رماني الرّدى سهماً فأخمدَ جَمرتي ... فها أنا ذا في حُفرتي عاجلاً أُلقَى
ولم يُغنِ عنّي ما جمعتُ ولم أجد ... لذي المُلك والأحياء في حسنها رفقا
فيا ليتَ شعري بعدَ موتيَ ما ألقى؟ ... إلى نِعَمِ الرحمن أم نارِه أُلقَى

ذكر صفته وسيرته

كان المعتضد أسمر، نحيف الجسم، معتدل الخَلق، قد وخطه الشيب، وكان شهماً، شجاعاً، مقداماً؛ وكان ذا عزم، وكان فيه شحّ؛ بلغه خبر وصيف خادم ابن أبي الساج وعليه قَباء أصفر، فسار من ساعته وظفر بوصيف وعاد، فدخل أنطاكية وعليه القَباء، فقال بعض أهلها :الخليفة بغير سواد؛ فقال بعض أصحابه :إنّه سار فيه، ولم ينزعه عنه إلى الآن وكان عفيفاً.

حكى القاضي إسماعيل بن إسحاق قال : دخلتُ على المعتضد وعلى رأسه أحداث روم صِباح الوجوه، فأطلتُ النظر إليهم، فلمّا قمتُ أمرني بالقعود فجلستُ، فلمّا تفرّق الناس قال :يا قاضيّ، واللّه ما حلّلتُ سراويلي على غير حلال قطّ.

وكان مَهيباً عند أصحابه يتّقون سطوته ويكفّون عن الظلم خوفاً منه. (٧/٥١٦)

ذكر خلافة المكتفي باللّه

ولمّا توفّي المعتضد كتب الوزير إلى أبي محمّد عليّ بن المعتضد، وهو المكتفي باللّه، يُعرّفه بذلك وبأخذ البيعة له، وكان بالرُّقّة، فلمّا وصله الخبر أخذ البيعة على مَنْ عنده من الأجناد، ووضع لهم العطاء وسار إلى بغداد، ووجّه الى النواحي من ديار ربيعة ومضر ونواحي العرب من يحفظها، ودخل بغداد لثمان خلون من جُمادى الأولى، فلمّا سار الى منزله أمر بهدم المطامير التي كان أبوه اتّخذها لأهل الجرائم.

ذكر قتل عمرو بن الليث الصّفّار

وفي هذا اليوم الذي دخل فيه المكتفي بغداد قُتل عمرو بن الليث الصّفّار، ودُفن من الغد.

وكان المعتضد، بعدما امتنع من الكلام، أمر صافياً الخُرميّ بقتل عمرو ابن الليث بالإيماء والإشارة، ووضع يده على رقبته وعلى عينه بأن اذبح الأعور، وكان عمرو أعور، فلم يفعل ذلك صافي لعلمه بقرب وفاة المعتضد، وكره قتل عمرو، فلمّا وصل المكتفي بغداد سأل الوزيرَ عنه، فقال : هو حيّ، فُسر بذلك، وأراد الإحسان إليه لأنّه كان يُكثر من الهدية إليه لمّا كان بالرَّيّ، فكره الوزير ذلك، فبعث إليه مَنْ قتله. (٧/٥١٧)

ذكر استيلاء محمّد بن هارون على الرَّيّ

وفي هذه السنة كاتب أهلُ الرَّيّ محمّدَ بن هارون الذي كان حارب محمّدَ بن زيد العلويّ، وتولّى طَبرستان لإسماعيل بن أحمد، وكان محمّد بن هارون قد خلع طاعة إسماعيل، فسأله أهل الرَّيّ المسير إليهم ليسلّموها إليه.

وكان سبب ذلك أنّ الوالي عليهم كان قد أساء السيرة فيهم، فسار محمّد بن هارون إليهم فحاربه واليها وهو الدتمش التركيُّ، فقتله محمّد وقتل ابنَيْن له وأخا كَيْغَلَغ، وهو من قوّاد الخليفة، ودخل محمّد بن هارون الرَّيَّ، واستولى عليها في رجب.

ذكر قتل بدر

وفيها قُتل بدر غلام المعتضد؛ وكان سبب ذلك أنّ القاسم الوزير كان قد همَّ بنقل الخلافة عن ولد المعتضد بعده، فقال لبدر في ذلك في حياة المعتضد بعد أن استحلفه واستكتمه، فقال بدر : ما كنتُ لأُصرّفها عن ولد مولاي ووليّ نعمتي؛ فلم يمكنه مخالفة

بدر، إذ كان صاحب الجيش، وحقدها على بدر، فلمّا مات المعتضد كان بدر بفارس، فعقد القاسم البَيعة (٥١٨/٧) للمكتفي، وهو بالرَّقّة.

وكان المكتفي أيضاً مباعداً لبدر في حياة أبيه، وعمل القاسم في هلاك بدر خوفاً على نفسه أن يذكر ما كان منه للمكتفي، فوجّه المكتفي محمّد بن كشتمر برسائل إلى القوّاد الذين مع بدر يأمرهم بالمسير إليه ومفارقة بدر، ففارقه جماعة منهم العبّاس بن عمرو الغنويُّ، ومحمّد بن إسحاق بن كنداج، وخاقان المُفلحيُّ وغيرهم، فأحسن إليهم المكتفي، وسار بدر إلى واسط، فوكّل المكتفي بداره، وقبض على أصحابه وقوّاده وحبسهم، وأمر بمحو اسم بدر من التراس والأعلام، وسيّر الحسينَ بن عليّ كورة في جيش إلى واسط.

وأرسل إلى بدر يعرض عليه أيّ النواحي شاء، فأبى ذلك، وقال: لا بدّ لي من المسير إلى باب مولاي؛ فوجد القاسم مساغاً للقول، وخوّف المكتفي غائلته، وبلغ بدراً ما فعل بأهله وأصحابه، وأرسل من يأتيه بولده هلال سرّاً، فعلم الوزير بذلك، فاحتاط عليه، ودعا أبا حازم، قاضي الشرقيّة، وأمره بالمسير إلى بدر، وتطيب نفسه عن المكتفي، وأعطائه الأمان عنه لنفسه وولده وماله، فقال أبو حازم: أحتاج إلى سماع ذلك من أمير المؤمنين؛ فصرّفه ودعا أبا عُمر القاضي، وأمره بمثل ذلك فأجابه، وسار معه كتب الأمان، فسار بدر عن واسط نحو بغداد، فأرسل إليه الوزير مَنْ قتله، فلمّا أيقن بالقتل سأل أن يُمْهَل حتّى يصلّي ركعَتَين، فصلاّهما، ثمّ ضُربت عُنقه يوم الجمعة لستّ خلون من شهر رمضان، ثمّ أُخذ رأسه وتُركتْ جثّته هنالك، فوجّه عياله مَنْ أخذها سرّاً وجعلوها في تابوت، فلمّا كان وقت الحجّ حملوها إلى مكّة فدفنوها بها، وكان أوصى بذلك وأعتق قبل أن يُقْتَل كلّ مملوك كان له.

ورجع أبو عمر إلى داره كئيباً حزيناً لم كان منه، وقال الناس فيه أشعاراً (٥١٩/٧) وتكلّموا فيه، فممّا قيل فيه:

قلْ لقاضي مدينة المَنصورِ ... بِمَ أحلَلْتَ أخذ رأس الأميرِ
عند إعطائهِ المواثيقَ والعهـ ... ـدَ وعقد الأيمان في منشورِ
أين أيمانُك التي شهد اللّـ ... ـهُ على أنّها يمينُ فُجورِ
إنّ كفّيك لا تفارق كفّيـ ... ـه إلى أن تُرى عليلَ السريرِ
يا قليلَ الحياء يا أكذبَ الأمـ ... ـة يا شاهداً شهادة زُورِ
ليس هذا فِعْلَ القُضاةِ ولا يُحـ ... ـسنُ أمثالَهُ وُلاةُ الجُسورِ
أيّ أمرٍ ركبتَ في الجمعة الزّهـ ... ـراءِ منه في خير هذي الشهورِ
قد مضى مَنْ قتلتَ في رمضا ... نَ صائماً بعد سَجدة التعفيرِ
يا بني يوسف بن يعقوب أضحى ... أهل بغداد منكُمُ في غرورِ
بدّد اللّه شملكم وأراني ... دلّكم في حياة هذا الوزيرِ
فأعدّوا الجوابَ للحَكَمِ العَد ... لِ ومن بعد مُنكِرٍ ونَكيرِ
أنتمُ كلّكم فِدًى لأبي حَـ ... ـزمِ المُستقيم كلّ الأمورِ
(٥٢٠/٧)

ذكر ولاية أبي العبّاس عبد اللّه بن إبراهيم إفريقية

قد ذكرنا سنة إحدى وستّين ومائتين أنّ إبراهيم بن أحمد، أمير إفريقية، عهد إلى ولده أبي العبّاس عبد اللّه سنة تسع وثمانين ومائتين، وتوفّي فيها، فلمّا توفّي والده قام بالملك بعده، وكان أديباً، لبيباً شجاعاً، أحد الفرسان المذكورين، مع علمه بالحرب وتصرّفها.

وكان عاقلاً، عالماً، له نظر حسن في الجدل، وفي أيّامه عظم أمر أبي عبد اللّه الشيعيّ فأرسل أخاه الأحول، ولم يكن أحولَ، وإنّما لُقّب بذلك لأنّه كان إذا نظر دائماً ربّما كسر جفنه، فلُقّب بالأحول، إلى قتال أبي عبد اللّه الشيعيّ، فلمّا بلغه حركته خرج إليهم في جموع كثيرة، والتقوا عند كموشة، فقُتل بينهم خلق عظيم وانهزم الأحول، إلاّ أنّه أقام في مقابلة أبي عبد اللّه.

وكان أبو العبّاس أيّامَ أبيه على خوف شديد منه لسوء أخلاقه، واستعمله أبوه على صِقلّية، ففتح فيها مواضع متعدّدة، وقد تقدّم ذكر ذلك أيّامَ والده، ولمّا وُلّيَ أبو العبّاس إفريقية كتب إلى العُمّال كتاباً يُقرأ على العامّة، يعدهم فيه الإحسان، والعدل، والرفق، والجهاد، ففعل ما وعد من نفسه، وأحضر جماعة من العلماء ليُعينوه على أمر الرعيّة.

وله شعر، فمن ذلك قوله بصِقلّية، وقد شرب دواء:

شربتُ الدواء على غُربةٍ ... بعيداً من الأهلِ والمنزلِ
(٥٢١/٧)

وكنتُ إذا ما شربتُ الدوا ... أُطيِّبُ بالمِسكِ والمَندَلِ
وقد صار شربي بحارَ الدما ... ونَقْعَ المَجاجةِ والقَسطلِ

واتّصل بأبي العبّاس عن ولده أبي مُضر زيادة اللّه والي صِقلّية له اعتكافه على اللّه، وإدمانه شرب الخمر، فعزله وولّى محمّدَ بن السَّرَقُوسيّ، وحبس ولده، فلمّا كان ليلة الأربعاء آخر شعبان من سنة تسعين ومائتين قُتل أبو العبّاس، قتله ثلاثة نفر من خدمة الصَّقالبة بوَضْع من ولده، وحملوا رأسه إلى ولده أبي مُضر، وهو في الحبس، فقتل الخدم وصلبهم، وكان هو الذي وضعهم، فكانت إمارته سنة واثنين وخمسين يوماً، وكان سكناه وقتْله، رحمة اللّه، بمدينة تونس.

وكان كثير العدل، أحضر جماعة كثيرة عنده ليعينوه على العدل، ويُعرّفوه من أحوال الناس ما يفعل فيه على سبيل الإنصاف، وأمر الحاكم في بلده أن يقضي عليه، وعلى جميع أهله، وخواصّ أصحابه، ففعل ذلك، ولمّا قُتل وليّ ابنه أبو مُضر، وكان من أمره

ما نذكره سنة ستّ وتسعين ومائتين.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، منتصف رمضان، قُتل عبد الواحد بن الموفّق، وكانت والدته إذا سألت عنه قيل لها إنّه في دار المكتفي، فلمّا مات المكتفي أيست (٥٢٢/٧) منه، فأقامت عليه مأتماً.

وفيها كانت وقعة بين أصحاب إسماعيل بن أحمد وبين ابن جستان الديلميّ بطَبَرِستان، فانهزم ابن جستان.

وفيها لحق إسحاق الفرغانيُّ، وهو من أصحاب بدر، بالباديـة، وأظهر الخلاف على الخليفة المكتفي، فحاربه أبو الأغرّ، فهزمه إسحاق، وقتل من أصحابه جماعة.

وفيها سُيّر خاقان المُفلحيُّ إلى الرَّيّ في جيش كثيف ليتولاّها.

وفيها صلّى الناس العصر بحمص وبغداد في الصيف، ثمّ هبّ هواء من ناحية الشمال، فبرد الوقت، واشتدّ البرد حتّى احتاج الناس إلى النار ولبس الجباب، وجعل البرد يزداد حتّى جمد الماء.

وفيها كانت وقعة بين إسماعيل بن أحمد وبين محمّد بن هارون بالرَّيّ، فانهزم محمّد، ولحق بالدَّيلم مستجيراً بهم، ودخل إسماعيل الرَّيّ.

وفيها زادت دجلة قدر خمسة عشر ذراعاً.

وفيها خلع المكتفي على هلال بن بدر وغيره من أصحاب أبيه في جمادى الأولى.

وفيها هبّت ريح عاصف بالبصرة، فقلعت كثيراً من نخلها، وخُسف بموضع منها هلك فيه ستّة آلاف نفس، وزلزلت بغداد، في رجب، عدّة مرّات، فتضرّع أهلها في الجامع فكشف عنهم.

وفيها مات أبو حمزة بن محمّد بن إبراهيم الصوفيُّ، وهو من أفراد سريّ السقطي.(٥٢٣/٧)

سنة تسعين ومائتين

ذكر أخبار القرامطة

في هذه السنة، في ربيع الآخر، سيّر طُغج بن جُفّ جيشاً من دمشق إلى القُرْمُطي، عليهم غلام له اسمه بشير، فهزمهم القُرمُطيُّ وقتل بشيراً.

وفيها حصر القرمطيُّ دمشق، وضيّق على أهلها، وقتل أصحاب طُغج، ولم يبق منهم إلاّ القليل، وأشرف أهلها على الهلكة، فاجتمع جماعة من أهل بغداد، وأنهوا ذلك إلى الخليفة فوعدهم النجدة، وأمدّ المصريون أهل دمشق ببدر وغيره من القوّاد، فقاتلوا الشيخ مقدّم القرامطة، فقُتل على باب دمشق، رماه بعض المغاربة بمزراق، وزَرَقه نفّاطٌ بالنار فاحترق، وقُتل منهم خلق كثير.

وكان هذا القرمطيُّ يزعم أنّه إذا أشار بيده إلى جهة من التي فيها محاربوه انهزموا، ولما قُتل يحيى المعروف بالشيخ، وقُتل أصحابه، اجتمع من بقي منهم على أخيه الحسين، وسمّى نفسه أحمد، وكناه أبا العبّاس، (٥٢٤/٧) ودعا الناسَ فأجابه أكثر أهل البوادي وغيرهم، فاشتدّت شوكته، وأظهر شامة في وجهه، وزعم أنّها آيته، فسار إلى دمشق، فصالحه أهلها على خراج دفعوه إليه وانصرف عنهم.

ثمّ سار إلى أطراف حمص، فغلب عليها، وخُطب له على منابرها، وتسمّى المهديُّ أمير المؤمنين، وأتاه ابن عمّه عيسى بن المهديّ، المسمّى عبد اللّه بن أحمد بن محمّد بن إسماعيل، فلقّبه المدثّر، وعهد إليه، وزعم أنّه المدثّر الذي في القرآن، ولقّب غلاماً من أهله المطوّق، وقلّده قتل أسرى المسلمين.

ولمّا أطاعه أهل حمص، وفتحوا له بابها خوفاً منه، سار إلى حماة، ومعرّة النُعمان، وغيرهما، فقتل أهلها، وقتل النساء والصبيان، ثمّ سار إلى بعلبكّ فقتل عامّة أهلها، ولم يبق منهم إلاّ اليسير، ثمّ سار إلى سَلَمِيّةَ فمنعه أهلها، ثمّ صالحهم وأعطاهم الأمان، ففتحوا له بابها، فبدأ بمن فيها من بني هاشم، وكانوا جماعة، فقتلهم أجمعين، ثمّ قتل البهائم، والصبيان بالمكاتب، ثمّ خرج منها وليس بها عين تطرف.

وسار فيما حولها من القرى يسبي، ويقتل، ويخيف السبيل، فذُكر عن متطبّب بباب المحوّل يدعى أبا الحسين قال :جاءتني امرأة بعدما أُدخل القُرمُطيّ صاحب الشامة بغداد، وقالت : أريد أن تعالج جرحاً في كتفي؛ فقلت :هاهنا امرأة تعالج النساء، فانتظرتها، فقعدت وهي باكية مكروبة، فسألتها عن قصّتها قالت :كان لي ولد طالت غيبته عنّي، فخرجتُ أطوف عليه البلاد فلم أره، فخرجتُ من الرَّقّة في طلبه، فوقعتُ في عسكر القرمطيّ أطلبه، فرأيته، فشكوت إليه حالي وحال أخوانه، فقال :دعيني من هذا، (٥٢٥/٧) أخبريني ما دينك؟ فقلت : أما تعرف ما ديني ؟ فقال :ما كنّا فيه باطل، والدين ما نحن فيه اليوم؛ فعجبتُ من ذلك، وخرج وتركني، ووجّه بخبز [ولَحْم]، فلم أمسّه حتّى عاد فأصلحه.

وأتاه رجل من أصحابه فسأله عنّي هل أُحسن من أمر النساء شيئاً، فقلت : نعم، فأدخلني داراً، فإذا امرأة تطلق، فقعدتُ بين يديها، وجعلتُ أكلّمها ولا تكلّمني، حتّى ولدت غلاماً، فأصلحتُ من شأنه، وتلطّفتُ بها حتّى كلّمتني، فسألتها عن حالها،

فقالت : أنا امرأة هاشميّة، أخذَنا هؤلاء الأقوام، فذبحوا أبي وأهلي جميعاً، وأخذني صاحبهم، فأقمتُ عنده خمسة أيّام، ثمّ أمر بقتلي، فطلبني منه أربعة أنفس من قوّاده، فوهبني لهم، وكنت معهم، فواللّه ما أدري ممّن هذا الولد منهم.

قالت : فجاء رجل فقالت لي:هنّيه، فهنّيته، فأعطاني سبيكة فضّة؛ وجاء آخر، وآخر، أُهنّي كلّ واحد منهم، ويعطيني سبيكة فضّة، ثمّ جاء الرابع ومعه جماعة، فهنّيته، فأعطاني ألف درهم، وبتنا، فلمّا أصبحنا قلت للمرأة : قد وجب حقّي عليك فاللّه اللّه خلّصيني ! قالت : ممّن أخلّصك ؟ فأخبرتها خبر ابني، فقالت : عليك بالرجل الذي جاء آخر القوم. فأقمتُ يومي، فلمّا أمسيتُ وجاء الرجل قمتُ له، وقبّلتُ يده ورجله، ووعدتُه أنّني أعود بعد أن أوصل ما معي إلى بناتي؛ فدعا قوماً من غلمانه وأمرهم بحملي إلى مكان ذكره، وقال :اتركوها فيه وارجعوا؛ فساروا بي عشرة فراسخ، فلحقنا ابني، فضربني بالسيف فجرحني، ومنعه القوم، (٥٢٦/٧) وساروا بي إلى المكان الذي سمّا لهم صاحبهم، وتركوني وجئت إلى هاهنا.

قالت : ولمّا قدم الأمير بالقرامطة وبالأسارى رأيتُ ابني فيهم على جمل عليه برنس، وهو يبكي، فقلتُ : لا خفّف اللّه عنك ولا خلّصك! ثمّ إنّ كتب أهل الشام ومصر وصلت إلى المكتفي يشكون ما يلقون من القرمطيّ من القتل، والسبي، وتخريب البلاد، فأمر الجند بالتأهّب، وخرج من بغداد في رمضان، وسار إلى الشام وجعل طريقه على الموصل، وقدّم بين يديه أبا الأغرّ في عشرة آلاف رجل، فنزل قريباً من حلب، فكبسهم القرمطيُّ، صاحب الشامة، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وسلم أبو الأغرّ، فدخل حلب في ألف رجل، وكانت هذه الوقعة في رمضان، وسار القرمطيُّ إلى باب حلب، فحاربه أبو الأغرّ بمن بقي معه، وأهل البلد، فرجع عنه.

وسار المكتفي حتّى نزل الرُّقّة، وسيّر الجيوش إليه، وجعل أمرهم إلى محمّد بن سليمان الكاتب.

وفيها، في شوّال، تحارب القرمطيُّ صاحب الشامة وبدر مولى ابن طولون، فانهزم القرمطيُّ وقُتل من أصحابه خلق كثير، ومضى من سلم منهم نحو البادية، فوجّه المكتفي في أثرهم الحسينَ بن حمدان وغيره من القوّاد.

وفيها كبس ابن بانوا أمير البحرين حصناً للقرامطة، فظفر بمن فيه، وواقع قرابة أبي سعيد الجنّابيّ، فهزمه ابن بانوا، وكان مقام هذا القرمطيّ بالقطيف، وهو وليّ عهد أبي سعيد، ثمّ إنّه وُجد بعدما انهزم أصحابه قتيلاً فأُخذ رأسه، وسار ابن بانوا إلى القطيف فافتتحها. (٥٢٧/٧)

ذكر أسر محمّد بن هارون

وفيها أُخذ محمّد بن هارون أسيراً؛ وكان سبب ذلك أنّ المكتفي أنفذ عهداً إلى إسماعيل بن أحمد الساماني بولاية الرَّيّ، فسار إليها، وبها محمّد بن هارون، فسار عنها محمّد إلى قزوين وزَنجان، ثمّ عاد إلى طبرستان، فاستعمل إسماعيل ابن أحمد على جُرجان بارسَ الكبير، وألزمه بإحضار محمّد بن هارون قسراً، أو صلحاً، وكاتبه بارسُ وضمن له إصلاح حاله مع الأمير إسماعيل، فقبل محمّد قوله، وانصرف عن جستان الدَّيلميّ، وقصد بخارى، فلمّا بلغ مَرو قُيد بها، وذلك في شعبان سنة تسعين ومائتين، ثمّ حُمل إلى بخارى فأُدخلها على جمل وحُبس بها فمات بعد شهرين محبوساً.

وكان ابتداء أمره أنّه كان خيّاطاً، ثمّ إنّه جمع جمعاً من الرُّعاع وأهل الفساد، فقطع الطريق بمفازة سَرْخَس مدّة، ثمّ استأمن إلى رافع بن هرثمة، وبقي معه إلى أن انهزم عمرو الصُّفّار، فاستأمن إلى إسماعيل بن أحمد الساماني، صاحب ما وراء النهر، بعد قتل رافع، فسيّره إسماعيل إلى قتال محمّد بن زيد، على ما تقدّم ذكره، وقد ذكره الخوافيُّ في شعره فقال :

كان ابنُ هارونَ خيّاطاً له إبَرٌ ... ورايةٌ سامَها عشراً بقيراطِ

(٥٢٨/٧)

فانسلّ في الأرض يبغي المُلك في زلَلٍ ... ونُوبٍ وأكرادٍ وأنباطِ

أنّى ينال الثريّا كفُّ ملتزقٍ ... بالترابِ عن ذُروةِ العلياء هبّاطِ

صبراً أميرُك إسماعيلُ منتقمٌ ... منه ومن كلّ غدّارٍ وخيّاطِ

رأيتُ عَيْراً سما جهلاً على أسدٍ ... يا عينُ ويحَكِ ما أشفاكِ من شَاطي

ذكر عدّة حوادث

وفيها، في ربيع الآخر، خلع على أبي العشائر أحمد بن نصر وولّيَ طَرَسُوس، وعزل عنها مظفّر بن حاج لشكوى أهل الثغور منه.

وفيها قوطع طاهر بن محمّد بن عمرو بن الليث على مال يحمله على بلاد فارس، وعقد له المكتفي عليها.

وفيها، في جُمادى الأولى، هرب القائد أبو سعيد الخوارزميُّ الذي استأمن إلى الخليفة، وأخذ نحو طريق الموصل، فكتب إلى عبد اللّه المعروف بغلام نون بتكريت، وهو يتولّى تلك النواحي، فعارضه عبد اللّه، واجتمع به، (٥٢٩/٧) فخدعه أبو سعيد وقتله، وسار نحو شهرزور، واجتمع هو وابن الربيع الكرديُّ على عصيان الخليفة.

وفيها أراد المكتفي البناء بسامرّا، وخرج إليها ومعه الصُّناع، فقدّروا له ما يحتاج، وكان مالاً جليلاً، وطوّلوا له مدّة الفراغ، فعظم

الوزير ذلك عليه، وصرّفه إلى بغداد.

وحجّ بالناس هذه السنة الفضل بن عبد الملك بن عبد الواحد بن عبد اللّه بن عبيد اللّه بن العبّاس بن محمّد بن عليّ بن عبد اللّه بن العبّاس.

وفيها توفّي محمّد بن عليّ بن علوية بن عبد اللّه الفقيه الشافعيُّ الجرجانيُّ، وكان قد تفقّه على المُزنيّ صاحب الشافعيّ.

وتوفّي عبد اللّه بن أحمد بن حَنْبَل في جُمادى الآخرة، وكان مولده سنة ثلاث عشرة ومائتين.(٥٣٠/٧)

سنة إحدى وتسعين ومائتين

ذكر أخبار القرامطة وقتل صاحب الشامة

قد ذكرنا مسير المكتفي إلى الرَّقّة، وإرساله الجيوش إلى صاحب الشامة، وتولية حرب صاحب الشامة محمّد بن سليمان الكاتب، فلمّا كانت هذه السنة أمر محمّدَ بن سليمان بمناهضة صاحب الشامة، فسار إليه في عساكر الخليفة، حتى لقوه وأصحابه بمكان بينهم وبين حماة اثنا عشر ميلاً لستّ خلون من المحرّم، فقدّم القُرمطيُّ أصحابه إليهم، وبقي في جماعة من أصحابه، معه مال كان جمعه، وسواد عسكره، والتحمت الحرب بين أصحابه الخليفة والقرامطة، واشتدّت، وانهزمت القرامطة وقُتلوا كلّ قتلة وأُسر من رجالهم بشر كثير، وتفرّق الباقون في البوادي، وتبعهم أصحاب الخليفة.

فلمّا رأى صاحب الشامة ما نزل بأصحابه حمّل أخاً له يكنى أبا الفضل مالاً، وأمره أن يلحق بالبوادي إلى أن يظهر بمكان فيسير إليه، وركب هو وابن عمه المسمّى بالمدثّر، والمطوّق صاحبه، وغلام له روميٌّ، [وأخذ دليلاً] وسار يريد الكوفة عرضاً في البرّيّة، فانتهى إلى الدالية من أعمال الفرات وقد (٥٣١/٧) نفد ما معهم من الزاد والعلف، فوجّه بعض أصحابه إلى الدالية المعروفة بابن طوق ليشتري لهم ما يحتاجون إليه، فأنكروا رأيه، فسألوه عن حاله فكتمه، فرفعوه إلى متولّي تلك الناحية خليفة أحمد بن محمّد بن كشمرد، فسأله عن خبره، فأعلمه أنّ صاحب الشامة خلف رابية هناك مع ثلاثة نفر، فمضى إليهم وأخذهم، وأحضرهم عند ابن كشمرد، فوجّه بهم إلى المكتفي بالرَّقّة، ورجعت الجيوش من الطلب بعد أن قتلوا وأسروا، وكان أكثر الناس أثراً في الحرب الحسين بن حمدان، وكتب محمّد بن سليمان يثني عليه وعلى بني شيبان، فإنّهم اصطلوا الحرب، وهزموا القرامطة، وأكثر القتل فيهم والأسر، حتّى لم ينج منهم إلا قليل.

وفي يوم الاثنين لأربع بقين من المحرّم أُدخل صاحب الشامة الرَّقّة ظاهراً للناس على فالج، وهو الجمل ذو السنامَيْن، وبين يديه المدبِّر والمطوّق؛ وسار المكتفي إلى بغداد ومعه صاحب الشامة وأصحابه، وخلْف العساكر مع محمّد بن سليمان، وأُدخل القرمطيُّ بغدادَ على فيل، وأصحابه على الجمل، ثمّ أمر المكتفي بحبسهم إلى أن يقدم محمّد بن سليمان، فقدم بغداد، وقد استقصى في طلب القرامطة، فظفر بجماعة من أعيانهم ورؤوسهم، فأمر المكتفي بقطع أيديهم وأرجلهم، وضرب أعناقهم بعد ذلك، وأُخرجوا من الحبس، وفُعل بهم ذلك، وضُرب صاحب الشامة مائتَيْ سوط، وقُطعت يداه، وكوي، فغُشي عليه، وأخذوا خشباً وجعلوا فيه ناراً، ووضعوه على خواصره، فجعل يفتح عينه ويغمضها، فلمّا خافوا موته ضربوا عنقه، ورفعوا رأسه على خشبة، فكبّر الناس لذلك، ونُصب على الجسر.

وفيها قدم رجل من بني العُلَيْص من وجوه القرامطة، يسمّى إسماعيل ابن النُعمان، وكان نجا في جماعة لم ينج من رؤسائهم غيره، فكاتبه المكتفي (٥٣٢/٧) وبذل له الأمان، فحضر في الأمان هو ونيّف ومائة وستّون نفساً، فأمّنُوا وأُحسن إليهم ووُصلوا بمال، وصاروا إلى رحبة مالك بن طوق مع القاسم بن سيما، وهي من عمله، فأقاموا معه مدّة، ثمّ أرادوا الغدر بالقاسم، وعزموا على أن يثبوا بالرحبة يوم الفطر عند اشتغال الناس بالصلاة، وكان قد صار معهم جماعة كبيرة، فعلم بذلك، فقتلهم، فارتدع من كان بقي من موالي بني العُليص، وذلّوا، وألزموا السماوة، حتّى جاءهم كتاب من الخبيث زكرويه يعلمهم أنّه ممّا أوحي إليه أنّ صاحب الشامة وأخاه المعروف بالشيخ يُقتلان، وأنّ إمامه الذي هو حيّ يظهر بعدهما ويظفر.

ذكر عدّة حوادث

وفيها جاءت أخبار أن حوى وما يليها جاءها سيل فغرق نحو من ثلاثين فرسخاً، وغرق خلق كثير، وغرقت المواشي والغلاّت وخربت القرى، وأُخرج من الغَرقى ألفٌ ومائتا نفس، سوى من لم يُلحق منهم.

وفيها خلع المكتفي على محمّد بن سليمان، كاتب الجيش، وعلى جماعة من القوّاد، وأمرهم بالمسير إلى الشام ومصر لأخذ الأعمال من هارون بن خُمارَوَيه، لما ظهر من عجزه، وذهاب رجاله بقتل القرمطيّ، فسار عن بغداد في رجب وهو في عشرة آلاف رجل، وجدّ في السير. (٥٣٣/٧)

وفيها خرجت الترك في خلق كثير لا يُحصَون إلى ما وراء النهر، وكان في عسكرهم سبع مائة قبّة تركيّة، ولا يكون إلاّ للرؤساء منهم، فوجّه إليهم إسماعيل بن أحمد جيشاً كثيراً، وتبعهم من المتطوّعة خلق كثير، فساروا نحو الترك، فوصلوا إليهم وهم

غارّون، فكبسهم المسلمون مع الصبح، فقتلوا منهم خلقاً عظيماً لا يُحصَون، وانهزم الباقون، واستبيح عسكرهم، وعاد المسلمون سالمين غانمين.

وفيها خرج من الروم عشرة صلبان مع كلّ صليب عشرة آلاف إلى الثغور، فقصد جماعة منهم إلى الحدَث، فأغاروا وسبوا وأحرقوا.

وفيها سار المعروف بغلام زرافة من طَرَسُوس نحو بلاد الروم، ففتح مدينة أنطالية، وهي تعادل القُسطنطينيّة، فتحها بالسيف عنوةً، فقتل خمسة آلاف رجل، وأسر مثلهم، واستنقذ من الأسارى خمسة آلاف، وأخذ لهم ستّين مركباً فحمل فيها ما غنم لهم من الأموال والمتاع والرقيق، وقدر نصيب كلّ رجل ألف دينار، وهذه المدينة على ساحل البحر، فاستبشر المسلمون بذلك.

وحجّ بالناس الفضلُ بن عبد الملك بن عبد اللّه بن العبّاس.

وفيها توفّي القاسم بن عبيد اللّه، وزير الخليفة، في ذي القعدة، وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوماً، ولمّا مات قال ابن سيّار: (٥٣٤/٧)

أماتَ ليحيَا، فما إن حيي، وأفنَى ليبقَى، فما إن بَقي
وما زالَ في كلّ يومٍ يَرى أمارةَ حَتفٍ وشيكٍ وجي
وما زال يسلحُ من ثُبرِهِ إلى أن خري النفس فيما خري

وفيها مات أبو عبد اللّه محمّد بن إبراهيم بن سعيد بن عبد الرحمن الماستوائيُّ الفقيه بنَيسابور، ومحمّد بن محمّد الجزوعيُّ، قاضي الموصل ببغداد.

وفيها توفّي أبو العبّاس أحمد بن يحيى الشيبانيُّ النحويُّ، وكان عالماً بنحو الكوفيّين، وكان موته ببغداد.(٥٣٥/٧)

سنة اثنتين وتسعين ومائتين

ذكر استيلاء المكتفي على الشام ومصر وانقراض مُلك الطُّولونيّة

وفي المحرّم منها سار محمّد بن سليمان إلى حدود مصر لحرب هارون بن خُمارويه بن أحمد بن طولون.

وسبب ذلك أنّ محمّد بن سليمان لمّا تخلّف عن المكتفي، وعاد عن محاربة القرامطة، واستقصى محمّد في طلبهم، فلمّا بلغ ما أراد عزم على العود إلى العراق، فأتاه كتاب بدر الحمّاميّ غلام ابن طولون، وكتاب فائق، وهما بدمشق يدعوانه إلى قصد البلاد بالعساكر ليساعداه على أخذها، فلمّا عاد إلى بغداد أنهى ذلك إلى المكتفي، فأمره بالعود، وسيّر معه الجنود، والأموال، ووجّه المكتفي ديانة غلام بازمار، وأمره بركوب البحر إلى مصر، ودخول النيل، وقطْع الموادّ عن مصر، ففعل، وضيّق عليهم.

وزحف إليهم محمّد بن سليمان في الجيوش، في البرّ، حتّى دنا من مصر وكاتب من بها من القوّاد؛ وكان أوّلَ من خرج إليه بدرٌ الحمّاميُّ، وكان رئيسهم، فكسرهم ذلك، وتتابع المستأمنة من قوّاد المصريّين، فلمّا رأى ذلك هارون خرج فيمن معه لقتال محمّد بن سليمان، فكانت بينهم وقعات، ثمّ وقع بين أصحاب (٥٣٦/٧) هارون، في بعض الأيّام، عصبيّة، فاقتتلوا، فخرج هارون يسكّنهم، فرماه بعض المغاربة بمزراق معه فقتله، فلمّا قُتل قام عمّه شيبان بالأمر من بعده، وبذل المال للجند، فأطلقوه وقاتلوا معه، فأتتهم كتب بدر يدعوهم إلى الأمان، فأجابوه إلى ذلك.

فلمّا علم محمّد بن سليمان الخبر سار إلى مصر، فأرسل إليه شيبان يطلب الأمان، فأجابه، فخرج إليه ليلاً، ولم يعلم به أحد من الجند، فلمّا أصبحوا قصدوا داره ولم يجدوه، فبقوا حيارى، ولمّا وصل محمّد مصرَ دخلها، واستولى على دور آل طولون وأموالهم، وأخذهم جميعاً، وهم بضعة عشر رجلاً، فقيّدهم، وحبسهم واستقصى أموالهم، وكان ذلك في صفر، وكتب بالفتح إلى المكتفي، فأمره بإشخاص آل طولون وأسبابهم من مصر والشام إلى بغداد، ولا يترك منهم أحداً، ففعل ذلك، وعاد إلى بغداد، وولّى معونة مصرَ عيسى النُّوشريَّ.

ثمّ ظهر بمصر إنسان يُعرف بالخَلَنْجيّ، وهو من قوّادهم، وكان تخلّف عن محمّد بن سليمان، فاستمال جماعة، وخالف على السلطان، وكثر جمعه وعجز النُّوشريُّ عنه، فسار إلى الإسكندريّة، ودخل إبراهيم الخلنجيُّ مصر، وكتب النُّوشريُّ إلى المكتفي بالخبر، فسيّر إليها الجنود مع فاتك، مولى المعتضد، وبدر الحمّاميّ، فساروا في شوّال نحو مصر. (٥٣٧/٧)

ذكر عدّة حوادث

وفيها أُخذ بالبصرة رجل ذكروا أنه أراد الخروج، وأُخذ معه والده وتسعة وثلاثون رجلاً، وحُملوا إلى بغداد، فكانوا يبكون، ويستغيثون، ويحلفون أنّهم بُرآء، فأمر بهم المكتفي فحُبسوا.

وفيها أغار أندرونقس الروميُّ على مَرْعَش ونواحيها، فنفر أهل المصّيصة وأهل طَرَسُوس فأُصيب أبو الرجال بن أبي بكّار في جماعة من المسلمين، فعزل الخليفة أبا العشائر عن الثغور، واستعمل عليهم رستم بن بردوا.

وفيها كان الفداء على يد رستم، فكان جملة من فودي به من المسلمين ألف نفس ومائتَيْ نفس.

وحجّ بالناس الفضلُ بن عبد الملك بن عبد اللّه بن عبّاس بن محمّد،

وفيها زادت دجلة زيادة مفرطة، حتّى تهدّمت الدور التي على

شاطئها بالعراق.

وفيها، في العشرين من أيار، طلع كوكب له ذنب عظيم جداً في برج الجوزاء.

وفيها وقع الحريق ببغداد بباب الطاق من الجانب الشرقيّ إلى طرق الصفّارين، فاحترق ألف دكّان مملوءة متاعاً للتجار.

وفيها توفّي أبو مسلم إبراهيم بن عبد اللّه الكَجّيُّ، ويقال الكَشّيُّ.

وفيها توفّي القاضي عبد الحميد بن عبد العزيز أبو حازم، قاضي المعتضد باللّه، ببغداد، وكان من أفاضل القضاة. (٥٣٨/٧)

سنة ثلاث وتسعين ومائتين

ذكر أوّل إمارة بني حمدان بالموصل وما فعلوه بالأكراد

في هذه السنة ولّى المكتفي باللّه الموصيّ وأعمالها أبا الهيجاء عبد اللّه بن حمدان بن حَمدون التغلبيُّ العدويُّ، فسار إليها، فقدمها أوّل المحرّم، فأقام بها يومه، وخرج من الغد لعرض الرجال الذين قدموا معه، والذين بالموصل، فأتاه الصريخ من نينوى بأنّ الأكراد الهذبانيّة، ومقدّمهم محمّد بن بلال، قد أغاروا على البلد، وغنموا كثيراً منه، فسار من وقته وعبر الجسر إلى الجانب الشرقيّ، فلحق الأكراد المعروبة على الخازر، فقاتلوه، فقُتل رجل من أصحابه اسمه سيما الحمدانيُّ، فعاد عنهم، وكتب إلى الخليفة يستدعي النجدة، فأتته النجدة بعد شهور كثيرة، وقد انقضت سنة ثلاث وتسعين ودخلت سنة أربع وتسعين.

ففي ربيع الأوّل منها سار فيمن معه إلى الهدبانيّة، وكانوا قد اجتمعوا في خمسة آلاف بيت، فلمّا رأوا جدّه في طلبهم ساروا إلى البابة التي في جبل السِّلق، وهو مضيق في جبل عالٍ مشرف على شَهْرَزُور، فامتنعوا (٥٣٩/٧) [بها] وأغار مقدّمهم محمّد بن بلال، وقرب من ابن حمدان، وراسله في أن يطيعه، ويحضر هو وأولاده، ويجعلهم عنده يكونون رهينة، ويتركون الفساد، فقبل ابن حمدان ذلك، فرجع محمّد ليأتي بمن ذكر، فحثّ أصحابه على المسير نحو أذْرَبيجان، وإنّما أراد في الذي فعله مع ابن حَمدان أن يترك الجدّ في الطلب ليأخذ أصحابه أُهبتهم ويسيروا آمنين.

فلمّا تأخر عود محمّد عن ابن حَمدان علم مراده، فجرّد معه جماعة من جملتهم إخوته سليمان، وداود، وسعيد وغيرهم ممّن يثق به وبشجاعته، وأمر النجدة التي جاءته من الخليفة أن يسيروا معه، فتبّطوا، فتركهم وسار يقفوا أثرهم، فلحقهم وقد تعلّقوا بالجبل المعروف بالقنديل، فقتل منهم جماعة، وصعدوا ذروة الجبل، وانصرف ابن حمدان عنهم، ولحق الأكراد بأذربيجان، وأنهى ابن حمدان ما كان من حالهم إلى الخليفة والوزير فأنجدوه بجماعة صالحة وعاد إلى الموصل فجمع رجاله وسار إلى جبل السِّلق، وفيه محمّد بن بلال ومعه الأكراد، فدخله ابن حمدان، والجواسيس بين يديه، خوفاً من كمين يكون فيه، وتقدّم من بين يدي أصحابه، وهم يتبعونه، فلم يتخلّف منهم أحد، وجاوزوا الجبل، وقاربوا الأكراد، وسقط عليهم الثلج، واشتدّ البرد، وقلّت الميرة والعلف عندهم، وأقام على ذلك عشرة أيّام، وبلغ الحمل [من] التبن ثلاثين درهماً، ثمّ عدم عندهم وهو صابر. (٥٤٠/٧)

فلمّا رأى الأكراد صبرهم وأنّهم لا حيلة لهم في دفعهم لجأ محمّد بن بلال وأولاده ومن لحق به، واستولى ابن حمدان على بيوتهم، وسوادهم، وأهلهم، وأموالهم، وطلبوا الأمان فأمّنهم، وأبقى عليهم، وردّهم إلى بلد حزّة، وردّ عليهم أموالهم وأهليهم، ولم يقتل منهم غير رجل واحد، وهو الذي قتل صاحبه سيما الحمدانيّ، وأمنت البلاد معه، وأحسن السيرة في أهلها.

ثمّ إنّ محمّد بن بلال طلب الأمان من ابن حمدان فأمّنه، وحضر عنده، وأقام بالموصل، وتتابع الأكراد الحيديّة، وأهل جبل داسن إليه بالأمان، فأمنت البلاد واستقامت.

ذكر الظفر بالخلنجيّ

في هذه السنة، في صفر، وصل عسكر المكتفي إلى نواحي مصر، وتقدّم أحمد بن كَيْغَلَغ في جماعة من القوّاد، فلقيهم الخلنجيُّ بالقرب من العَريش، فهزمهم أقبح هزيمة، فندب جماعة من القوّاد إليهم ببغداد، وفيهم إبراهيم بن كيغلغ، فخرجوا في ربيع الأوّل وساروا نحو مصر.

واتّصلت الأخبار بقوّة الخلنجيّ، فبرز المكتفي إلى باب الشمّاسيّة ليسير إلى مصر في رجب، فوصل إليه كتاب فاتك في شعبان يذكر أنّه والقوّاد رجعوا إلى الخلنجيّ، وكانت بينهم حروب كثيرة قُتل بينهم فيها خلق كثير، فإنّ آخر حرب كانت بينهم قُتل فيها معظم أصحاب الخلنجيّ (٥٤١/٧) وانهزم الباقون، وظفروا بهم، وغنموا عسكرهم، وهرب الخلنجيُّ، فدخل فسطاط مصر، فاستتر بها عند رجل من أهل البلد، فدخلنا المدينة، فدلّونا عليه، فأخذناه ومَنِ استتر عنده، وهم في الحبس.

فكتب المكتفي إلى فاتك في حمل الخلنجيّ ومَنْ معه إلى بغداد، وعاد المكتفي فدخل بغداد، وأمر بردّ خزائنه، وكانت قد بلغت تكريت، فوجّه فاتكٌ الخلنجيُّ إلى بغداد، فدخلها هو ومن معه في شهر رمضان، فأمر المكتفي بحبسهم.

ذكر أمر القرامطة

فيها أنفذ زكرويه بن مهرويه، بعد قتل صاحب الشامة، رجلاً

كان يعلّم الصبيان بالرافوفة من الفَلّوجة يسمّى عبد اللّه بن سعيد، ويكنّى أبا غانم، فسمّي نصراً، وقيل كان المنفذ ابن زكرويه، فدار على أحياء العرب من كلب وغيرهم يدعوهم إلى رأيه، فلم يقبله منهم أحد، إلاّ رجلاً من بني زياد يسمّى مقدام بن الكيّال، واستقوى بطوائف من الأصبَغيّين المنتمين إلى الغواطم، وغيرهم من العليصيّين، وصعاليك من سائر بطون كلب، وقصد ناحية الشام، والعامل بدمشق والأردنّ أحمد بن كَيْغَلَغ، وهو بمصر يحارب الخلنجيّ، فاغتنم ذلك عبد اللّه بن سعيد، وسار إلى بُصرى وأذرعاتَ والبثنية، فحارب أهلَها، ثمّ أمّنهم، فلمّا استسلموا إليه قتل مُقاتلتهم وسبى (٥٤٢/٧) ذراريّهم وأخذ أموالهم.

ثمّ قصد دمشق، فخرج إليهم نائب ابن كَيْغَلَغ، وهو صالح بن الفضل فهزمه القرامطة، وأثخنوا فيهم، ثمّ [أمّنوهم] وغدروهم بالأمان، وقتلوا صالحاً، وفضُّوا عسكره، وساروا إلى دمشق، فمنعهم أهلها، فقصدوا طَبَريّةَ، وانضاف إليه جماعة من جند دمشق افتتنوا به، فواقعهم يوسف بن إبراهيم بن بغامردي، وهوخليفة أحمد بن كَيْغَلَغ بالأردنّ، فهزموه، وبذلوا له الأمان، وغدروا به، وقتلوه، ونهبوا طَبَريّة، وقتلوا خلقاً كثيراً من أهلها وسبوا النساء.

فانفذ الخليفةُ الحسينَ بن حَمدان وجماعة من القوّاد في طلبهم، فوردوا دمشق، فلمّا علم بهم القرامطة رجعوا نحو السَّماوة، وتبعهم الحسين في السَّماوة وهم يتقلون في المياه ويغوّرونها، حتّى لجؤوا إلى ماءَيْن يُعرف أحدهما بالدمعانة، والآخر بالحبالة، وانقطع ابن حَمدان عنهم لعدم الماء، وعاد إلى الرَّحبة، وأسرى القرامطة مع نصر إلى هَيْت وأهلها غافلون، فنهبوا ربضَها، وامتنع أهل المدينة بسورهم، ونهبوا السفن، وقتلوا من أهل المدينة مائتَيْ نفس، ونهبوا الأموال والمتاع، وأوقروا ثلاثة آلاف راحلة من الحنطة.

وبلغ الخبر إلى المكتفي فسيّر محمّدَ بن إسحاق بن كنداج، فلم يقيموا لمحمّد، ورجعوا إلى الماءَيْن فنهض محمّد خلفهم، فوجدهم قد غوّروا المياه، فأنفذ إليه من بغداد الأزواد والدوابّ، وكتب إلى ابن حَمدان بالمسير إليهم (٥٤٣/٧) من جهة الرَّحبة ليجتمع هو ومحمّد على الإيقاع بهم، ففعل ذلك.

فمّا أحسّ الكلبيّون بإقبال الجيش إليهم وثبوا بنصر فقتلوه، قتله رجل منهم يقال له الذئب ابن القائم، وسار برأسه إلى المكتفي متقرّباً بذلك، مستأمناً، فأُجيب إلى ذلك، وأُجيز بجائزة سنيّة، وأُمر بالكفّ عن قومه.

واقتتلت القرامطة بعد نصر حتّى صارت بينهم الدماء، وسارت فرقة كرهت أمورهم إلى بني أسد بنواحي عين التمر، واعتذروا إلى الخليفة، فقبل عذرهم، وبقي على الماءَيْن بقيتهم ممّن له بصيرة في دينه، فكتب الخليفة إلى ابن حَمدان يأمره بمعاودتهم، واجتثاث أصلهم، فأرسل إليهم زَكْرَوَيْه بن مهروَيْه داعيةً له يسمّى القاسم بن أحمد، ويُعرف بأبي محمّد، وأعلمهم أن فعل الذئب قد نفّره منهم، وأنّهم قد ارتدّوا عن الدين، وأنّ وقت ظهوركم قد حضر، وقد بايع له من أهل الكوفة أربعون ألفاً، وأن يوم موعدهم الذي ذكره اللّه في شأن موسىﷺ وعدوّه فرعون إذ ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٩]، ويأمرهم أن يُخفوا أمرهم، وأن يسيروا حتّى يصبحوا الكوفة يوم النحر سنة ثلاث وتسعين ومائتين، فإنّهم لا يُمنعون منها، وأنّه يظهر لهم، وينجز لهم وعده الذي يعدهم إيّاه، وأن يحملوا إليه القاسم بن أحمد.

فامتثلوا رأيه، ووافوا باب الكوفة وقد انصرف الناس عن مصلاّهم، وعاملهم إسحاق بن عِمران، ووصلوها في ثماني مائة فارس عليهم الدروع، والجواشن، والآلات الحسنة، وقد ضربوا على القاسم بن أحمد قبّة، وقالوا (٥٤٤/٧) هذا أثر رسول اللّه. ونادوا : يا لثارات الحسين، يعنون الحسين بن زَكرَوَيْه المصلوب ببغداد، وشعارهم : يا أحمد، يا محمّد، يَعنون ابنَيْ زَكْرَوَيْه المقتولَيْن، فأظهروا الأعلامَ البيضَ، وأرادوا استمالة رُعاع الناسِ بالكوفة بذلك، فلم يملْ إليهم أحد، فأوْقع القرامطة بمن لحقوه من أهل الكوفة، وقتلوا نحواً من عشرين نفساً.

وبادر الناس الكوفة، وأخذوا السلاح، ونهض بهم إسحاق، ودخل مدينة الكوفة من القرامطة مائة فارس، فقُتل منهم عشرون نفساً، وأُخرجوا عنها، وظهر إسحاق، وحاربهم إلى العصر، ثمّ انصرفوا نحو القادسيّة، وكان فيمن يقاتلهم مع إسحاق جماعة من الطالبيّة.

وكتب إسحاق إلى الخليفة يستمدّه، فأمدّه بجماعة من قوّاده، منهم : وصيف بن صوارتكين التركيُّ، والفضل بن موسى بن بُغا، وبشر الخادم الأفشينيُّ، ورائق الحرريُّ، مولى أمير المؤمنين، وغيرهم من الغلمان الحجريّة، فساروا منتصف ذي الحجّة حتّى قاربوا القادسيّة فنزلوا بالصوان، فلقيهم زكرويه.

وأمّا القرامطة فإنّهم أنفذوا واستخرجوا زكرويه من جُبّ في الأرض كان منقطعاً فيه سنين كثيرة، بقرية الدرية، وكان على الجبّ باب حديد محكم العمل، وكان زكرَوَيْه إذا خاف الطلب جعل تنّوراً هناك على باب الجبّ، وقامت امرأة تسجُره، فلا يُفطن إليه، وكان ربّما أخفي في بيت خلف باب الدار التي كان بها ساكناً، فإذا انفتح باب الدار انطبق على باب البيت، فيدخل (٥٤٥/٧) الداخل الدار فلا يرى شيئاً، فلمّا استخرجوه حملوه على أيديهم، وسمّوه وليَّ اللّه، ولمّا رأوه سجدوا له، وحضر معه جماعة من دُعاته وخاصّته،

وأعلمهم أنّ القاسم بن أحمد من أعظم النـاس عليهـم ذمّـة ومنّـة، وأنّه ردّهم إلى الدين بعد خروجهم عنه، وأنّهـم إن امتثلـوا أوامره أنجز موعدهم وبلغوا آمالهم، ورمز لهم رموزاً ذكر فيهـا آيـات مـن القرآن نقلها عن الوجه الذي أُنزلت فيه، فاعترف له من رسخ حـبّ الكفر في قلبه أنّه رئيسهم وكهفهم، وأيقنوا بالنصر وبلوغ الأمل.

وسار بهم وهو محجوب يدعونه السيد ولا يبرزونـه، والقاسم يتولّى الأمور، وأعلمهم أنّ أهل السواد قاطبة خارجون إليه، فأقـام بسقي الفُرات عدّة أيّام، فلم يصل إليه منهم إلاّ خمس مائـة رجـل، ثـمّ وافتـه الجنود المذكـورة مـن عنـد الخليفـة، فلقيهـم زكرويـه بالصوان، وقاتلهم واشـتدّت الحـرب بينهـم، وكـانت الهزيمـة أوّل النهار على القرامطة، وكان زكرويه قد كمّن لهم كميناً من خلفهـم، فلم يشعر أصحاب الخليفة إلاّ والسيف فيهم من ورائهم، فـانهزموا أقبح هزيمة، ووضع القرامطة السيف فيهم، فقتلوهم كيـف شـاؤوا، وغنموا سوادهم، ولم يسلم من أصحاب الخليفة إلاّ مَنْ دابّته قويّة، أو من أُثخن بالجراح، فوضع نفسه بين القتلى، فتحاملوا بعد ذلـك، وأُخذ للخليفة في هذا العسكر أكثر من ثلاثمائة جمازة عليها المـال والسلاح، وخمس مائة بغل، وقُتـل مـن أصحـاب الخليفـة، سـوى الغلمان، ألف وخمس مائة رجُل، وقوي القرامطة بما غنموا.

ولمّا ورد خبر هذه الوقعة إلى بغداد أعظمها الخليفة والنـاس، وندب إلى (٥٤٦/٧) القرامطة محمّدَ بن إسحاق بن كنداج، وضـمّ إليه من الأعراب بني شيبان وغيرهم أكثر من ألفَيْ رجل، وأعطـاهم الأرزاق، ورحل زكرويه من مكانه إلى نهر المثنية لنتن القتلى.

ذكر عدّة حوادث

وفيها، في ربيع الآخر، قدم إلى بغداد قائد من أصحـاب طـاهر بن محمّد بن عمرو بن الليث مستأمناً، ويُعرف بأبي قابوس.

وسبب ذلك أنّ طـاهراً تشـاغل بـاللّهو والصيـد، ومضـى إلـى سجستان للصيد والتّنزّه، فغلب على الأمر بفارس الليـث بـن علـيّ بن الليث، وسبكرى مولى عمرو بن الليث، فوقع بينهما وبيـن هـذا القائد تباعد، ففـارقهم، ووصـل إلـى بغـداد، فخلـع عليـه الخليفـة وأحسن إليه، فكتب طاهر بن محمّد، يسأل ردّ أبي قـابوس، ويذكـر أنّه جبى المال وأخذه، ويقول له: إمّا أن تردّ إليه، أو تحتسب له بما ذهب معه من المال من جملة القرار الذي عليه، فلم يجبه الخليفـة إلى ذلك.

وفيها صارت الداعية التي للقرامطة باليمن إلى مدينـة صنعـاء، فحاربه أهلها، فظفر بهم وقتلهم، فلـم يفلـت إلاّ اليسير، وتغلّـب على سائر مدن اليمن، ثـمّ اجتمـع أهـل صنعـاء وغيرهـا، فحـاربوا الداعية، فهزموه، فانحاز إلى موضع من نواحي اليمن، وبلـغ الخبـر الخليفة، فخلع على المظفّر بن حاج في شوّال، وسـيّره إلـى عملـه باليمن، وأقام بها إلى أن مات.

وفيها أغارت الروم على قُورُسَ، مـن أعمـال حلـب، فقـاتلهم أهلها قتالاً (٥٤٧/٧) شديداً، ثمّ انهزمـوا، وقتلوا أكثرهم، وقتلـوا رؤساء بني تميم، ودخل الروم قُورُسَ فأحرقوا جامعها، وساقوا من بقي من أهلها.

وفيها افتتح إسماعيل بن أحمد السامانيُّ، ملك مـا وراء النهـر، مواضع من بلاد الترك ومن بلاد الديلم؛ وحـجّ بالنـاس محمّـد بـن عبد الملك الهاشميُّ.

وفيها توفّي نصر بن أحمد الحافظ في رمضـان، وأبـو العبّـاس عبد اللّه بن محمّد الناشيُّ الشاعر الكاتب الأنباريُّ.(٥٤٨/٧)

سنة أربع وتسعين ومائتين

ذكر أخبار القرامطة وأخذهم الحاجّ

في هذه السنة، في المحرّم، ارتحل زكرويّه من نهر المثنيّة يريد الحجّ، فبلغ السّلّمان، وأقام ينتظرهم، فبلغت القافلة الأولى واقصة سابع المحرّم، فأنذرهم أهلها وأخبروهم بقرب القرامطة، فـارتحلوا لساعتهم.

وسـار القرامطـة إلـى واقصـة، فسـألوا أهلهـا عـن الحـاجّ، فأخبروهم أنّهم ساروا، فـاتّهمهم زكرويّـه، فقتـل العلاّفـة، وأحـرق العلف، وتحصّن أهـل واقصـة فـي حصنهـم، فحصرهـم أيّامـاً ثـمّ ارتحل عنهم نحو زُبالَة، وأغار في طريقه على جماعة من بني أسد.

ووصلت العساكر المنفذة من بغداد إلى عيون الطّـفّ، فبلغهـم مسير زكرويّه من السّـلّمان، فـانصرفوا، وسـار عـلان بـن كشـمرد جريدةً، فنزل واقصة بعد أن جازت القافلة الأولـى، ولقـي زكرويّـه القُرمُطـيُّ قافلـة الخراسـانيّة بعقَبـة الشّيطان راجعيـن مـن مكـّـة، فحاربهم حرباً شديدة، فلمّا رأى شـدّة حربهـم سـألهم: هـل فيكـم نـائب للسلطان؟ فقـالوا: مـا معنـا أحـد. قـال: فلسـت أريدكـم؛ فاطمأنّوا وساروا، فلمّا ساروا أوقع بهم، وقتلهم عن آخرهـم، ولـم ينج إلاّ الشريد، وسبوا من النساء ما أرادوا، وقتلوا منهنّ.(٥٤٩/٧)

ولقي بعض المنهزمين عـلان بـن كشـمرد، فـأخبروه خـبرهم، وقالوا له: ما بينك وبينهم إلا القليل، ولو رأوك لقويـت نفوسـهم، فاللّه اللّه فيهم! فقال: لا أُعرِّض أصحاب السلطان للقتـل، ورجـع هو وأصحابه.

وكتب من نجا من الحجّاج من هذه القافلة الثانية إلـى رؤسـاء القافلـة الثالثـة مـن الحجّـاج يعلمونهـم مـا جـرى مـن القرامطـة، ويأمرونهم بالتحذّر، والعدول عـن الجـادّة نحـو واسـط والبصـرة،

والرجوع إلى فَيْدَ والمدينة إلى أن تأتيهم جيوش السلطان، فلم يسمعوا، ولم يقيموا.

وسارت القرامطة من العقبَة بعد أخذ الحاجّ، وقد طمّوا الآبار والبرك بالجيف، والتراب، والحجارة، بواقصة، والثعلبية، والعقبَة، وغيرها من المناهل في جميع طريقهم، وأقام [زكرويه] بالهَبير ينتظر القافلة الثالثة، فساروا فصادفوه هناك، فقاتلهم زكرويه ثلاث أيام، وهم على غير ماء، فاستسلموا لشدّة العطش، فوضع فيهم السيف وقتلهم عن آخرهم، وجمع القتلى كالتلّ، وأرسل خلف المنهزمين من يبذل لهم الأمان، فلمّا رجعوا قتلهم، وكان في القتلى مبارك القُمّيّ، وولده أبو العشائر بن حمدان.

وكان نساء القرامطة يطفن بالماء بين القتلى يعرضن عليهم الماء، فمن كلّمهنّ قتلنه، فقيل إنّ عدّة القتلى بلغت عشرين ألفاً، ولم ينج إلاّ من كان بين القتلى فلم يُفطن له فنجا بعد ذلك، ومَنْ هرب عند اشتغال القرامطة بالقتل والنهب، فكان من مات من هؤلاء أكثر ممّن سلم ومن استعبدوه، وكان مبلغ ما أخذوه من هذه القافلة ألفَيْ ألف دينار.

وكان في جملة ما أخذوا فيها أموال الطُّولونيّة وأسبابهم، فإنّهم لمّا عزموا على الانتقال من مصر إلى بغداد خافوا أن يستصحبوها فتؤخذ منهم، فعملوا الذهب والنُّقرة سبائك، وجعلوها في حدائج الجمال، وجميع ما لهم من الحِلى والجوهر، وسيّروا الجميع إلى مكّة سرّاً، وسار من مكّة في هذه (٥٥٠/٧) القافلة فأُخذت.

وبثّ زكرويه الطلائع خوفاً من عسكر الخليفة الذي كان بالقادسيّة، وأقام ينتظر وصول من كان في الحجّ من عسكر الخليفة وأصحابه، فكانوا بفَيْدَ ينتظرون هل تعرض القرامطة للحاجّ أم لا، فكان معهم جماعة من التجار أرباب الأموال، فلمّا بلغهم ما صنع القرامطة أقاموا ينتظرون وصول عسكر من عند الخليفة، فسار زكرويه إليهم، وغوّر الآبار، والمصانع، والمياه إلى فَيْدَ، فاحتمى أهلُ فَيْدَ ومَنْ بها من الحجّاج بالحصنين اللّذين بفَيد وحصرهم فيهما القرامطة، وأرسل زكرويه إلى أهل فيدَ يأمرهم بإخراجهم أو بتسليم الحصنين إليه، وبذل لهم الأمان على ذلك، فلم يجيبوه، فتهدّدهم بالنهب والقتل، فازداد امتناعهم، وأقام عليهم عدّة أيام، ثمّ سار إلى الساج ثمّ إلى جعفر أبي موسى.

ذكر قتل زكرويه لعنه الله

لمّا فعل زكرويه بالحجّاج ما ذكرناه عظم ذلك على الخليفة خاصّة، وعلى جميع المسلمين عامّة، فجهّز المكتفي الجيوش، فلمّا كان أوّل ربيع الأول سيّر (٥٥١/٧) وصيف بن صوارتكين مع جماعة من القوّاد والعساكر إلى القرامطة، فساروا على طريق حِفّان، فلقيهم زكرويه، ومن معه من القرامطة، ثامن ربيع الأوّل، فاقتتلوا يومهم، ثمّ حجز بينهم الليل، وباتوا يتحارسون، ثم بكّروا إلى القتال، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتل من القرامطة مقتلة عظيمة.

ووصل عسكر الخليفة إلى عدوّ اللّه زكرويه، فضربه بعض الجند وهو مُوَلٍّ بالسيف على رأسه، فبلغت الضربة دماغه، وأخذه أسيراً، وأخذ خليفته وجماعة من خواصّه وأقربائه، وفيهم ابنه، وكاتبه، وزوجته، واحتوى الجند على ما في العسكر.

وعاش زكرويه خمسة أيام ومات، فسُيّرت جيفته والأسرى إلى بغداد، وانهزم جماعة من أصحابه إلى الشام، فأوقع بهم الحسين بن حَمدان، فقتلوهم جميعاً، وأخذوا جماعة من النساء والصبيان، وحُمل رأس زكرويه إلى خُراسان، لئلاّ ينقطع الحجّاج، وأخذ الأعراب رجلَيْن من أصحاب زكرويه يُعْرَف أحدهما بالحدّاد، والآخر بالمنتقم، وهو أخو امرأة زكرويه، كانا قد سارا إليهم يدعوانهم إلى الخروج معهم، فلمّا أخذوهما سيّروهما إلى بغداد، وتتبّع الخليفة القرامطة بالعراق، فقتل بعضهم، وحبس بعضهم، ومات بعضهم في الحبس. (٥٥٢/٧)

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة غزا ابنُ كَيْغَلَغ الرومَ من طَرَسوس، فأصاب من الروم أربعة آلاف رأس سَبْيٍ ودوابّ ومتاعاً، ودخل بطريق من بطارقة الروم في الأمان وأسلم.

وفيها غزا ابن كَيْغَلَغ فبلغ شكند، وافتتح اللّه عليه، وسار إلى الليس، فغنموا نحواً من خمسين ألف رأس، وقتلوا مقتلة عظيمة من الروم، وانصرفوا سالمين.

وكاتب أندرونقسُ البطريقُ المكتفي باللّه يطلب منه الأمان، وكان على حرب أهل الثغور من قِبَل ملك الروم، فأعطاه المكتفي ما طلب، فخرج ومعه مائتا أسير من المسلمين كانوا في حصنه، وكان ملك الروم قد أرسل للقبض عليه، فأعطى المسلمين سلاحاً وخرجوا معه، فقبضوا على الذي أرسله ملك الروم ليقبض عليه ليلاً، فقتلوا ممّن معه خلقاً كثيراً، وغنموا ما في عسكرهم، فاجتمعت الروم على أندرونقس ليحاربوه، فسار إليهم جمع من المسلمين ليخلّصوه ومن معه من أسرى المسلمين، فبلغوا قونية، فبلغ الخبر إلى الروم، فانصرفوا عنه، وسار جماعة من ذلك العسكر إلى أندرونقس، وهو بحصنه، فخرجَ ومعه أهله وماله إليهم، وسار معهم إلى بغداد، وأخرب المسلمون قُونِيةَ، فأرسل ملك الروم إلى الخليفة المكتفي فطلب الفداء.(٥٥٣/٧)

وفيها ظهر بالشام رجل يَدّعي أنّه السّفيانيُّ، فأُخذ وحُمل إلى بغداد فقيل إنّه مُوَسْوِسٌ.

وفيها كانت وقعة بين الحسين بن حَمدان وبين أعراب من بني

كلب، وطيّ، واليمن، وأسد، وغيرهم.

وفيها حاصر أعراب طيّ وصيفَ بن صوارتكين بفيدَ، وقد سيّره المكتفي أميراً على الموسم، فحصروه ثلاثة أيام، ثمّ خرج فواقعهم، فقتل منهم قتلى، ثمّ انهزمت الأعراب ورحل وصيف بمن معه؛ وحجّ بالناس هذه السنة الفضل بن عبد اللّه الهاشميُّ.

وفيها توفّي صالح بن محمّد الحافظ الملقّب بجزرة البغداديُّ، وأبو عبيد اللّه محمّد بن نصر المَرْوَزِيُّ، الفقيه الشافعيُّ، وكان موته بسَمَرْقَند، وله تصانيف كثيرة.

وفيها قُتل محمّد بن إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهوَيْه بطريق مكّة؛ قتله القرامطة حين أخذوا الحاجّ. (٥/٨)

سنة خمس وتسعين ومائتين

ذكر وفاة إسماعيل بن أحمد السامانيّ وولاية ابنه أحمد

في هذه السنة، منتصف صَفَر، توفي إسماعيل بن أحمد أمير خُراسان وما وراء النهر، ببخارى، وكان يلقّب بعد موته بالماضي، ووليَ بعده ابنه أبو نصر أحمد، وأرسل اليه المكتفي عهده بالولاية، وعقد لواءه بيده.

وكان إسماعيل عاقلاً، عادلاً، حسن السيرة في رعيّته، حليماً؛ حكي عنه أنّه كان لولده أحمد مؤدّب يؤدّبه، فمر به الأمير إسماعيل يوماً، والمؤدّب لا يعلم به، فسمعه وهو يسبّ ابنه، ويقول له: لا بارك اللّه فيك، ولا فيمن ولدك! فدخل إليه، وقال له: يا هذا، نحن لم نُذنب ذنباً لتسبّنا، فهل ترى أن تُعفينا من سبّك، وتخصّ المذنب بشتمك وذمّك؟ فارتاع المؤدّب، فخرج إسماعيل عنه، وأمر له بصلة جزاء لخوفه منه. (٦/٨)

وقيل: جرى بين يديه ذكر الأنساب والأحساب فقال لبعض جلسائه: كن عصاميّاً ولا تكن عظاميّاً؛ فلم يفهم مراده، فذكر له معنى ذلك.

وسأل يوماً يحيى بن زكريّا النيسابوريَّ فقال له: ما السبب في أنّ آل معاذ لما زالت دولتهم بقيت عليهم نعمتهم بخراسان، مع سوء سيرتهم وظلمهم، وأنّ آل طاهر لما زالت دولتهم عن خراسان زالت معها نعمتهم مع عدلهم، وحسن سيرتهم، ونظرهم لرعيّتهم؟ قال له يحيى: السبب في ذلك أنّ آل معاذ لما تغيّر أمرهم كان الذي وليَ البلاد بعدهم آل طاهر في عدلهم، وإنصافهم، واستعفافهم عن أموال الناس، ورغبتهم في اصطناع أهل البيوتات، فقدّموا آل معاذ وأكرموهم، وأنّ آل طاهر لمّا زالت عنهم كان سلطان بلادهم آل الصفّار في ظلمهم، وغشمهم، ومعاداتهم لأهل البيوتات ومناصبتهم لأهل الشرف والنعم، فأتوا عليهم وأزالوا نعمتهم.

فقال إسماعيل: لله درّك يا يحيى، فقد شفيتَ صدري! وأمر له بصلة.

ولما وليَ بعد أخيه كان يكاتب أصحابه وأصدقاءه بما كان يكاتبهم أولاً، فقيل له في ذلك، فقال: يجب علينا، إذا زادنا اللّه رفعة، أن لا ننقص إخواننا (٧/٨) بل نزيدهم رفعةً، وعُلىً، وجاهاً، ليزيدوا لنا إخلاصاً وشكراً.

ولمّا ولّيَ بعده ابنه أبو نصر أحمد، واستوثق أمره، أراد الخروج إلى الرَّي، فأشار عليه إبراهيم بن زيدويه بالخروج إلى سمرقند والقبض على عمّه إسحاق بن أحمد لئلا يخرج عليه ويشغله، ففعل ذلك، واستدعى عمّه إلى بخارى، فحضر فاعتقله بها، ثم عبر إلى خراسان، فلما ورد نيسابور هرب بارس الكبير من جرجان إلى بغداد، خوفاً منه.

وكان سبب خوفه أن الأمير إسماعيل كان قد استعمل ابنه أحمد على جُرجان لمّا أخذها من محمد بن زيد، ثمّ عزله عنها، واستعمل عليها بارس الكبير، على ما ذكرناه، فاجتمع عند بارس أموال جمّة من خراج الرَّيّ، وطبرستان، وجُرجان، فبلغت ثمانين وقراً، فحملها إلى إسماعيل، فلمّا سارت عنه بلغه خبر موت إسماعيل، فردّها وأخذها، فلمّا سار إليه أحمد خافه، وكتب إلى المكتفي يستأذنه في المصير إليه، فأذن له في ذلك، فسار إليه في أربعة آلاف فارس، فأرسل أحمد خلفه عسكراً، فلم يدركوه، واجتاز الرَّيّ، فتحصّن بها نائب أحمد بن إسماعيل، فسار إلى بغداد، فوصلها وقد مات المكتفي، وولي المقتدر بعده، فأعجبه المقتدر.

وكان وصوله بعد حادثة ابن المعتزّ، فسيّره المقتدر في عسكره إلى بني حمدان وولاه ديار ربيعة، فخافه أصحاب الخليفة أن يتقدّم عليهم، فوضعوا عليه (٨/٨) غلاماً له فسمّه فمات، واستولى غلامه على ماله، وتزوّج امرأته، وكان موته بالموصل.

ذكر وفاة المكتفي

في هذه السنة في ذي القعدة توفي أمير المؤمنين المكتفي باللّه أبو محمد علي ابن المعتضد باللّه أبي العبّاس أحمد بن الموفّق بن المتوكّل؛ وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً، وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة، وقيل اثنتين وثلاثين سنة؛ وكان رَبعاً جميلاً، رقيق البشرة، حسن الشَّعر، وافر اللحية، وكنيته أبو محمد، وأمه أم ولد تركيّة، اسمها جيجك؛ وطال عليه مرضه عدة شهورة، ولمّا مات دفن بدار محمد بن طاهر، رحمه اللّه.

ذكر خلافة المقتدر باللّه

وكان السبب في ولاية المقتدر باللّه الخلافة، وهو أبو الفضل

جعفر بن المعتضد، أنّ المكتفي لمّا ثقل في مرضه أفكر الوزير حينئذ، وهو العبّاس بن (٩/٨) الحسن، فيمن يصلح للخلافة، وكان عادته أن يسايره، إذا ركب إلى دار الخلافة، واحدٌ من هؤلاء الأربعة الذين يتولّون الدواوين، وهم: أبو عبد اللّه محمد بن داود بن الجرّاح، وأبو الحسن محمد بن عبدان، وأبو الحسن عليُّ بن محمد الفُرات وأبو الحسن عليُّ بن عيسى، فاستشار الوزير يوماً محمد بن داود بن الجرّاح في ذلك، فأشار بعبد اللّه بن المعتزّ، ووصفه بالعقل والأدب والرأي، واستشار بعده أبا الحسن بن الفرات، فقال: هذا شيء ما جرت به عادتي أشير فيه، وإنّما أشاور في العُمّال لا في الخلفاء؛ فغضب الوزير وقال: هذه مقاطعة باردة، وليس يخفى عليك الصحيح.

وألحّ عليه، فقال: إن كان رأي الوزير قد استقرّ على أحد يعيّنه فليفعل؛ فعلم أنّه عنى ابن المعتز لاشتهار خبره، فقال الوزير: لا أقنع إلا أن تمحضني النصيحة. فقال ابن الفُرات: فليتّق اللّه الوزير، ولا ينصّب إلا من قد عرفه، واطّلع على جميع أحواله، ولا ينصّب بخيلاً فيضيّق على الناس ويقطع أرزاقهم، ولا طمّاعاً فيشره في أموالهم، فيصادرهم ويأخذ أموالهم وأملاكهم، ولا قليل الدين فلا يخاف العقوبة والأثام، ويرجو الثواب فيما يفعله، ولا يولّ مَن عرف نعمة هذا، وبستان هذا، وضيعة هذا، وفرس هذا، ومن قد لقي الناس ولقوه، وعاملهم وعاملوه، ويتخيّل، ويحسب حساب نِعم الناس، وعرف وجوه دخلهم وخرجهم. فقال الوزير: صدقتَ ونصحتَ، فبمن تشير؟ (١٠/٨)

قال: أصلح الموجود جعفر بن المعتضد؛ قال: ويحك، هو صبي؛ قال ابن الفرات: إلا أنه ابن المعتضد، ولم نأتِ برجل كامل يباشر الأمور بنفسه، غير محتاج إلينا.

ثم إنّ الوزير استشار عليَّ بن عيسى، فلم يسمّ أحداً، وقال: لكن ينبغي أن يتّقي اللّه، وينظر من يصلح للدين والدنيا؛ فمالت نفس الوزير إلى ما أشار به ابن الفرات، وانضاف إلى ذلك وصيّة المكتفي، فإنّه أوصى، لما اشتدّ مرضه، بتقليد أخيه جعفر الخلافة، فلمّا مات المكتفي نصّب الوزير جعفراً للخلافة، وعيّنه لها، وأرسل صافياً الحرميَّ إليه ليحذّره من دور آل طاهر بالجانب الغربي وكان يسكنها، فلما حطّه في الحرّاقة وحدره، وصارت الحرّاقة مقابل دار الوزير، صاح غلمان الوزير بالملاح ليدخل إلى دار الوزير، فظن صافي الحرميُّ أنّ الوزير يريد القبض على جعفر، وينصّب في الخلافة غيره، فمنع الملاح من ذلك، وسار إلى دار الخلافة، وأخذ له صافي البيعة على الخدم، وحاشية الدار، ولقّب نفسه المقتدر باللّه، ولحق الوزير به وجماعة الكتّاب فبايعوه، ثم جهّزوا المكتفي ودفنوه بدار محمد بن طاهر.

ولمّا بويع المقتدر كان في بيت المال، حين بويع، خمسة عشر ألف ألف دينار، فأطلق يد الوزير في بيت المال فأخرج منه حق البيعة.

وكان مولد المقتدر ثامن رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وأمه أم (١١/٨) ولد يقال لها شغب، فلمّا بويع استصغره الوزير، وكان عمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة، وكثر كلام الناس فيه، فعزم على خلعه، وتقليد الخلافة أبا عبد اللّه محمد بن المعتمد على اللّه، وكان حسن السيرة، جميل الوجه والفعل، فراسله في ذلك، واستقرّ الحال، وانتظر الوزير قدوم بارس حاجب إسماعيل صاحب خراسان، وكان قد أذن له في القدوم، كما ذكرناه، وأراد الوزير [أن] يستعين به على ذلك، ويتقوّى به على غلمان المعتضد، فتأخّر بارس.

واتّفق أنّه وقع بين أبي عبد اللّه بن المعتمد وبين ابن عمرَوَيه، صاحب الشُّرطة، منازعة في ضيعة مشتركة بينهما، فأغلظ له ابن عمرَويه، فغضب ابن المعتمد غضباً شديداً، وأُغمي عليه وفلج في المجلس، فحُمل إلى ثيته في محفّة، فمات في اليوم الثاني، فأراد الوزير البيعة لأبي الحسين بن المتوكّل، فمات أيضاً بعد خمسة أيام، وتمّ أمر المقتدر.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة كانت وقعة بين نجح بن جاخ وبين الأجناد بمنى، ثاني عشر ذي الحجّة، فقُتل منهم جماعة، لأنهم طلبوا جائزة بيعة المقتدر (١٢/٨) باللّه، وهرب الناس إلى بستان ابن عامر، وأصاب الحجّاج في عودهم عطش عظيم فمات منهم جماعة.

وحُكي أنّ أحدهم كان يبول في كفّه ثم يشربه.

وفيها خرج عبد اللّه بن إبراهيم المسمعيُّ عن أصبهان إلى قرية من قراها مخالفاً للخليفة، واجتمع إليه نحو من عشرة آلاف من الأكراد وغيرهم، فأُمر بدر الحمّاميُّ بالمسير إليه، فسار في خمسة آلاف من الجند، وأرسل إليه منصور بن عبد اللّه بن منصور الكاتب يخوّفه عاقبة الخلاف، فسار إليه وأدّى إليه الرسالة، فرجع إلى الطاعة، وسار إلى بغداد، واستخلف على عمله بأصبهان، فرضي عنه المكتفي باللّه.

وفيها كانت وقعة للحسين بن موسى على أعراب طَيّ، الذين كانوا حصروا وصيفاً، على غرّة منهم، فقتل فيهم كثيراً، وأسر.

وفيها أوقع الحسن بن أحمد بالأكراد الذين تغلبوا على نواحي الموصل، فظفر بهم، واستباحهم، ونهب أموالهم، وهرب رئيسهم إلى رؤوس الجبال، فلم يُدرَك. (١٣/٨)

وفيها فتح المظفَّر بن جاخ بعض ما كان غلب عليه الخارجي باليمن، وأخذ رئيساً من رؤساء أصحابه، ويُعرف بالحكيمي.

وفيها تمّ الفداء بين المسلمين والروم في ذي القعدة، وكان عدة مَن فودي به من الرجال والنساء ثلاثة آلاف نفس؛ وحجّ بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشميُّ.

وفيها توفي أبو بكر محمد بن إسماعيل بن مهران الجُرجانيُّ الإسماعيليُّ، الفقيه الشافعيُّ المحدّث؛ ومحمد بن أحمد بن نصر أبو جعفر الترمذيُّ، الفقيه الشافعيُّ، توفي ببغداد؛ وأبو الحسين أحمد بن محمد النُّوريُّ شيخ الصُّوفيّة؛ وتوفي الحسين بن عبد الله بن أحمد أبو علي الخِرَقِيُّ، الفقيه الحنبليُّ، يوم الفطر (الخِرَقِيُّ بالخاء المعجمة والقاف)؛ وعبد الله ابن أبي دارة. (١٤/٨)

سنة سِت وتسعين ومائتين

ذكر خلع المقتدر وولاية ابن المعتز

وفي هذه السنة اجتمع القوّاد، والقضاة، والكتّاب، مع الوزير العباس بن الحسن، على خلع المقتدر، والبيعة لابن المعتز، وأرسلوا إلى ابن المعتز في ذلك، فأجابهم على أن لا يكون فيه سفك دم، ولا حرب، فأخبروه باجتماعهم عليه، وأنهم ليس لهم منازعٌ ولا محاربٌ.

وكان الرأس في ذلك العباس بن الحسن، ومحمد بن داود بن الجراح، وأبو المثنى أحمد بن يعقوب القاضي؛ ومن القوّاد الحسين بن حمدان، وبدر الأعجميُّ، ووصيف بن صوارتكين.

ثمّ إنّ الوزير رأى أمره صالحاً مع المقتدر، وأنه على ما يحب، فبدا له في ذلك، فوثب به الآخرون فقتلوه، وكان الذي تولى قتله منهم الحسين بن حمدان، وبدر الأعجمي، ووصيف، ولحقوه، وهو سائر إلى بستان له، فقتلوه في طريقه، وقتلوا معه فاتكاً المعتضدي، وذلك في العشرين من ربيع الأول، وخُلع المقتدر من الغد، وبايع الناس لابن المعتز.

وركض الحسين بن حمدان إلى الحلبة ظنّاً منه أنّ المقتدر يلعب هناك (١٥/٨) بالكرة، فيقتله، فلم يصادفه، لأنه كان هناك، فبلغه قتل الوزير وفاتك، فركض دابّته فدخل الدار، وغُلّقت الأبواب، فندم الحسين حيث لم يبدأ بالمقتدر.

وأحضروا ابن المعتز وبايعوه بالخلافة، وكان الذي يتولى أخذ البيعة له محمد بن سعيد الأزرق، وحضر الناس، والقوّاد، وأصحاب الدواوين، سوى أبي الحسن بن الفرات، وخواصّ المقتدر، فإنهم لم يحضروا، ولُقّب ابن المعتز المرتضي بالله، واستوزر محمد بن داود بن الجراح، وقلّد علي بن عيسى الدواوين، وكُتبت الكتب إلى البلاد من أمير المؤمنين المرتضي بالله أبي العباس عبد الله بن المعتز بالله، ووجّه إلى المقتدر يأمره بالانتقال إلى دار ابن طاهر التي كان مقيماً فيها، لينتقل هو إلى دار الخلافة، فأجابه بالسمع والطاعة، وسأل الإمهال إلى الليل.

وعاد الحسين بن حمدان بُكرة غدٍ إلى دار الخلافة، فقاتله الخدم والغلمان والرجالة من وراء الستور عامة النهار، فانصرف عنهم آخر النهار، فلمّا جنّه الليل سار عن بغداد بأهله وماله وكل ما له إلى الموصل، لا يدري لمَ فعل ذلك؛ ولم يكن بقي مع المقتدر من القوّاد غير مؤنس الخادم، ومؤنس الخازن، وغريب الخال وحاشية الدار.

فما هم المقتدر بالانتقال عن الدار قال بعضهم لبعض: لا نسلم الخلافة من غير أن نُبلي عُذراً، ونجتهد في دفع ما أصابنا؛ فأجمع رأيهم على أن يصعدوا في الماء إلى الدار التي فيها ابن المعتز بالحرم يقاتلونه، فأخرج لهم (١٦/٨) المقتدر السلاح والزرديّات وغير ذلك، وركبوا السُّمَيريّات، وأصعدوا في الماء، فلما رآهم مَن عند ابن المعتز هالهم كثرتهم، واضطربوا، وهربوا على وجوههم من قبل أن يصلوا إليهم، وقال بعضهم لبعض: إنّ الحسين بن حمدان عرف ما يريد [أن] يجري فهرب من الليل، وهذه مواطأة بينه وبين المقتدر، وهذا كان سبب هربه.

ولمّا رأى ابن المعتز ذلك ركب ومعه وزيره محمد بن داود وهربا، وغلام له ينادي بين يديه: يا معشر العامة، ادعوا لخليفتكم السنّي البربهاريّ، وإنّما نسبت هذه النسبة لأن الحسين بن القاسم بن عبيد الله البربهاري كان مقدّم الحنابلة والسُّنة من العامة، ولهم فيه اعتقاد عظيم، فأراد استمالتهم بهذا القول.

ثمّ إنّ ابن المعتز ومَن معه ساروا نحو الصحراء، ظناً منهم أن مَن بايعه من الجند يتبعونه، فلم يلحقه منهم أحد، فكانوا عزموا أن يسيروا إلى سُرَّ من رأى بمن يتبعهم من الجند، فيشتد سلطانهم، فلمّا رأوا أنهم لم يأتهم أحدٌ رجعوا عن ذلك الرأي، واختفى محمد بن داود في داره ونزل ابن المعتز عن دابّته، ومعه غلامه يَمِن، وانحدر إلى دار أبي عبد الله بن الجصّاص، فاستجار به، واستتر أكثر من بايع ابن المعتز، ووقعت الفتنة والنهب والقتل ببغداد، وثار العيّارون والسُّفّل ينهبون الدور.

وكان ابن عمرَويه، صاحب الشُّرطة، ممن بايع ابن المعتز، فلمّا هرب جمع ابن عمرَويه أصحابه، ونادى بشعار المقتدر، يدلّس بذلك، (١٧/٨) فناداه العامة: يا مرائي، يا كذاب! وقاتلوه، فهرب واستتر، وتفرّق أصحابه، فهجاه يحيى بن علي بأبياتٍ منها:

بايعوه فلم يكن عند الأنـ ... ـسوك إلا التغييرُ والتخبيطُ
رافضيّون بايعوا أنصَبَ الأ ... مّة هذا لعمريَ التخليطُ

ثـمّ ولّـى مـن زُعقَـةٍ ومحـامو ه ومـن خلفهـم لهـم تضريـطُ

وقلّد المقتدر، تلك الساعة، الشُّرطة مؤنساً الخازن، وهو غير مونس الخادم، وخرج بالعسكر، وقبض على وصيف بن صوارتكين وغيره، فقتلهم، وقبض على القاضي أبي عمر، وعلي بن عيسى، والقاضي محمد ابن خلف وكيع، ثم أطلقهم، وقبض على القاضي المثنّى أحمد بن يعقوب، فقتله لأنه قيل له: بايع المقتدر، فقال: لا أبايع صبياً، فذُبح.

وأرسل المقتدر إلى أبي الحسن بن الفرات، وكان مختفياً، فأحضره، واستوزره، وخلع عليه.

وكان في هذه الحادثة عجائب منها: أنّ الناس كلهم أجمعوا على خلع (١٨/٨) المقتدر والبيعة لابن المعتز، فلم يتم ذلك، بل كان على العكس من إرادتهم، وكان أمر اللّه مفعولاً.

ومنها أن ابن حمدان، على شدّة تشيّعه وميله إلى علي، عليه السلام، وأهل بيته، يسعى في البيعة لابن المعتز على انحرافه عن علي وغلوّه في النصْب إلى غير ذلك.

ثم إنّ خادماً لابن الجَصّاص، يُعرف بسوسن، أخبر صافياً الحرمي بأنّ ابن المعتز عند مولاه، ومعه جماعة، فكبُست دار ابن الجَصّاص، وأُخذ ابن المعتز منها، وحُبس إلى الليل، وعُصِرت خصيتاه حتى مات، ولُفّ في كساء، وسُلّم إلى أهله.

وصودر ابن الجَصّاص على مال كثير، وأُخذ محمد بن داود وزير ابن المعتز، وكان مستتراً، فقتل، ونُفي علي بن عيسى إلى واسط، فأرسل إلى الوزير ابن الفرات يطلب منه أن يأذن له في المسير إلى مكة، فأذن له في ذلك فسار إليها على طريق البصرة وأقام بها.

وصودر القاضي أبو عمر على مائة ألف دينار، وسيّرت العساكر من بغداد في طلب الحسين بن حمدان فتبعوه إلى الموصل، ثم إلى بَلَد فلم يظفروا به، فعادوا إلى بغداد فكتب الوزير إلى أخيه أبي الهيجاء بن حمدان، وهو الأمير على الموصل، يأمره بطلبه، فسار إليه في بَلَد، ففارقها الحسين إلى سِنجار، (١٩/٨) وأخوه في أثره، فدخل البرّيّة فتبعه أخوه عشرة أيام، فأدركه، فاقتتلوا، فظفر أبو الهيجاء، وأسر بعض أصحابه، وأخذ منه عشرة آلاف دينار، وعاد عنه إلى الموصل، ثم انحدر إلى بغداد، فلما كان فوق تكريت أدركه أخوه الحسين، فبيّته، فقتل منهم قتلى، وانحدر أبو الهيجاء إلى بغداد.

وأرسل الحسين إلى ابن الفرات، وزير المقتدر، يسأله الرضى عنه، فشفع فيه إلى المقتدر باللّه ليرضى عنه، وعن إبراهيم بن كَيْغَلَغ، وابن عمرَويه صاحب الشُّرطة وغيرهم، فرضي عنهم، ودخل الحسين بغداد، فردّ عليه أخوه ما أخذ منه، وأقام الحسين ببغداد إلى أن وليَ قُمّ فسار إليها، وأخذ الجرائد التي فيها أسماء مَن أعان على المقتدر، فغرّقها في دجلة، وبسط ابن الفرات العدل والإحسان وأخرج الإدرارات للعباسيين والطالبيّين، وأرضى القوّاد بالأموال، ففرّق معظم ما كان في بيوت الأموال.

ذكر حادثة ينبغي أن يحتاط من مثلها ويفعل فيها مثل فعل صاحبها

كان سليمان بن الحسن بن مخلّد متصلاً بابن الفرات، وبينهما مودة وصداقة، فوجد الوزير كتب البيعة لابن المعتز بخط سليمان لاتّصال كان لمحمد بن داود بن الجرّاح وقرابة بينهما، فلم يُظهر عليها المقتدر، وأخفاها عنه، وأحسن ابن الفرات إلى سليمان، وقلّده الأعمال، فسعى سليمان بابن (٢٠/٨) الفرات إلى المقتدر، وكتب بخطّه مطالعة تتضمن ذكر أملاك الوزير وضياعه ومستغلاته وما يتعلق بأسبابه، وأخذ الرقعة ليوصلها إلى المقتدر، فلم يتهيأ له ذلك.

وحضر دار الوزير وهي معه، وسقطت من كمّه، فظفر بها بعضُ الكتّاب فأوصلها إلى الوزير، فلما قرأها قبض على سليمان، وجعله في زورق، وأحضره إلى واسط، ووكل به هناك، وصادره، ثم أراد العفو عنه، فكتب إليه: نظرتُ، أعزّك اللّه، في حقّك عليّ وجرمك إليّ، فرأيتُ الحق موفياً على الجرم، وتذكّرتُ من سالف خدمتك ما عطفني عليك، وثناني إليك وأعادني لك إلى أفضل ما عهدت، وأجمل ما ألفت؛ وأطلق له عشرة آلاف درهم، وعفا عنه، واستعمله وأكرمه.

ذكر ولاية أبي مضر إفريقية وهربه إلى العراق وما كان من أمره

في هذه السنة، مستهلّ شهر رمضان، وليَ أبو مُضر زيادة اللّه بن أبي العباس بن عبد اللّه إفريقية، بعد قتل أبيه، فعكف على اللذات والشهوات (٢١/٨) وملازمة الندماء والمضحكين، وأهمل أمور المملكة وأحوال الرعيّة، وأرسل كتاباً يوم ولّي إلى عمّه الأحول على لسان أبيه يستعجله في القدوم عليه، ويحثّه على السرعة، فسار مجّداً ولم يعلم بقتل أبي العباس، فلمّا وصل قتله، وقتل مَن قدر عليه من أعمامه وإخوته.

واشتدت شوكة أبي عبد اللّه الشيعي في أيامه، وقوي أمره، وكان الأحول قبالته، فلمّا قُتل صفتْ له البلاد، ودانت له الأمصار والعباد، فسيّر إليه زيادة اللّه جيشاً مع إبراهيم بن أبي الأغلب، وهو من بني عمّه، بلغت عدّتهم أربعين ألفاً سوى مَن انضاف إليه، فهزمه أبو عبد اللّه الشيعي على ما ذكرناه آنفاً؛ فلما اتصل بزيادة اللّه خبر الهزيمة علم أنه لا مقام له لأن هذا الجمع هو آخر ما انتهت قدرته إليه، فجمع ما عزّ عليه من أهل ومال وغير ذلك، وعزم على الهرب إلى بلاد الشرق، وأظهر للناس أنه قد جاءه خبرُ

هزيمة أبي عبد اللّه الشيعي، وأمر بإخراج رجال من الحبس، فقتلهم، وأعلم خاصته حقيقة الحال، وأمرهم بالخروج معه.

فاشار عليه بعض أهل دولته بأن لا يفعل ولا يترك ملكه. قال لهم: إنّ أبا عبد اللّه لا يجسر عليه، فشتمه، وردّ عليه رأيه، وقال: أحبّ الأشياء إليك أن يأخذني بيدي. وانصرف كل واحد من خاصته وأهله يتجهّز للمسير معه، وأخذ ما أمكنه حمله.

وكانت دولة آل الأغلب بإفريقية قد طالت مدتها، وكثرت عبيدها (٢٢/٨) وقوي سلطانها، وسار عن إفريقية إلى مصر في سنة ست وتسعين ومائتين، واجتمع معه خلق عظيم، فلم يزل سائراً حتى وصل طرابلس، فدخلها، فأقام بها تسعة عشر يوماً، ورأى بها أبا العباس أخا أبي عبد اللّه الشيعي، وكان محبوساً بالقيروان، حبسه زيادة اللّه، فهرب إلى طرابلس، فلما رآه أحضره وقرره: هل هو أخو أبي عبد اللّه؟ فأنكر وقال: أنا رجل تاجر قيل عني إنني أخو أبي عبد اللّه فحبستني. فقال له زيادة اللّه: أنا أطلقك، فإن كنت صادقاً في أنك تاجر فلا نأثم فيك، وإن كنتَ كاذباً، وأنت أخو أبي عبد اللّه، فليكن للصنيعة عندك موضع، وتحفظنا فيمن خلّفناه. وأطلقه.

وكان من كبار أهله وأصحابه إبراهيم بن أبي الأغلب، فأراد قتله وقتل رجل آخر كانا قد عرضا أنفسهما على ولاية القيروان، فعلما ذلك، وهربا إلى مصر، وقدما على العامل بهاوهو عيسى النُوشريُّ، فتحدثا معه، وسعيا بزيادة اللّه، وقالا له: إنه يُمنّي نفسه بولاية مصر، فوقع ذلك في نفسه، وأراد منعه عن دخول مصر إلا بأمر الخليفة من بغداد، فوصل زيادة اللّه ليلاً، وعبر الجسر إلى الجيزة قهراً، فلما رأى ذلك النُوشريُّ لم يمكنه منعه، فأنزله بدار ابن الجصّاص، ونزل أصحابه في مواضع كثيرة، فأقام ثمانية أيام، ورحل يريد بغداد، فهرب عنه بعض أصحابه، وفيهم غلام له، وأخذ منه مائة (٢٣/٨) ألف دينار، فأقام عند النُوشريّ، فأرسل النُوشريُّ إلى الخليفة، وهو المقتدر باللّه، يعرّفه حال زيادة اللّه وحال من تخلّف عنه بمصر، فأمره برد من تخلّف عنه إليه مع المال، ففعل.

وسار زيادة اللّه حتى بلغ الرَّقّة وكتب إلى الوزير، وهو ابن الفرات، يسأله في الإذن له لدخول بغداد، فأمره بالتوقف، فبقي على ذلك سنة، فتفرّق عنه أصحابه، وهو مع هذا مُدمن الخمر، واستماع الملاهي، وسُعي به إلى المقتدر، وقيل له يُرَدّ إلى المغرب يطلب بثاره، فكتب إليه بذلك وكتب إلى النُوشري بإنجاده بالرجال والعدد والأموال من مصر ليعود إلى المغرب، فعاد إلى مصر، فأمره النُوشري بالخروج إلى ذات الحمّام ليكون هناك إلى أن يجتمع إليه ما يحتاج إليه من الرجال والمال، ففعل، ومطله، فطال مُقامه، وتتابعت به الأمراض، وقيل بل سمّه بعض غلمانه، فسقط شعر لحيته، فعاد إلى مصر، وقصد البيت المقدس، فتوفي بالرملة ودُفن بها.

فسبحان الحي الذي لا يموت، ولا يزول ملكه، ولم يبق بالمغرب من بني الأغلب أحد، وكانت مدة ملكهم مائة سنة واثنتي عشرة سنة، وكانوا يقولون: إننا نخرج إلى مصر والشام، ونربط خيلنا في زيتون فلسطين؛ فكان زيادة اللّه هو الخارج إلى فلسطين على هذه الحال لا على ما ظنّوه.(٢٤/٨)

ذكر ابتداء الدولة العلويّة بإفريقية

هذه دولة اتسعت أكناف مملكتها، وطالت مدتها، فإنها ملكت إفريقية هذه السنة، وانقرضت دولتهم بمصر سنة سبع وستين وخمسمائة، فنحتاج [أن] نستقصي ذكرها فنقول:

أول مَن ولي منهم أبو محمد عبيد اللّه، فقيل هو محمد بن عبد اللّه بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي اللّه عنهم، ومَن ينسب هذا النسب يجعله عبد اللّه بن ميمون القدّاح الذي يُنسب إليه القداحية، وقيل هو عبيد اللّه بن أحمد بن إسماعيل الثاني ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي اللّه عنهم.

وقد اختلف العلماء في صحة نسبه، فقال هو وأصحابه القائلون بإمامته: إنّ نسبه صحيح على ما ذكرناه، ولم يرتابوا فيه، وذهب كثير من العلويين العالمين بالأنساب إلى موافقتهم أيضاً، ويشهد بصحّة هذا القول ما قاله الشريف الرَّضيُّ:

ما مُقامي على الهوان وعندي ... مِقْوَلٌ صارمٌ، وأنفٌ حميُّ

ألبسُ الذُلّ في بلاد الأعادي، ... وبمصر الخليفةُ العلويُّ

مَنْ أبوه أبي، ومولاه مولا ... ي إذا ضامني البعيدُ القَصيُّ

(٢٥/٨)

لفّ عرقي بعرقه سيّدا النّا ... س جميعاً: محمدٌ، وعليُّ

إنّ ذُلّي بذلك الجَوّ عزٌّ ... وأوامي بذلك النَقعِ ريُّ

وإنما لم يودعها في بعض ديوانه خوفاً، ولا حجّة بما كتبه في المحضر المتضمن القدح في أنسابهم، فإن الخوف يحمل على أكثر من هذا، على أنه قد ورد ما يصدق ما ذكرتُه، وهو أن القادر باللّه لما بلغته هذه الأبيات أحضر القاضي أبا بكر بن الباقلاني، فأرسله إلى الشريف أبي أحمد الموسوي، والد الشريف الرضي، يقول له: قد عرفتَ منزلتك منّا، وما لا نزال عليه من الاعتداد بك بصدق الموالاة منك، وما تقدّم لك في الدولة من مواقف محمودة، ولا يجوز أن تكون أنت على خليفة ترضاه، ويكون ولدك على ما يضادّها، وقد بلغنا أنه قال شعراً، وهو كذا وكذا، فيا ليت شعري على أي مقام ذلّ أقام، وهو ناظر في النقابة والحج، وهما من

أشرف الأعمال، ولو كان بمصر لكان كبعض الرعايا؛ وأطال القول، فحلف أبو أحمد أنه ما علم بذلك.

وأحضر ولده وقال له في المعنى فأنكر الشعر، فقال له: اكتب خطك إلى الخليفة بالاعتذار، واذكر فيه أنّ نسب المصري مدخولٌ، وأنه مدع في نسبه؛ فقال: لا أفعل! فقال أبوه: تكذبني في قولي؟ فقال: ما أكذبك، (٢٦/٨) ولكني أخاف من الديلم، وأخاف من المصري ومن الدُّعاة في البلاد؛ فقال أبوه: أتخاف ممن هو بعيد عنك، وتراقبه، وتسخط من هو قريب، وأنت بمرأى منه ومسمع، وهو قادر عليك وعلى أهل بيتك؟

وتردد القول بينهما، ولم يكتب الرضيُّ خطه، فحرد عليه أبوه وغضب وحلف أنه لا يقيم معه في بلد، فآل الأمر إلى أن حلف الرضيُّ أنه ما قال هذا الشعر واندرجت القصة على هذا.

ففي امتناع الرضي من الاعتذار، ومن أن يكتب طعناً في نسبهم مع الخوف، دليلٌ قويٌّ على صحة نسبهم.

وسألتُ أنا جماعة من أعيان العلويين في نسبه، فلم يرتابوا في صحته، وذهب غيرهم إلى أن نسبه مدخول ليس بصحيح، وعدا طائفة منهم إلى أن جعلوا نسبه يهودياً، وقد كُتب في الأيام القادرية محضر يتضمن القدح في نسبه ونسب أولاده، وكتب فيه جماعة من العلويين وغيرهم أن نسبه إلى أمير المؤمنين عليّ غير صحيح.

فمن كتب فيه من العلويين المرتضي، وأخوه الرضيُّ، وابن البطحاوي، وابن الأزرق العلويان، ومن غيرهم ابن الأكفاني وابن الخرزي، وأبو العباس الأبيوردي، وأبو حامد، والكشفلي، والقدوري، والصَّيمريُّ، (٢٧/٨) وأبو الفضل النسوي، وأبو جعفر النسفيُّ، وأبو عبد اللّه بن النعمان، فقيه الشيعة.

وزعم القائلون بصحة نسبه أن العلماء ممن كتب في المحضر إنما كتبوا خوفاً وتقيّة، ومن لا علم عنده بالأنساب فلا احتجاج بقوله.

وزعم الأمير عبد العزيز، صاحب تاريخ إفريقية والمغرب، أن نسبه مُعرقٌ في اليهودية، ونقل فيه عن جماعة من العلماء، وقد استقصى ذكر ابتداء دولتهم، وبالغ.

وأنا أذكر معنى ما قاله مع البراءة من عهدة طعنه في نسبه، وما عداه فقد أحسن فيما ذكر، قال:

لمّا بعث اللّه تعالى سيد الأولين والآخرين محمداً ﷺ عظم ذلك على اليهود والنصارى والروم والفرس وقريش، وسائر العرب، لأنه سفّه أحلامهم، وعاب أديانهم وآلهتهم، وفرّق جمعهم، فاجتمعوا يداً واحدة عليه، فكفاه اللّه كيدهم، ونصره عليهم، فأسلم منهم مَن هداه اللّه تعالى؛ فلما قُبض ﷺ نجم النفاق، وارتدت العرب، وظنوا أن الصحابة يضعفون بعده، فجاهد أبو بكر، رضي اللّه عنه، في سبيل اللّه، فقتل مسيلمة، ورد الرِّدة، وأذلّ الكفر، ووطّأ جزيرة العرب، وغزا فارس والروم، فلما حضرته الوفاة ظنوا أن بوفاته ينتقص الإسلام، فاستخلف عمر بن الخطاب، فأذل فارس والروم، وغلب على ممالكها، (٢٨/٨) فدسّ عليه المنافقون أبا لؤلؤة فقتله، ظناً منهم أن بقتله ينطفىء نور الإسلام فوليَ بعده عثمان، فزاد في الفتوح، واتسعت مملكة الإسلام، فلما قُتل وولي بعده أمير المؤمنين علي قام بالأمر أحسن قيام، فلما يئس أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة أخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة، وتشكيك ضعفة العقول في دينهم، بأمور قد ضبطها المحدثون، وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطعن عليه.

فكان أول من فعل ذلك أبو الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بني أسد، وأبو شاكر ميمون بن ديصان، صاحب كتاب الميزان في نصرة الزندقة، وغيرهما، فألقوا إلى من وثقوا به أن لكل شيء من العبادات باطناً، وأن اللّه تعالى لم يوجب على أوليائه، ومن عرف الأئمة والأبواب، صلاة، ولا زكاة، ولا غير ذلك، ولا حرّم عليهم شيئاً، وأباحوا لهم نكاح الأمهات والأخوات، وإنما هذه قيود للعامة ساقطة عن الخاصة.

وكانوا يظهرون التشيع لآل النبي ﷺ ليستروا أمرهم، ويستميلوا العامة، وتفرّق أصحابهم في البلاد، وأظهروا الزهد والعبادة، يغرّون الناس بذلك وهم على خلافه، فقُتل أبو الخطاب وجماعة من أصحابه بالكوفة، وكان أصحابه قالوا له: إنّا نخاف الجند؛ فقال لهم: إنّ (٢٩/٨) أسلحتهم لاتعمل فيكم؛ فلمّا ابتدؤوا في ضرب أعناقهم قال له أصحابه: ألم تقل إن سيوفهم لا تعمل فينا؟ فقال: إذا كان قد أراد اللّه فما حيلتي؟

وتفرّقت هذه الطائفة في البلاد وتعلموا الشعبذة، والنارنجيات، والزرق، والنجوم، والكيمياء، فهم يحتالون على كل قوم بما يتفق عليهم وعلى العامة بإظهار الزهد.

ونشأ لابن ديصان ابن يقال له عبد اللّه القداح، علّمه الحيل، وأطلعه على أسرار هذه النِّحلة، فحذق وتقدّم.

وكان بنواحي كرخ وأصبهان رجل يُعرف بمحمد بن الحسين ويلقّب بدندان يتولى تلك المواضع، وله نيابة عظيمة، وكان يبغض العرب، ويجمع مساويهم، فسار إليه القدّاح، وعرّفه من ذلك ما زاد به محلّه، وأشار عليه أن لا يُظهر ما في نفسه، إنما يكتمه، ويُظهر التشيّع والطعن على الصحابة، فإن الطعن فيهم طعن في الشريعة، فإن بطريقهم وصلتَ إلى من بعدهم. فاستحسن قوله وأعطاه مالاً عظيماً ينفقه على الدُّعاة إلى هذا المذهب، فسيّره إلى كُوَر الأهواز،

والبصرة، والكوفة، وطالقان، وخراسان، وسلميّة، من أرض حمص، وفرّقه في دعاته؛ وتوفي القدّاح، ودندان.

(٣٠/٨)وإنما لقّب القدّاح لأنه كا يعالج العيون ويقدحها. فلما توفي القدّاح قام بعده ابنه أحمد مقامه، وصحبه إنسان يقال له رستم بن الحسين بن حوشب بن داذان النجّار، من أهل الكوفة، فكانا يقصدان المشاهد، وكان باليمن رجل اسمه محمد بن الفضل كثير المال والعشيرة من أهل الجَنَد، يتشيّع، فجاء إلى مشهد الحسين بن علي يزوره، فرآه أحمد ورستم يبكي كثيراً، فلما خرج اجتمع به أحمد، وطمع فيه لما رأى من بكائه، وألقى إليه مذهبه، فقبله، وسيّر معه النجّار إلى اليمن، وأمره بلزوم العبادة والزهد ودعوة الناس إلى المهدي وأنه خارج في هذا الزمان باليمن، فسار النجار إلى اليمن، ونزل بعدن، بقرب قوم من الشيعة يُعرفون ببني موسى، وأخذ في بيع ما معه.

وأتاه بنو موسى، وقالوا له: فيمَ جئتَ؟ قال: للتجارة. قالوا لستَ بتاجر، وإنما أنت رسول المهدي، وقد بلغنا خبرُك، ونحن بنو موسى، ولعلك قد سمعتَ بنا، فانبسطْ، ولا تحتشم، فإنّا إخوانك. فأظهر أمره، وقوّى عزائمهم، وقرب أمر المهدي فسأمرهم بالاستكثار من الخيل والسلاح، وأخبرهم أن هذا أوان ظهور المهدي، ومن عندهم يظهر.

واتصلتْ أخباره بالشيعة الذين بالعراق، فساروا إليه، فكثر جمعهم، وعظم بأسهم، وأغاروا على من جاورهم، وسبوا، وجبوا الأموال، وأرسل إلى مَن بالكوفة من ولد عبد اللّه القدّاح هدايا عظيمة، وكانوا أنفذوا إلى المغرب رجلين أحدهما يُعرف بالحلواني، والآخر يُعرف بأبي سفيان، (٣١/٨) وقالوا لهما: إنّ المغرب أرض بور، فاذهبا فاحرثا حتى يجيء صاحب البذر؛ فسارا فنزل أحدهما بأرض كتامة ببلد يسمى مَرْمَجَنّة والآخر بسوق حمار، فمالت قلوب أهل تلك النواحي إليهما، وحملوا إليهما الأموال والتحف، فأقاما سنين كثيرة، وماتا، وكان أحدهما قريب الوفاة من الآخر.

ذكر إرسال أبي عبد اللّه الشيعي إلى المغرب

كان أبو عبد اللّه الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعيُّ من أهل صنعاء، وقد سار إلى ابن حوشب النجار، وصحبه بعدن، وصار من كبار أصحابه، وكان له علم وفهم ودهاء ومكر، فلما أتى خبر وفاة الحلواني وأبي سفيان إلى ابن حوشب قال لأبي عبد اللّه الشيعي: إنّ أرض كُتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان، وقد ماتا، وليس لها غيرك، فبادِرْ، فإنها موطّأة ممهّدة لك.

فخرج أبو عبد اللّه إلى مكة، وأعطاه ابن حوشب مالاً، وسيّر معه عبد اللّه بن أبي ملاحف، فلما قدم أبو عبد اللّه مكة سأل عن حُجّاج كُتامة فأُرشد إليهم، فاجتمع بهم، ولم يعرّفهم قصده، وجلس قريباً منهم، فسمعهم يتحدثون بفضائل أهل البيت، فأظهر استحسان ذلك، وحدثهم بما لم يُعلموه، (٣٢/٨) فلما أراد القيام سألوه أن يأذن لهم في زيارته والانبساط معه، فأذن لهم في ذلك، فسألوه أين مقصده، فقال: أُريد مصر؛ ففرحوا بصحبته.

وكان من رؤساء الكُتاميّين بمكة رجل اسمه حُرَيث الجُميليُّ، وآخر اسمه موسى بن مكاد، فرحلوا، وهو لا يخبرهم بغرضه، وأظهر لهم العبادة والزهد، فازدادوا فيه رغبةً، وخدموه، وكان يسألهم عن بلادهم وأحوالهم وقبائلهم، وعن طاعتهم لسلطان إفريقية، فقالوا: ما له علينا طاعة، وبيننا وبينه عشرة أيام. قال: أفتحملون السلاح؟ قالوا: هو شغلنا؛ولم يزل يتعرّف أحوالهم، حتى وصلوا إلى مصر، فلما أراد وداعهم قالوا له: أي شيء تطلب بمصر؟ قال: أطلب التعليم بها، قالوا: إذا كنتَ تقصد هذا فبلادنا أنفع لك، ونحن أعرف بحقّك؛ ولم يزالوا به حتى أجابهم إلى المسير معهم بعد الخضوع والسؤال، فسار معهم.

فلما قاربوا بلادهم لقيهم رجال من الشيعة، فأخبروهم بخبره، فرغبوا في نزوله عندهم، واقترعوا فيمن يضيفه منهم ثم رحلوا حتى وصلوا إلى أرض كُتامة، منتصف شهر ربيع الأول سنة ثمانين ومائتين، فسأله قوم منهم أن ينزل عندهم حتى يقاتلوا دونه، فقال لهم: أي يكون فج الأخيار؟ فتعجّبوا من ذلك، ولم يكونوا ذكروه له، فقالوا له: عند بني سليان فقال: إليه نقصد، ثم نأتي كل قوم منكم في ديارهم، ونزورهم في بيوتهم؛ فأرضى بذلك الجميع.

(٣٣/٨)وسار إلى جبل يقال له إنكجان، وفيه فجّ الأخيار، فقال: هذا فجّ الأخيار، وما سُمّي إلا بكم، ولقد جاء في الآثار: إنّ للمهدي هِجرة تنبو عن الأوطان، ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان، قوم مشتق اسمهم من الكِتمان، فإنهم كُتامة، وبخروجكم من هذا الفجّ يسمى فجّ الأخيار.

فتسامعت القبائل، وصنع من الحيل، والمَكيدات والنارنجيات ما أذهل عقولهم، وأتاه البربر من كل مكان، وعظم أمره إلى أن تقاتلت كُتامة عليه مع قبائل البربر، وسلم من القتل مراراً، وهو في كل ذلك لا يذكر اسم المهدي، فاجتمع أهل العلم على مناظرته وقتله، فلم يتركه الكُتاميّون يناظرهم، وكان اسمه عندهم أبا عبد اللّه المشرقي.

وبلغ خبره إلى إبراهيم بن أحمد بن الأغلب أمير إفريقية، فأرسل إلى عامله على مدينةِ مِيْلَةَ يسأله عن أمره، فصغّره وذكر له أنه يلبس الخشن، ويأمر بالخير والعبادة، فسكت عنه.

ثم إنه قال للكُتاميّين: أنا صاحب البذر الذي ذكر لكم أبو سفيان والحلوانيُّ؛ فازدادت محبتهم له، وتعظيمهم لأمره، وتفرّقت

كلمة البربر وكُتامة بسببه، فأراد بعضهم قتله، فاختفى، ووقع بينهم قتال شديد، واتصل الخبر بإنسان اسمه الحسن بن هارون، وهو من أكابر كُتامة، فأخذ أبا عبد (٣٤/٨) الله إليه، ودافع عنه، ومضيا إلى مدينة ناصرون، فأتته القبائل من كل مكان وعظم شأنه، وصارت الرئاسة للحسن بن هارون، وسلم إليه أبو عبد الله أعنة الخيل، وظهر من الاستتار، وشهر الحروب، فكان الظفر له فيها، وغنم الأموال، وانتقل إلى مدينة ناصرون وخندق عليها، فزحفت قبائل البربر إليها، واقتتلوا، ثم اصطلحوا، ثم أعادوا القتال، وكان بينهم وقائع كثيرة، وظفر بهم، وصارت إليه أموالهم، فاستقام له أمر البربر وعامة كُتامة.

ذكر ملكه مدينة مِيْلَةَ وانهزامه

فلما تمّ لأبي عبد الله ذلك زحف إلى مدينة مِيْلة، فجاءه منها رجل اسمه الحسن بن أحمد، فأطلعه على غرّة البلد، فقاتل أهله قتالاً شديداً، وأخذ الأرباض، فطلبوا منه الأمان فأمّنهم، ودخل مدينة مِيلة، وبلغ الخبر أمير إفريقية، وهو حينئذٍ إبراهيم بن أحمد، فنفّذ ولده الأحول في اثني عشر ألفاً، وتبعه مثلهم، فالتقيا، فاقتتل العسكران، فانهزم أبو عبد الله، وكثر القتل في أصحابه، وتبعه الأحول، وسقط ثلج عظيم حال بينهم، وسار أبو عبد الله إلى جبل إنكِجّان، فوصل الأحول إلى مدينة ناصرون، فأحرقها، وأحرق مدينة مِيلة، ولم يجد بها أحداً.

وبنى أبو عبد الله بإنْكِجّان دار هجرة، فقصدها أصحابه، وعاد (٣٥/٨) الأحول إلى إفريقية، فسار أبو عبد الله بعد رحيلهم، فغنم ما رأى مما تخلّف عنهم؛ وأتاه خبر وفاة إبراهيم، فسُرّ به، ثم أتاه خبر قتل أبي العباس ولده، وولاية زيادة الله، واشتغاله باللّهو واللعب، فاشتدّ سروره.

وكان الأحول قد جمع جيشاً كثيراً أيام أخيه أبي العباس، ولقي أبا عبد الله، فانهزم الأحول.

وبقي الأحول قريباً منه يقاتله ويمنعه من التقدم، فلما ولي أبو مُضر زيادة الله إفريقية أحضر الأحول وقتله، كما ذكرناه؛ ولم يكن أحولَ، وإنما كان يكسر عينه إذا أدام النظر فلُقّب به؛ فلما قُتل انتشرت حينئذ جيوش أبي عبد الله في البلاد، وصار أبو عبد الله يقول: المهديُّ يخرج في هذه الأيام، ويملك الأرض، فيا طوبى لمن هاجر إليّ وأطاعني! ويغري الناس بأبي مُضر، ويعيبه.

وكان كل مَن عند زيادة الله من الوزراء شيعة، فلا يسوءهم أن يظفر أبو عبد الله لا سيما مع ما كان يُذْكَر لهم من الكرامات التي للمهدي من إحياء الموتى، ورد الشمس من مغربها، وملكه الأرض بأسرها! وأبو عبد الله يرسل إليهم، ويسحرهم، ويعدهم. (٣٦/٨)

ذكر سبب اتصال المهدي عبيد الله بأبي عبد الله الشيعي ومسيره إلى سِجِلْمَاسة

لما توفي عبد الله بن ميمون القدّاح ادعى ولده أنهم من ولد عقيل بن أبي طالب، وهم مع هذا يسترون، ويُسيِّرون أمرهم، ويُخفون أشخاصهم.

وكان ولده أحمد هو المشار إليه منهم، فتوفي وخلّف ولده محمداً، وكان هو الذي يكاتبه الدعاة في البلاد، وتوفي محمد وخلّف أحمد والحسين، فسار الحسين إلى سَلَمِيّة من أرض حمص، وله بها ودائع وأموال من ودائع جدّه عبد الله القدّاح، ووكلاء، وغلمان، وبقي ببغداد من أولاد القدّاح أبو الشلَغْلَغ.

وكان الحسين يدّعي أنه الوصي وصاحب الأمر، والدعاة باليمن والمغرب يكاتبونه ويراسلونه؛ واتفق أنه جرى بحضرته حديث النساء بسَلَمِيّة، فوصفوا له امرأة رجل يهودي حداد، مات عنها زوجها، وهي في غاية الحسن، فتزوجها، ولها ولد من الحداد يماثلها في الجمال، فأحبها وحسن موقعها معه، وأحب ولدها، وأدّبه، وعلّمه، فتعلّم العلم، وصارت له نفس عظيمة، وهمّة كبيرة.

فمن العلماء من أهل هذه الدعوة مَن يقول: إن الإمام الذي كان بسَلَمِيّة، وهو الحسين، مات ولم يكن [له] ولدٌ، فعهد إلى ابن اليهودي الحدّاد، وهو (٣٧/٨) عبيد الله، وعرّفه أسرار الدعوة من قول وفعل، وأين الدُّعاة، وأعطاه الأموال والعلامات، وتقدّم إلى أصحابه بطاعته وخدمته، وأنه الإمام والوصي، وزوّجه ابنة عمّه أبي الشلَغْلَغ. وهذا قول أبي القاسم الأبيض العلوي وغيره، وجعل لنفسه نسباً، وهو عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

وبعض الناس يقولون، وهم قليل: إن عبيد الله هذا من ولد القدّاح، وهذه الأقوال فيها ما فيها، فيا ليت شعري ما الذي حمل أبا عبد الله الشيعي وغيره ممن قام بإظهار هذه الدعوة، حتى يخرجوا هذا الأمر من أنفسهم، ويسلّموه إلى ولد يهودي، وهل يسامح نفسه بهذا الأمر من يعتقده ديناً يثاب عليه؟

قال: فلما عهد الحسين إلى عبيد الله قال له: إنك ستهاجر بعدي هجرة بعيدة، وتلقى محناً شديدةً؛ فتوفي الحسين، وقام بعده عبيد الله، وانتشرت دعوته، وبذل الأموال خلاف مَن تقدّم، وأرسل إليه أبو عبد الله رجالاً من كُتامة من المغرب ليخبروه بما فتح الله عليه، وأنهم ينتظرونه.

وشاع خبره عند الناس أيام المكتفي فطُلب، فهرب هو وولده أبو القاسم نزار الذي ولي بعده، وتلقّب بالقائم، وهو يومئذ غلام،

وخرج معه خاصته ومواليه يريد المغرب، وذلك أيام زيادة اللّه، فلما انتهى إلى مصر أقام مستتراً بزيّ التجار، وكان عامل مصر حينئذ عيسى النُّوشري، فأتته الكتب من الخليفة بصفته وحليته، وأمر بالقبض عليه وعلى كل مَن يشبهه.

(٣٨/٨)وكان بعض خاصّة عيسى متشيّعاً، فأخبر المهدي وأشار عليه الانصراف، فخرج من مصر مع أصحابه، ومعه أموال كثيرة، فأوسع النفقة على مَن صحبه، فلما وصل الكتاب إلى النُّوشري فرّق الرسل في طلب المهدي وخرج بنفسه فلحقه، فلما رآه لم يشك فيه، فقبض عليه، ونزل ببستان، ووكل به، فلما حضر الطعام دعاه ليأكل، فأعلمه أنه صائم، فرقّ له، وقال له: أعلمني بحقيقة حالك حتى أُطلقك؛ فخوّفه باللّه تعالى، وأنكر حاله، ولم يزل يخوّفه ويتلطّفه فأطلقه، وخلى سبيله، وأراد أن يرسل معه مَن يوصله إلى رفقته، فقال: لا حاجة بي إلى ذلك، ودعا له.

وقيل: إنه أعطاه في الباطن مالاً حتى أطلقه، فرجع بعض أصحاب النُّوشري عليه باللوم، فندم على إطلاقه، وأراد إرسال الجيش وراءه ليردّوه، وكان المهدي لما لحق أصحابه رأى ابنه أبا القاسم قد ضيّع كلباً كان له يصيد به، وهو يبكي عليه، فعرّفه عبيده أنهم تركوه في البستان الذي كانوا فيه، فرجع المهدي بسبب الكلب، حتى دخل البستان ومعه عبيده، فرآهم النُّوشري فسأل عنهم فقيل: إنه فلان، وقد عاد بسبب كذا وكذا فقال النُّوشريُّ لأصحابه: قبحكم اللّه! أردتم أن تحملوني على قتل هذا حتى آخذه، فلو كان يطلب ما يقال أو كان مُريباً لكان يطوي المراحل، ويخفي نفسه، وما كان رجع في طلب كلب؛ وتركه.

وجدّ المهدي في الهرب، فلحقه لصوصٌ بموضع يقال له الطاحونة، (٣٩/٨) فأخذوا بعض متاعه، وكانت عنده كتب وملاحم لآبائه، فأُخذت، فعظم أمرها عليه، فيقال إنه لما خرج ابنه أبو القاسم في المرّة الأولى إلى الديار المصرية أخذها من ذلك المكان.

وانتهى المهدي وولده إلى مدينة طرابلس، وتفرّق مَن صحبه من التجار، وكان في صحبته أبو العباس أخو أبي عبد اللّه الشيعي، فقدمه المهدي إلى القيروان ببعض ما معه، وأمره أن يلحق بكُتامة. فلما وصل أبو العباس إلى القيروان وجد الخبر قد سبقه إلى زيادة اللّه بخبر المهدي، فسأل عنه رفقته، فأخبروا أنه تخلف بطرابلس، وأن صاحبه أبا العباس بالقيروان، فأُخذ أبو العباس، وقُرّر فأنكر وقال: إنما أنا رجل تاجر صحبتُ رجلاً في القفل؛ فحبسه.

وسمع المهدي، فسار إلى قَسطيلة، ووصل كتاب زيادة اللّه إلى عامل طرابلس بأخذه، وكان المهدي قد أهدى له واجتمع به، فكتب العامل يخبره أنه قد سار ولم يدركه، فلما وصل المهدي إلى قَسطيلة ترك قصد أبي عبد اللّه الشيعي، لأن أخاه أبا العباس كان قد أُخذ، فعلم أنه إذا قصد أخاه تحققوا الأمر وقتلوه، فتركه وسار إلى سِجِلماسة، ولما سار من قسطيلة، وصل الرسل في طلبه فلم يوجد، ووصل إلى سِجلماسة فأقام بها؛ وفي كل ذلك عليه العيون في طريقه.

وكان صاحب سِجلماسة رجلاً يسمى اليَسَع بن مدرار، فأهدى له المهدي، وواصله، فقرّبه اليسَع، وأحبه، فأتاه كتاب زيادة اللّه يعرّفه أنه الرجل الذي يدعو إليه أبو عبد اللّه الشيعي، فقبض عليه وحبسه، فلم يزل محبوساً حتى أخرجه أبو عبد اللّه على ما نذكره. (٤٠/٨)

ذكر استيلاء أبي عبد اللّه على إفريقية وهرب زيادة اللّه أميرها

قد ذكرنا من حال أبي عبد اللّه ما تقدّم، ثم إن زيادة اللّه لمّا رأى استيلاء أبي عبد اللّه على البلاد، وأنه قد فتح مدينة مِيلة ومدينة سَطيف، وغيرهما، أخذ في جمع العساكر، وبذل الأموال، فاجتمعت إليه عساكر عظيمة، فقدّم عليهم إبراهيم بن خُنَيْش وهو من أقاربه، وكان لا يعرف الحرب، فبلغت عدة جيشه أربعين ألفاً، وسلّم إليه الأموال والعُدد، ولم يترك بإفريقية شجاعاً إلا أخرجه معه، وسار إليه، فانضاف إليه مثل جيشه، فلما وصل قسطنطينية الهواء، وهي مدينة قديمة حصينة، نزل بها، وأتاه كثير من كُتامة الذين لم يطيعوا أبا عبد اللّه، فقتل في طريقه كثيراً من أصحاب أبي عبد اللّه، وخاف أبو عبد اللّه منه، وجميع كُتامة، وأقام بقسطنطينية ستة أشهر، وأبو عبد اللّه متحصّن في الجبل.

فلمّا رأى إبراهيم أن أبا عبد اللّه لا يتقدّم إليه بادر وزحف بالعساكر المجتمعة إلى بلد اسمه كرمة، فأخرج إليه أبو عبد اللّه خيلاً اختارها ليختبر نزوله، فوافاها بالموضع المذكور، فلمّا رأى إبراهيم الخيل قصد إليها بنفسه، ولم يصحبه إليها أحدٌ من جيشه، وكانت أثقال العسكر على ظهور الدواب لم تحطّ، ونشبت الحرب، واقتتلوا قتالاً شديداً.

واتصل الخبر بأبي عبد اللّه، فزحف بالعساكر، فوقعت الهزيمة على إبراهيم (٤١/٨) ومَن معه فجُرح، وعُقر فرسه، وتمّت الهزيمة على الجيش جميعه، وأسلموا الأثقال بأسرها، فغنمها أبو عبد اللّه، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وتمّ [أمر] إبراهيم إلى القيروان، فشاشت بلاد إفريقية، وعظم أمر أبي عبد اللّه، واستقرّت دولته، وكتب أبو عبد اللّه كتاباً إلى المهدي، وهو في سجن سِجلماسة، يبشّره، وسيّر الكتاب مع بعض ثقاته، فدخل السجن في زي قصّاب يبيع اللحم، فاجتمع به وعرّفه ذلك.

وسار أبو عبد اللّه إلى مدينة طُبْنَة، فحصرها، ونصب عليها الدبابات، ونقب برجاً وبدنة، فسقط السور بعد قتال شديد، وملك

البلد، فاحتمى المقدّمون بحصن البلد، فحصرهم، فطلبوا الأمان، فأمّنهم، وأمّن أهل البلد، وسار إلى مدينة بلزمة، وكان قد حصرها مراراً كثيرة فلم يظفر بها، فلما حصرها الآن ضيّق عليها، وجدّ في القتال، ونصب عليها الدبابات، ورماها بالنار، فأحرقها، وفتحها بالسيف وقتل الرجال، وهدم الأسوار.

واتصلت الأخبار بزيادة اللّه، فعظم عليه [ذلك]، وأخذ في الجمع والحشد، فجمع عسكراً عدّتهم اثنا عشر ألفاً، وأمّر عليهم هارون بن الطُّبنيّ، فسار، واجتمع معه خلق كثير، وقصد مدينة دار ملوك، وكان أهلها قد أطاعوا أبا عبد اللّه، فقتل هارون أهلها، وهدم الحصن، ولقيه في طريقه خيل لأبي عبد اللّه كان قد أرسلها ليختبروا عسكره، فلمّا رآها العسكر اضطربوا، وصاحوا صيحة عظيمة، هربوا من غير قتال، فظنّ أصحاب أبي عبد اللّه (٤٢/٨) أنها مكيدة، فلمّا ظهر أنها هزيمة استدركوا الأمر، ووضعوا السيف، فما يحصى مَن قتلوا؛ وقُتل هارون أمير العسكر، وفتح أبو عبد اللّه مدينة تيجس صلحاً، فاشتدّ الأمر حينئذ على زيادة اللّه، وأخرج الأموال، وجيّش الجيوش، وخرج بنفسه إلى محاربة أبي عبد اللّه، فوصل إلى الأُربُس في سنة خمس وتسعين ومائتين، فقال له وجوه دولته: إنك تغرر بنفسك، فإن يكن عليك لا يبقى لنا ملجأ، والرأي أن ترجع إلى مستقر ملكك، وترسل الجيش مع مَن تثق به، فإن كان الفتح لنا فنصل إليك، وإن كان غير ذلك فتكون ملجأ لنا.

ورجع ففعل ذلك، وسيّر الجيش، وقدّم عليه رجلاً من بني عمّه يقال له إبراهيم بن أبي الأغلب، وكان شجاعاً، وبلغ أبا عبد اللّه الخبر، وكان أهل باغاية قد كاتبوه بالطاعة، فسار إليهم فلمّا قرب منها هرب عاملها إلى الأُربُس، فدخلها أبو عبد اللّه، وترك بها جنداً، وعاد إلى إنكِجَان، ووصل الخبر إلى زيادة اللّه، فزاده غمّاً وحزناً، فقال له إنسان كان يضحّكه: يا مولانا لقد عملتُ بيت شعر، فعسى تجعل من يلحّنه وتشرب عليه واترك هذا الحزن؛ فقال: ما هو؟ فقال المضحك للمغنّين: غنّوا شعراً كذا، وقولا بعد فراغ كل بيت:

اشرب واسقينا من القرن يكفينا

(٤٣/٨) فلما غنّوا طرب زيادة اللّه، وشرب، وانهمك في الأكل والشرب والشهوات، فلما رأى ذلك أصحابه ساعدوه على مراده.

ثم إن أبا عبد اللّه أخرج خيلاً إلى مدينة مَجَانةَ فافتتحها عنوةً، وقتل عاملها، وسيّر عسكراً آخر إلى مدينة تيفاش، فملكها وأمّن أهلها.

وقصد جماعة من رؤساء القبائل أبا عبد اللّه يطلبون منه الأمان فأمّنهم، وسار بنفسه إلى مسكيانة ثم إلى تَبِسّةَ، ثم إلى مدبرة، فوجد فيها أهل قصر الإفريقي ومدينة مَرمَجَنّة، ومدينة مَجَانَة، وأخلاطاً من الناس قد التجؤوا إليها وتحصّنوا فيها، وهي حصينة، فنزل عليها، وقاتلها، فأصابه علّة الحصى، وكانت تعتاده، فشغل بنفسه، وطلب أهلها الأمان فأمّنهم بعض أهل العسكر، ففتحوا الحصن، فدخلها العسكر، ووضعوا السيف، وانتهبوا.

وبلغ ذلك أبا عبد اللّه، فعظم عليه، ورحل، فنزل على القصرين من قمودة وطلب أهلها الأمان فأمّنهم، وبلغ إبراهيم بن أبي الأغلب، أمير الجيش الذي سيّره زيادة اللّه، أنّ أبا عبد اللّه يريد [أن] يقصد زيادة اللّه برَقّادةَ، ولم يكن مع زيادة اللّه كبير عسكر، فخرج من الأُربُس ونزل دردمين، وسيّر أبو عبد اللّه سريّة إلى دردمين، فجرى بينهما وبين أصحاب زيادة اللّه قتال، فقُتل من أصحاب أبي عبد اللّه جماعة، وانهزم الباقون.

واستبطأ أبو عبد اللّه خبرهم، فسار في جميع عساكره، فلقي أصحابه منهزمين، فلما رأوه قويت قلوبهم، ورجعوا، وكرّوا على أصحاب (٤٤/٨) إبراهيم، وقتلوا منهم جماعة، وحجز الليل بينهم.

ثم سار أبو عبد اللّه إلى قَسطيلة، فحصرها، فقاتله أهلها، ثم طلبوا الأمان فأمّنهم، وأخذ ما كان لزيادة اللّه فيها من الأموال والعُدد، ورحل إلى قَفْصَةَ، فطلب أهلها الأمان فأمنهم، ورجع إلى باغاية، فترك بها جيشاً، وعاد إلى جبل إنكِجَان.

فسار إبراهيم بن أبي الأغلب في جيشه إلى باغاية وحصرها، فبلغ الخبر أبا عبد اللّه، فجمع عسكره وسار مجدّاً إليها، ووجّه اثني عشر ألف فارس، وأمر مقدّمهم أن يسير إلى باغاية، فإن كان إبراهيم قد رحل عنها فلا يجاوز فجّ العَرعار، فمضى الجيش، وكان أصحاب أبي عبد اللّه الذين في باغاية قد قاتلوا عسكر إبراهيم قتالاً شديداً، فلما رأى صبرهم عجب هو وأصحابه منهم، فأرعب ذلك قلوبهم؛ ثم بلغهم قرب العسكر منهم، فعاد إبراهيم بعساكره، فوصل عسكر أبي عبد اللّه، فلم يرَ واحداً، فنهبوا ما وجدوا وعادوا.

ورجع إبراهيم إلى الأُربُس. ولما دخل فصل الربيع، وطاب الزمان، جمع أبو عبد اللّه عساكره، فبلغت مائتي ألف فارس وراجل، واجتمع من عساكر زيادة اللّه بالأُربُس مع إبراهيم ما لا يُحصى، وسار أبو عبد اللّه، أول جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ومائتين، فالتقوا، واقتتلوا أشدّ قتال، (٤٥/٨) وطال زمانه، وظهر أصحاب زيادة اللّه، فلما رأى ذلك أبو عبد اللّه اختار من أصحابه ستمائة راجل، وأمرهم أن يأتوا عسكر زيادة اللّه من خلفهم، فمضوا لما أمرهم في الطريق الذي أمرهم بسلوكه.

واتّفق أن إبراهيم فعل مثل ذلك، فالتقى الطائفتان، فاقتتلوا في مضيق هناك فانهزم أصحاب إبراهيم، ووقع الصوت في عسكره

بكمين أبي عبد اللّه وانهزموا، وتفرّقوا، وهرب كل قوم إلى جهة بلادهم، وهرب إبراهيم وبعض من معه إلى القيروان، وتبعهم أصحاب أبي عبد اللّه يقتلون ويأسرون، وغنموا الأموال والخيل والعُدّد، ودخل أصحابه مدينة الأُربُس فقتلوا بها خلقاً عظيماً، ودخل كثير من أهلها الجامع فقتل فيه أكثر من ثلاثة آلاف ونهبوا البلد، وكانت الوقعة أواخر جمادى الآخرة، وانصرف أبو عبد اللّه إلى قمودة.

فلما وصل خبر الهزيمة إلى زيادة اللّه هرب إلى الديار المصرية، وكان من أمره ما تقدم ذكره، ولما هرب زيادة اللّه هرب أهل مدينة رقّادة على وجوههم، في الليل، إلى القصر القديم، وإلى القيروان، وسوسة، ودخل أهل القيروان رقّادة ونهبوا ما فيها، وأخذ القويُّ الضعيف، ونهبت قصور بني الأغلب، وبقي النهب ستة أيام.

ووصل إبراهيم بن أبي الأغلب إلى القيروان، فقصد قصر الإمارة، واجتمع إليه أهل القيروان، ونادى مناديه بالأمان، وتسكين الناس، وذكر لهم أحوال زيادة اللّه، وما كان عليه، حتى أفسد ملكه؛ وصغّر أمر أبي عبد اللّه الشيعي، (٤٦/٨) ووعدهم أن يقاتل عنهم، ويحمي حريمهم وبلدهم، وطلب منهم المساعدة بالسمع والطاعة والأموال، فقالوا: إنما نحن فقهاء، وعامة، وتجار، وما في أموالنا ما يبلغ غرضك، وليس لنا بالقتال طاقة؛ فأمرهم بالانصراف، فلما خرجوا من عنده وأعلموا الناس بما قاله صاحوا به: اخرج عنّا، فما لك عندنا سمع ولا طاعة! وشتموه، فخرج عنهم وهم يرجمونه.

ولما بلغ أبا عبد اللّه هرب زيادة اللّه كان بناحية سَبِيبَةَ، ورحل فنزل بوادي النمل، وقدّم بين يديه عروبة بن يوسف، وحسن بن أبي خنزير، في ألف فارس إلى رقّادة، فوجدوا الناس ينهبون ما بقي من الأمتعة والأثاث، فأمّنوهم ولم يتعرّضوا لأحد، وتركوا لكل واحد ما حمله، فأتى الناس إلى القيروان، فأخبروه الخبر، ففرح أهلها.

وخرج الفقهاء ووجوه البلد إلى لقاء أبي عبد اللّه، فلقوه، وسلّموا عليه، وهنّأوه بالفتح، فردّ عليهم رداً حسناً، وحدّثهم، وأعطاهم الأمان، فأعجبهم ذلك وسرّهم، وذمّوا زيادة اللّه، وذكروا مساوئه، فقال لهم: ما كان إلا قوياً، وله مَنَعة، ودولة شامخة، وما قصّر في مدافعته، ولكنّ أمر اللّه لا يُعانَد ولا يُدافع! فأمسكوا عن الكلام، ورجعوا إلى القيروان.

ودخل رقّادة يوم السبت، مستهلّ رجب من سنة ست وتسعين ومائتين، فنزل ببعض قصورها، وفرّق دورها على كُتامة، ولم يكن بقي أحد من أهلها فيها، وأمر فنودي بالأمان، فرجع الناس إلى أوطانهم، وأخرج العمّال إلى البلاد، وطلب أهل الشرّ فقتلهم، وأمر أن يجمع ما كان لزيادة اللّه (٤٧/٨) من الأموال، والسلاح، وغير ذلك، فاجتمع كثير منه، وفيه كثير من الجواري لهنّ مقدار وحظّ من الجمال، فسأل عمّن كان يكفلهنّ، فذُكر له امرأة صالحة كانت لزيادة اللّه، فأحضرها، وأحسن إليها، وأمر بحفظهنّ، وأمر لهن بما يصلحهنّ ولم ينظر إلى واحدة منهن.

ولمّا حضرت الجمعة أمر الخطباء بالقيروان ورَقّادة، فخطبوا ولم يذكروا أحداً، وأمر بضرب السكّة، وأن لا يُنقش عليها اسمٌ، ولكنه جعل مكان الاسم من وجه: بلغت حجّة اللّه؛ ومن الوجه الآخر: تفرّق أعداء اللّه؛ ونقش على السلاح: عُدّةٌ في سبيل اللّه؛ ووسم الخيل على أفخاذها: الملك لله؛ وأقام على ما كان عليه من لبس الدون الخشن، والقليل من الطعام الغليظ.

ذكر مسير أبي عبد اللّه إلى سِجِلماسة وظهور المهدي

لمّا استقرت الأمور لأبي عبد اللّه في رقّادة وسائر بلاد إفريقية أتاه أخوه أبو العباس محمد، ففرح به، وكان هو الكبير، فسار أبو عبد اللّه في رمضان من السنة من رقّادة، واستخلف على إفريقية أخاه أبا العباس، وأبا زاكي، وسار في جيوش عظيمة، فاهتز المغرب لخروجه، وخافته زَناتة،وزالت القبائل عن طريقه، وجاءته رسلهم ودخلوا في طاعته.

فلما قرب من سِجِلْماسة، وانتهى خبره إلى اليَسَع بن مِدرار، أمير سجلماسة، أرسل إلى المهدي، وهو في حبسه، على ما ذكرناه، يسأله عن نسبه وحاله، وهل إليه قصد أبو عبد اللّه؟ فحلف له المهدي أنه ما رأى أبا (٤٨/٨) عبد اللّه، ولا عرفه، وإنما أنا رجل تاجر؛ فاعتُقل في دار وحدة، وكذلك فعل بولده أبي القاسم، وجعل عليهما الحرس، وقرر ولده أيضاً، فما حال عن كلام أبيه، وقرر رجالاً كانوا معه، وضربهم، فلم يقروا بشيء.

وسمع أبو عبد اللّه ذلك، فشقّ عليه، فأرسل إلى اليَسَع يتلطّفه، وأنه لم يقصد الحرب، وإنما له حاجة مهمة عنده، ووعده الجميل، فرمى الكتاب، وقتل الرسل، فعاوده بالملاطفة خوفاً على المهدي، ولم يذكره له، فقتل الرسول أيضاً، فأسرع أبو عبد اللّه في السير، ونزل عليه، فخرج إليه اليَسَع، وقاتله يومه ذلك، وافترقوا، فلما جنّهم الليل هرب اليسع وأصحابه من أهله وبني عمّه، وبات أبو عبد اللّه ومَن معه في غمّ عظيم لا يعلمون ما صنع بالمهدي وولده، فلما أصبح خرج إليه أهل البلد، وأعلموه بهرب اليسع، فدخل هو وأصحابه البلد، وأتوا المكان الذي فيه المهدي، فاستخرجه، واستخرج ولده، فكانت في الناس مسرّة عظيمة كادت تذهب بعقولهم، فأركبهما، ومشى هو ورؤساء القبائل بين أيديهما، وأبو عبد اللّه يقول للناس: هذا مولاكم، وهو يبكي من شدّة الفرح، حتى وصل إلى فسطاط قد ضُرب له، فنزل فيه، وأمر بطلب اليسع، فطُلب، فأُدرك، فأُخذ وضُرب بالسياط ثم قُتل.

فلما ظهر المهدي أقام بسجلماسة أربعين يوماً، وسار إلى إفريقية، وأحضر الأموال من إنكجان، فجعلها أحمالاً وأخذها معه، ووصل إلى رقادة العشر الأخير من ربيع الآخر من سنة سبع وتسعين ومائتين، وزال (٤٩/٨) ملك بني الأغلب، وملك بني مدرار الذين منهم اليسع وكان لهم ثلاثون ومائة سنة منفردين بسجلماسة، وزال ملك بني رستم من تاهرت، ولهم ستون ومائة سنة تفردوا بتاهرت، وملك المهدي جميع ذلك. فلما قرب من رقّادة تلقّاه أهلها، وأهل القيروان، وأبو عبد اللّه، ورؤساء كتامة مشاةً بين يديه، وولده خلفه، فسلموا عليه، فرد [ردّاً] جميلاً، وأمرهم بالانصراف، ونزل بقصر من قصور رقادة، وأمر يوم الجمعة بذكر اسمه في الخطبة في البلاد، وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين.

وجلس بعد الجمعة رجل يُعرف بالشريف، ومعه الدعاة، وأحضروا الناس بالعنف والشدة، ودعوهم إلى مذهبهم فمن أجاب أُحسن إليه، فلم يدخل في مذهبهم إلا بعض الناس، وهم قليل وقُتل كثير ممن لم يوافقهم على قولهم.

وعرض عليه أبو عبد اللّه جواري زيادة اللّه، فاختار منهن كثيراً لنفسه ولولده أيضاً، وفرّق ما بقي على وجوه كتامة، وقسّم عليهم أعمال إفريقية، ودوّن الدواوين، وجبى الأموال، واستقرت قدمه، ودانت له أهل البلاد، واستعمل العمال عليها جميعها؛ فاستعمل على جزيرة صقلية الحسن بن أحمد بن أبي خنزير، فوصل إلى مازر عاشر ذي الحجة سنة سبع وتسعين ومائتين، فولى أخاه على جرجنت، وجعل قاضياً بصقلية إسحاق بن (٥٠/٨) المنهال، وهو أول قاضٍ تولى بها للمهدي العلوي.

وبقي ابن أبي خنزير إلى سنة ثمان وتسعين [ومائتين]، فسار في عسكره إلى دَمَنْشَ، فغنم، وسبى، وأحرق، وعاد فبقي مدة يسيرة، وأساء السيرة في أهلها، فثاروا به، وأخذوه وحبسوه، وكتبوا إلى المهدي بذلك، واعتذروا، فقبل عذرهم، واستعمل عليهم عليَّ بن عمر البَلَويَّ، فوصل آخر ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين.

ذكر قتل أبي عبد اللّه الشيعي وأخيه أبي العباس

في سنة ثمان وتسعين ومائتين قُتل أبو عبد اللّه الشيعي، قتله المهدي عبيد اللّه.

وسبب ذلك أن المهدي لما استقامت له البلاد، ودانت له العباد، وباشر الأمور بنفسه، وكفّ يد أبي عبد اللّه، ويد أخيه أبي العباس، داخل أبا العباس الحسد، وعظُم عليه الفطام عن الأمر والنهي، والأخذ والعطاء، فأقبل يُزري على المهدي في مجلس أخيه، ويتكلم فيه، وأخوه ينهاه، ولا يرضى فعله، فلا يزيده ذلك إلا لجاجاً.

(٥١/٨)ثم إنه أظهر أبا عبد اللّه على ما في نفسه، وقال له: ملكتَ أمراً، فجئت بمن أزالك عنه، وكان الواجب عليه أن لا يسقط حقّك.

ولم يزل حتى أثّر في قلب أخيه، فقال يوماً للمهدي: لو كنتَ تجلس في قصرك، وتتركني مع كُتامة آمرهم وأنهاهم، لأني عارفٌ بعاداتهم، لكان أهيب لك في أعين الناس.

وكان المهدي سمع شيئاً مما يجري بين أبي عبد اللّه وأخيه، فتحقق ذلك، غير أنه ردّ رداً لطيفاً، فصار أبو العباس يشير إلى المقدمّين بشيء من ذلك، فمن رأى منه قبولاً كشف له ما في نفسه، وقال: ما جازاكم على ما فعلتم، وذكر لهم الأموال التي أخذها المهدي من إنكِجَان، وقال: هلا قسّمها فيكم!

وكل ذلك يتصل بالمهدي، وهو يتغافل، وأبو عبد اللّه يداري، ثم صار أبو العباس يقول: إن هذا ليس الذي كنا نعتقد طاعته، وندعو إليه لأن المهدي يختم بالحجّة، ويأتي بالآيات الباهرة، فأخذ قوله بقلوب كثير من الناس، منهم إنسان من كُتامة يقال له شيخ المشايخ، فواجه المهدي بذلك، وقال: إن كنتَ المهدي فأظهر لنا آيةً، فقد شككنا فيك؛ فقتله المهدي، فخافه أبو عبد اللّه، وعلم أن المهدي قد تغيّر عليه، فاتفق هو وأخوه ومن معهما على الاجتماع عند أبي زاكي، وعزموا على قتل المهدي واجتمع معهم قبائل كُتامة إلا قليلاً منهم.

(٥٢/٨)وكان معهم رجل يُظهر أنه منهم، وينقل ما يجري إلى المهدي، ودخلوا عليه مراراً فلم يجسروا على قتله، فاتّفق أنهم اجتمعوا ليلة عند أبي زاكي، فلما أصبحوا لبس أبو عبد اللّه ثوبه مقلوباً، ودخل على المهدي، فرأى ثوبه، فلم يعرّفه به، ثم دخل عليه ثلاثة أيام والقميص بحاله، فقال له المهدي: ما هذا الأمر الذي أذهلك عن إصلاح ثوبك؟ فهو مقلوب منذ ثلاثة أيام فعلمتُ أنك ما نزعته؛ فقال: ما علمتُ بذلك إلا ساعتي هذه؛ قال: أين كنتَ البارحة والليالي قبلها؟ فسكت أبو عبد اللّه؛ فقال: أليس بتّ في دار أبي زاكي؟ قال: بلى. قال: وما الذي أخرجك من دارك؟ قال: خفتُ. قال: وهل يخاف الإنسان إلا من عدوّه؟ فعلم أن أمره ظهر للمهدي، فخرج وأخبر أصحابه، وخافوا، وتخلّفوا عن الحضور.

فذُكر ذلك للمهدي، وعنده رجل يقال له ابن القديم، كان من جملة القوم، وعنده أموال كثيرة، من أموال زيادة اللّه، فقال: يا مولاي إن شئتَ أتيتُك بهم، ومضى فجاء بهم، فعلم المهدي صحّة ما قيل عنه، فلاطفهم وفرّقهم في البلاد، وجعل أبا زاكي والياً على طرابلس، وكتب إلى عاملها أن يقتله عند وصوله، فلما وصلها قتله عاملها، وأرسل رأسه إلى المهدي، فهرب ابن القديم، فأُخذ، فأمر

المهدي بقتله فقُتل.

وأمر المهدي عُرُوبة ورجالاً معه أن يرصدوا أبا عبد اللّه وأخاه أبا العباس، ويقتلوهما، فلما وصلا إلى قرب القصر حمل عروبة على أبي عبد اللّه، فقال: لا تفعل يا بني! فقال: الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك؛ فقُتل هو وأخوه، وكان قتلهما في اليوم الذي قُتل فيه أبو زاكي، فقيل: إن المهدي صلى على أبي عبد اللّه، وقال: رحمك اللّه، أبا عبد اللّه، وجزاك خيراً بجميل سعيك.

(٥٣/٨)وثارت فتنة بسبب قتلهما، وجرّد أصحابهما السيوف، فركب المهدي وأمّن الناس، فسكنوا، ثم تتبّعهم حتى قتلهم.

وثارت فتنة ثانية بين كُتامة وأهل القيروان، قُتل فيها خلق كثير، فخرج المهدي وسكّن الفتنة، وكفّ الدعاة عن طلب التشيّع من العامة.

ولما استقامت الدولة للمهدي عهد إلى ولده أبي القاسم نزار بالخلافة، ورجعت كُتامة إلى بلادهم، فأقاموا طفلاً وقالوا: هذا هو المهدي، ثم زعموا أنه نبي يوحى إليه، وزعموا أن أبا عبد اللّه لم يمتْ، وزحفوا إلى مدينة ميلة، فبلغ ذلك المهدي فأخرج ابنه أبا القاسم، فحصرهم، فقاتلوه فهزمهم واتّبعهم حتى أجلاهم إلى البحر، وقتل منهم خلقاً عظيماً، وقتل الطفل الذي أقاموه.

وخالف عليه أهل صقلّية مع ابن وهب، فأنفذ إليهم أسطولاً، ففتحها وأتى بابن وهب فقتله.

وخالف عليه أهل تاهَرت، فغزاها، ففتحها، وقتل أهل الخلاف، وقتل جماعة من بني الأغلب برقّادة كانوا قد رجعوا إليها بعد وفاة زيادة اللّه.

ذكر عدة حوادث

فيها سُيّر القاسم بن سيما وجماعة من القوّاد في طلب الحسين بن حمدان، فساروا حتى بلغوا قَرقِيسياء والرَّحبَة، فلم يظفروا به، فكتب (٥٤/٨) المقتدر إلى أبي الهيجاء عبد اللّه بن حمدان، وهو الأمير بالموصل، يأمره بطلب أخيه الحسين، فسار هو والقاسم بن سيما، فالتقوا عند تكريت، فانهزم الحسين، فأرسل أخاه إبراهيم بن حمدان يطلب الأمان، فأُجيب إلى ذلك، ودخل بغداد، وخُلع عليه، وعُقد له على قُمّ وقاشان، فسار إليها وصرف عنها العباس بن عمرو.

وفيها وصل بارس غلام إسماعيل السامانيّ، وقُلّد ديار ربيعة، وقد تقدّم ذكره.

وفيها كانت وقعة بين طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث وبين سُبكرى غلام عمرو، فأسر طاهراً ووجّهه وأخاه يعقوب بن محمد بن عمرو إلى المقتدر مع كاتبه عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي، فأُدخلا بغداد أسيرين، فحُبسا، وكان سُبكرى قد تغلّب على فارس بغير أمر الخليفة، فلمّا وصل كاتبه قرّر أمره على مال يحمله، وكان وصوله إلى بغداد سنة سبع وتسعين.

وفيها خُلع على مؤنس المظفّر الخادم، وأُمر بالمسير إلى غزو الروم، فسار في جمع كثيف، فغزا من ناحية مَلَطْية، ومعه أبو الأعز السلميُّ، فظفر وغنم وأسر منهم جماعة وعاد.

وفيها قُلّد يوسف بن أبي الساج أعمال أرمينية وأذربيجان، وضمنها بمائة ألف وعشرين ألف دينار، فسار إليها من الدِّينَور.

وفيها سقط ببغداد ثلج كثير من بُكرة إلى العصر، فصار على الأرض أربع أصابع، وكان معه برد شديد، وجمد الماء والخلّ والبيض والأدهان، (٥٥/٨) وهلك النخل، وكثير من الشجر؛ وحجّ بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

وفيها توفي محمد بن طاهر بن عبد اللّه بن طاهر.

وفيها قُتل سَوسَن حاجب المقتدر، وسبب ذلك أنه كان له أثر في أمر ابن المعتز، فلما بويع ابن المعتز واستحجب غيره لزم المقتدر، فلما استوزر ابن الفرات تفرّد بالأمور، فعاداه سوسن، وسعى في فساد حاله، فأعلم ابن الفرات المقتدر باللّه بحال سوسن، وأنه كان ممن أعان ابن المعتز، فقبض عليه وقتله.

وفيها توفي محمد بن داود بن الجراح عمّ علي بن عيسى الوزير، وكان عالماً بالكتابة.

وفيها توفي عبد اللّه بن جعفر بن خاقان، وأبو عبد الرحمن الدهكانيُّ.(٥٦/٨)

سنة سبع وتسعين ومائتين

ذكر استيلاء الليث على فارس وقتله

في هذه السنة سار الليث بن علي بن الليث من سِجِستان إلى فارس [في جيش] وأخذها، واستولى عليها، وهرب سُبكرى عنها إلى أرّجان، فلما بلغ الخبر المقتدر جهّز مؤنساً الخادم وسيّره إلى فارس، معونة لسُبكرى، فاجتمعا بأرّجان.

وبلغ خبر اجتماعهما الليثَ، فسار إليهما، فأتاه الخبر بمسير الحسين ابن حمدان من قُمّ إلى البيضاء، معونة لمؤنس، فسيّر أخاه في بعض جيشه إلى شيراز ليحفظها، ثم سار في بعض جنده في طريق مختصر ليواقع الحسين بن حمدان، فأخذ به الدليل في طريق الرجّالة، فهلك أكثر دوابّه، ولقي هو وأصحابه مشقّة عظيمة، فقتل الدليل، وعدل عن ذلك الطريق، فأشرف على عسكر مؤنس، فظنّه هو وأصحابه أنه عسكره الذي سُيّر مع أخيه إلى شيراز، فكبّروا،

فثار إليهم مؤنس وسُبكرى في جندهما، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم عسكر الليث، وأخذ هو أسيراً.

فلما أسره مؤنس قال له أصحابه: إنّ المصلحة أن نقبض على سُبكرى، (٥٧/٨) ونستولي على بلاد فارس، ونكتب إلى الخليفة ليقرّها عليك؛ فقال: سأفعل غداً، إذا صار إلينا على عادته. فلما جاء الليل أرسل مؤنس إلى سُبكرى سرّاً يعرّفه ما أشار به أصحابه، وأمره بالمسير من ليلته إلى شيراز، ففعل، فلما أصبح مؤنس قال لأصحابه: أرى سُبكرى قد تأخّر عنّا، فتعرّفوا خبره؛ فسار إليه بعضهم، وعاد فأخبره أنّ سُبكرى سار من ليلته إلى شيراز، فلام أصحابه، وقال: من جهتكم بلغه الخبر حتى استوحش؛ وعاد مؤنس ومعه الليث إلى بغداد، وعاد الحسين بن حمدان إلى قمّ.

ذكر أخذ فارس من سُبكرى

لمّا عاد مونس عن سُبكرى استولى كاتبه عبد الرحمن بن جعفر على الأمور، فحسده أصحاب سُبكرى، فنقلوا عنه أنه كاتب الخليفة، وأنه قد خلّف أكثر القوّاد له، فقبض عليه وقيّده وحبسه، واستكتب مكانه إسماعيل ابن إبراهيم البمّيّ، فحمله على العصيان ومَنْع ما كان يحمله إلى الخليفة، ففعل ذلك.

فكتب عبد الرحمن بن جعفر إلى ابن الفرات، وزير الخليفة، يعرّفه ذلك، وأنه لما نهى سُبكرى عن العصيان قبض عليه، فكتب ابن الفرات إلى مؤنس، وهو بواسط، يأمره بالعود إلى فارس، ويعجزه حيث لم يقبض على سُبكرى، ويحمله مع الليث إلى بغداد، فعاد مؤنس إلى الأهواز.

وأرسل سُبكرى مونساً، وهاداه، وسأله أن يتوسط حاله مع الخليفة، (٥٨/٨) فكتب في أمره، وبذل عنه مالاً، فلم يستقر بينهم شيء؛ وعلم ابن الفرات أن مونساً يميل إلى سُبكرى، فأنفذ وصيفاً كاتبه، وجماعة من القوّاد، ومحمد بن جعفر الفريابي، وعوّل عليه في فتح فارس، وكتب إلى مؤنس يأمره باستصحاب الليث معه إلى بغداد، فعاد مؤنس.

وسار محمد بن جعفر إلى فارس، وواقع سُبكرى على باب شيراز، فانهزم سُبكرى إلى بمّ وتحصّن بها، وتبعه محمد بن جعفر وحصره بها، فخرج إليه سُبكرى وحاربه مرة ثانية، فهزمه محمد ونهب ماله ودخل سُبكرى مفازة خراسان، فظفر به صاحب خراسان، على ما نذكره، واستولى محمد بن جعفر على فارس فاستعمل عليها قنبجاً خادم الأفشين، والصحيح أنّ فتح فارس كان سنة ثمان وتسعين [ومائتين].

ذكر عدة حوادث

فيها وجّه المقتدر القاسم بن سيما لغزو الصائفة؛ وحجّ بالناس الفضل ابن عبد الملك الهاشمي.

وفيها توفي عيسى النُوشري في شعبان بمصر، بعد موت أبي العباس ابن بسطام بعشرة أيام، ودُفن بالبيت المقدّس، واستعمل المقتدر مكانه (٥٩/٨) تكين الخادم، وخلع عليه منتصف شهر رمضان.

وفيها توفي أبو عبد الله محمد بن سالم، صاحب سهل بن عبد الله التُستري.

وفيها توفي الفيض بن الخضر، وقيل ابن محمد أبو الفيض الأولاشي الطَرسوسي، وأبو بكر محمد بن داود بن علي الأصفهاني الفقيه الظاهري، وموسى بن إسحاق القاضي، والقاضي أبو محمد يوسف بن يعقوب بن حمّاد وله تسع وثمانون سنة. (٦٠/٨)

سنة ثمان وتسعين ومائتين

ذكر استيلاء أحمد بن إسماعيل على سِجستان

في هذه السنة، في رجب، استولى أبو نصر أحمد بن إسماعيل الساماني على سِجستان.

وسبب ذلك أنه لما استقر أمره، وثبت ملكه، خرج في سنة سبع وتسعين ومائتين إلى الرّي، وكان يسكن بخارى، ثم سار إلى هَراة، فسيّر منها جيشاً في المحرّم سنة ثمان وتسعين إلى سِجستان، وسيّر جماعة من أعيان قوّاده وأمرائه، منهم أحمد بن سهل، ومحمد بن المظفّر، وسيمجور الدواتيُّ، وهو والد آل سيمجور ولاة خراسان للسامانية، وسيرد ذكرهم، واستعمل أحمد على هذا الجيش الحسين بن على المَروروذيُّ، فساروا حتى أتوا سجستان، وبها المعدَّل بن علي بن الليث الصَّفّار وهو صاحبها.

فلما بلغ المعدَّل خبرهم سيّر أخاه أبا علي محمد بن علي بن الليث إلى بُست والرُخَّج ليحمي أموالها، ويرسل منها الميرة إلى سجستان، فسار الأمير أحمد بن إسماعيل إلى أبي علي بُبُست، وجاذبه، وأخذه أسيراً، وعاد به إلى هراة.

وأما الجيش الذي بسجستان فإنهم حصروا المُعدَّل، وضايقوه، فلما (٦١/٨) بلغه أن أخاه أبا علي محمداً قد أُخذ أسيراً، صالح الحسين بن علي، واستأمن إليه، فاستولى الحسين على سجستان، فاستعمل عليها الأمير أحمد أبا صالح منصور بن إسحاق، وهو ابن عمّه، وانصرف الحسين عنها ومعه المعدَّل إلى بخارى؛ ثم إن سجستان خالف أهلها سنة ثلاثمائة على ما نذكره.

ولما استولى السامانية على سجستان بلغهم خبر مسير سُبكرى

في المفازة من فارس إلى سجستان، فسيّروا إليه جيشاً، فلقوه وهو وعسكره قد أهلكهم التعب، فأخذوه أسيراً، واستولوا على عسكره، وكتب الأمير أحمد إلى المقتدر بذلك، وبالفتح، فكتب إليه يشكره على ذلك، ويأمره بحمل سُبكرى، ومحمد بن علي بن الليث، إلى بغداد، فسيّرهما، وأُدخلا بغداد مشهورين على فيلين، وأعاد المقتدر رسل أحمد، صاحب خراسان، ومعهم الهدايا والخلع.

ذكر عدة حوادث

فيها أطلق الأمير أحمد بن إسماعيل عمه إسحاق بن أحمد من محبسه، وأعاده إلى سمرقند وفَرْغانة.

وفيها توفي محمد بن جعفر الفريابي، وقنبج الخادم أمير فارس، فاستعمل عليها عبد اللّه بن إبراهيم المسمعي، وأضاف إليه كرمان.

(٦٢/٨)وفيها جعلت أم موسى الهاشمية قهرمانة دار المقتدر باللّه، فكانت تؤدي الرسائل من المقتدر وأمه إلى الوزير، وإنما ذكرناها لأن لها فيما بعد من الحكم في الدولة ما أوجب ذكرها، وإلا كان الإضراب عنها أولى.

وفيها غزا القاسم بن سيما الصائفة.

وفيها، في رجب، توفي المظفر بن جاخ، أمير اليمن، وحمل إلى مكة ودفن بها، واستعمل الخليفة على اليمن بعده ملاحظاً وحجّ بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

وفيها، في شعبان، أُخذ جماعة ببغداد، قيل إنهم أصحاب رجل يدّعي الربوبية، يُعرف بمحمد بن بشر.

وفيها هبّت ريح شديدة حارة صفراء بحديثة الموصل، فمات لشدة حرها جماعة كثيرة.

وفيها توفي أبو القاسم جُنَيد بن محمد الصوفي، وكان إمام الدنيا في زمانه، وأخذ الفقه عن أبي ثور، صاحب الشافعي، والتصوف عن سري السقطي.

وفيها توفي أبو برزة الحاسب، واسمه الفضل بن محمد.

وفيها توفي القاسم بن العباس أبو محمد المعشري، وإنما قيل له المعشري لأنه ابن بنت أبي معشر نجيح المدني، وكان زاهداً فقيهاً.

وفيها توفي أحمد بن سعيد بن مسعود بن عصام أبو العباس، ومحمد بن إياس والد أبي زكريا، صاحب تاريخ الموصل، وكان خيّراً فاضلاً، وهو أزدي. (٦٣/٨)

سنة تسع وتسعين ومائتين

ذكر القبض على ابن الفرات ووزارة الخاقاني

في هذه السنة قبض المقتدر على الوزير أبي الحسن بن الفرات في ذي الحجة، وكان قد ظهر، قبل القبض عليه بمدة يسيرة، ثلاثة كواكب مذنّبة، أحدها ظهر آخر رمضان في برج الأسد، والآخر ظهر في ذي القعدة في المشرق، والثالث ظهر في المغرب في ذي القعدة أيضاً في برج العقرب.

ولما قبض على الوزير وكّل بداره، وهتك حُرَمه، ونهب ماله، ونُهبت دور أصحابه ومَن يتعلّق به، وافتتنت بغداد لقبضه، ولقي الناس شدّة ثلاثة أيام، ثم سكنوا.

وكانت مدة وزارته هذه، وهي الوزارة الأولى، ثلاث سنين وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً، وقُلّد أبو علي محمد بن يحيى بن عبيد اللّه بن يحيى بن خاقان الوزارة، فرتّب أصحاب الدواوين؛ وتولّى مناظرة ابن (٦٤/٨) الفرات أبو الحسين أحمد بن يحيى بن أبي البغل، وكان أخوه أبو الحسن بن أبي البغل مقيماً بأصبهان، فسعى أخوه له في الوزارة هو وأم موسى القهرمانة، فأذن المقتدر في حضوره ليتولى الوزارة، فحضر، فلما بلغ ذلك الخاقاني انحلّت أموره، فدخل على الخليفة وأخبره بذلك، فأمره بالقبض على أبي الحسن، وأبي الحسين أخيه، فقبض على أبي الحسن وكتب في القبض على أبي الحسين، فقبض أيضاً، ثم خاف القهرمانة، فأطلقهما واستعملهما.

ثم إن أمور الخاقاني انحلت لأنه كان ضجوراً، ضيّق الصدر، مهملاً لقراءة كتب العمّال، وجباية الأموال، وكان يتقرّب إلى الخاصة والعامة، فمنع خدم السلطان وخواصّه أن يخاطبوه بالعبد، وكان إذا رأى جماعة من الملاحين والعامة يصلّون جماعة، ينزل ويصلّي معهم، وإذا سأله أحدٌ حاجةً دقّ صدره وقال: نعم وكرامة، فسُمي دقّ صدره، إلاّ أنه قصّر في إطلاق الأموال للفرسان والقوّاد، فنفروا عنه واتّضعت الوزارة بفعله ما تقدّم.

وكان أولاده قد تحكّموا عليه، فكل منهم يسعى لمن يرتشي منه، وكان يولّي في الأيام القليلة عدة من العمّال، حتى إنه ولّى بالكوفة، في مدة عشرين يوماً، سبعةً من العمّال، فاجتمعوا في الطريق، فعرَضوا توقيعاتهم، فسار الأخير منهم، وعاد الباقون يطلبون ما خدموا به أولاده، فقيل فيه:

وزيرٌ قد تكاملَ في الرّقاعَهْ ... يولّي ثم يعزلُ بعدَ ساعَهْ

إذا أهل الرُّشى اجتمعوا لديه ... فخيرُ القومِ أوفَرُهم بضاعَهْ

(٦٥/٨)

وليس يُلامُ في هذا بحالٍ ... لأن الشيخَ أفلتَ من مَجاعَهْ

ثم زاد الأمر، حتى تحكّم أصحابه، فكانوا يطلقون الأموال ويفسدون الأحوال، فانحلّت القواعد، وخبثت النيّات، واشتغل الخليفة بعزل وزرائه والقبض عليهم، والرجوع إلى قول النساء والخدم، والتصرف على مقتضى آرائهم، فخرجت الممالك، وطمع العمال في الأطراف، وكان ما نذكره فيما بعد.

ثم إن الخليفة أحضر الوزير ابن الفرات من محبسه، فجعله عنده في بعض الحُجر مكرماً، فكان يَعرض عليه مطالعات العمال وغير ذلك، وأكرمه، وأحسن إليه، بعد أن أخذ أمواله.

ذكر عدة حوادث

فيها غزا رستم أمير الثغور الصائفة من ناحية طَرَسوس، ومعه دميانة، فحصر حصن مليح الأرمني، ثم دخل بلده وأحرقه.

وفيها دخل بغداد العظيم والأغبر وهما من قوّاد زكرويه القُرمطي، دخلا بالأمان؛ وحجّ بالناس الفضل بن عبد الملك.

وفيها جاء نفر من القرامطة من أصحاب أبي سعيد الجنّابي إلى باب البصرة، وكان عليها محمد بن إسحاق بن كنداجيق، وكان وصولهم يوم (٦٦/٨) الجمعة، والناس في الصلاة، فوقع الصوت بمجيء القرامطة، فخرج إليهم الموكّلون بحفظ باب البصرة، فرأوا رجلين منهم، فخرجوا إليهما، فقتل القرامطة منهم رجلاً وعادوا فخرج إليهم محمد بن إسحاق في جمع، فلم يرهم، فسيّر في أثرهم جماعة، فأدركوهم، وكانوا نحو ثلاثين رجلاً، فقاتلوهم، فقُتل بينهم جماعة، وعاد ابن كنداجيق وأغلق أبواب البصرة، ظناً منه أن أولئك القرامطة كانوا مقدّمة لأصحابهم، وكاتب الوزير ببغداد يعرّفه وصول القرامطة ويستمده، فلما أصبح ولم يرَ للقرامطة أثراً ندم على ما فعل، وسيّر إليه من بغداد عسكراً مع بعض القوّاد.

وفيها خالف أهل طرابلس الغرب على المهدي، عبيد اللّه العلوي، فسير إليها عسكراً فحاصرها، فلم يظفر بها، فسيّر إليها المهدي ابنه أبا القاسم في جمادى الآخرة سنة ثلاثمائة، فحاصرها، وصابرها، واشتد في القتال، فعدمت الأقوات في البلد حتى أكل أهله الميتة، ففتح البلد عنفاً، وعفا عن أهله، وأخذ أموالاً عظيمة من الذين أثاروا الخلاف وغرّم أهل البلد جميع ما أخرجه على عسكره، وأخذ وجوه البلد رهائن عنده، واستعمل عليه عاملاً وانصرف.

وفيها كانت زلازل بالقيروان لم يُرَ مثلها شدة وعظمة، وثار أهل القيروان، فقتلوا من كُتامة نحو ألف رجل. (٦٧/٨)

وفيها توفي محمد بن أحمد بن كيسان أبو الحسن النحوي، وكان عالماً بنحو البصريين والكوفيّين، لأنه أخذه عن ثعلب والمبرد.

وفيها توفي محمد بن السري القنطري، وأبو صالح الحافظ، وأبو علي ابن سيبويه، وأبو يعقوب إسحاق بن حُنَيْن الطبيب. (٦٨/٨)

سنة ثلاثمائة

ذكر عزل الخاقاني عن الوزارة، ووزارة علي بن عيسى

في هذه السنة ظهر للمقتدر تخليط الخاقاني، وعجز في الوزارة، فأراد عزله، وإعادة أبي الحسن بن الفرات إلى الوزارة، فمنعه مؤنس الخادم عن ابن الفرات لنفوره عنه لأمور، منها: إنفاذ الجيش إلى فارس مع غيره، وإعادته إلى بغداد، وقد ذكرناه، فقال للمقتدر: متى أعدته ظنّ الناس أنك إنما قبضتَ عليه شرهاً في ماله، والمصلحة أن تستدعي علي بن عيسى من مكة وتجعله وزيراً، فهو الكافي الثقة، الصحيح العمل، المتين الدين.

فأمر المقتدر بإحضاره، فأنفذ مَن يحضره، فوصل إلى بغداد أول سنة إحدى وثلاثمائة، وجلس في الوزارة، وقُبض على الخاقاني وسُلّم إليه، فأحسن قبضه، ووسع عليه، وتولى علي بن عيسى، ولازم العمل والنظر في الأمور، ورد المظالم، وأطلق من المكوس شيئاً كثيراً بمكة وفارس، وأطلق المواخير والمفسدات بدويق، وأسقط زيادات كان الخاقاني قد زادها للجند، لأنه عمل الدخل والخرج، فرأى الخرج أكثر، فأسقط أولئك، وأمر بعمارة المساجد والجوامع، وتبييضها وفرشها بالحصر، وإشعال الأضواء (٦٩/٨) فيها، وأجرى للأئمة، والقراء، والمؤذنين، أرزاقاً، وأمر بإصلاح البيمارستانات، وعمل ما يحتاج إليه المرضى من الأدوية، وقرر فيها فضلاء الأطباء، وأنصف المظلومين، وأسقط ما زيد في خراج الضياع، ولما عُزل الخاقاني أكثر الناس التزوير على خطه بمسامحات وإدرارات، فنظر علي بن عيسى في تلك الخطوط، فأنكرها، وأراد إسقاطها، فخاف ذمّ الناس، ورأى أن ينفذها إلى الخاقاني ليميز الصحيح من المزوّر عليه، فيكون الذم له، فلما عُرضت تلك الخطوط عليه قال: هذه جميعها خطي وأنا أمرتُ بها؛ فلما عاد الرسول إلى علي بن عيسى بذلك قال: واللّه لقد كذب، وقد علم المزوّر من غيره، ولكنه اعترف بها ليحمده الناس ويذمّوني؛ وأمر بها فأُجيزت.

وقال الخاقاني لولده: يا بني هذه ليست خطي، ولكنه أنفذها إلي وقد عرف الصحيح من السقيم، ولكنه أراد أن يأخذ الشوك بأيدينا، ويبغّضنا إلى الناس، وقد عكست مقصوده.

ذكر خلاف سجستان وعودها إلى طاعة أحمد بن إسماعيل الساماني

وفي هذه السنة أنفذ الأمير أبو نصر أحمد بن إسماعيل الساماني عسكراً إلى سِجِستان ليفتحها ثانياً، وكانت قد عصت عليه، وخالف مَن بها.

وسبب ذلك أن محمد بن هُرمُز، المعروف بالمولى الصندلي، كان خارجيّ (٧٠/٨) المذهب، وكان قد أقام ببخارى وهو من أهل سِجِستان، وكان شيخاً كبيراً، فجاء يوماً إلى الحسين بن علي بن محمد العارض يطلب رزقه، فقال له: إن الأصلح لمثلك من الشيوخ أن يلزم رباطاً يعبد اللّه فيه، حتى يوافيه أجهله؛ فغاظه ذلك، فانصرف إلى سِجِستان والوالي عليها منصور بن إسحاق، فاستمال جماعةً من الخوارج، ودعا إلى الصُفّار، وبايع في السر لعمرو بن يعقوب بن محمد بن عمرو بن الليث، وكان رئيسهم محمد بن العباس، المعروف بابن الحَفّار، وكان شديد القوة، فخرجوا، وقبضوا على منصور بن إسحاق أميرهم وحبسوه في سجن أرْكٍ وخطبوا لعمرو بن يعقوب، وسلّموا إليه سجستان.

فلما بلغ الخبر إلى الأمير أحمد بن إسماعيل سيّر الجيوش مع الحسين ابن علي، مرةً ثانية إلى زَرَنْجَ، في سنة ثلاثمائة، فحصرها تسعة أشهر، فصعد يوماً محمد بن هرمز الصندلي إلى السور، وقال: ما حاجتكم إلى أذى شيخ لا يصلح إلا للزوم رباط؟ يذكرهم بما قاله العارض ببخارى؛ واتّفق أن الصندلي مات، فاستأمن عمرو بن يعقوب الصُفّار وابن الحفّار إلى الحسين بن علي، وأطلقوا عن منصور بن إسحاق، وكان الحسين بن علي يكرم ابن الحفّار ويقرّبه، فواطأ ابن الحفّار جماعة على الفتك بالحسين، فعلم الحسين ذلك، وكان ابن الحفّار يدخل على الحسين، لا يحجب عنه، فدخل إليه يوماً وهومشتمل على سيف، فأمر الحسين بالقبض عليه، وأخذه معه إلى بخارى.

ولما انتهى خبر فتح سِجِستان إلى الأمير أحمد استعمل عليها سيمجورَ الدواتي، وأمر الحسين بالرجوع إليه، فرجع ومعه عمرو بن يعقوب وابن الحفّار وغيرهما، وكان عوده في ذي الحجة سنة ثلاثمائة، واستعمل الأمير أحمد منصوراً ابن عمّه إسحاق على نيسابور وأنفذه إليها، وتوفي ابن الحفّار. (٧١/٨)

ذكر طاعة أهل صقلّية للمقتدر وعودهم إلى طاعة المهدي العلوي

قد ذكرنا سنة سبع وتسعين ومائتين استعمال المهدي علي بن عمر على صقلّية، فلما وليها كان شيخاً ليّناً، فلم يرض أهل صقلّية بسيرته، فعزلوه عنهم، وولوا على أنفسهم أحمد بن قرهب، فلما ولي سيّر سريّةً إلى أرض قِلُورِيَةَ، فغنموا منها، وأسروا من الروم وعادوا.

وأرسل سنة ثلاثمائة ابنه علياً إلى قلعة طَبَرْمين المحدثة في جيش، وأمره بحصرها، وكان غرضه إذا ملكها أن يجعل بها ولده وأمواله وعبيده، فإذا رأى من أهل صقلّية ما يكره امتنع بها، فحصرها ابنه ستة أشهر، ثم اختلف العسكر عليه، وكرهوا المُقام، فأحرقوا خيمته، وسواد العسكر، وأرادوا قتله، فمنعهم العرب.

ودعا أحمد بن قرهب الناس إلى طاعة المقتدر، فأجابوه إلى ذلك، فخطب له بصقلّية، وقطع خطبة المهدي، وأخرج ابن قرهب جيشاً في البحر إلى ساحل إفريقية، فلقوا هناك أسطول المهدي ومقدّمه الحسن بن أبي خنزير، فأحرقوا الأسطول، وقتلوا الحسن، وحملوا رأسه إلى ابن قرهب، وسار الأسطول الصقلي إلى مدينة سفاقُس، فخرّبوها، وساروا إلى طرابلس، فوجدوا فيها القائم بن المهدي، فعادوا.

ووصلت الخلع السود والألوية إلى ابن قرهب من المقتدر، ثم أخرج مراكب (٧٢/٨) فيها جيش إلى قِلُورِيَة، فغنم جيشه، وخرّبوا وعادوا؛ وسيّر أيضاً أسطولاً إلى إفريقية، فخرج عليه أسطول المهدي، فظفروا بالذي لابن قرهب وأخذوه، ولم يستقم بعد ذلك لابن قرهب حال، وأدبر أمره، وطمع فيه الناس، وكانوا يخافونه.

وخاف منه أهل جرجنت، وعصوا أمره، وكاتبوا المهدي، فلما رأى ذلك أهل البلاد كاتبوا المهدي أيضاً، وكرهوا الفتنة، وثاروا بابن قرهب، وأخذوه أسيراً سنة ثلاثمائة وحبسوه، وأرسلوه إلى المهدي مع جماعة من خاصّته، فأمره بقتلهم على قبر ابن خنزير، فقُتلوا، واستعمل على صقلّية أبا سعيد موسى بن أحمد، وسيّر معه جماعة كثيرة من شيوخ كُتامة، فوصلوا إلى طَرَابُنُش.

وسبب إرسال العسكر معه أن ابن قرهب كان قد كتب إلى المهدي يقول له: إن أهل صقلية يكثرون الشغب على أمرائهم، ولا يطيعونهم، وينهبون أموالهم، ولا يزول ذلك إلا بعسكر يقهرهم ويزيل الرئاسة عن رؤسائهم، ففعل المهدي ذلك، فلما وصل معه العسكر خاف منه أهل صقلّية، فاجتمع عليه أهل جرجنت وأهل المدينة وغيرها، فتحصّن منهم أبو سعيد وعمل على نفسه سوراً إلى البحر، وصار المرسى معه، فاقتتلوا، فانهزم أهل صقلّية، وقُتل جماعة من رؤسائهم، وأسر جماعة، وطلب أهل المدينة الأمان، فأمّنهم إلا رجلين هما أثارا الفتنة، فرضوا بذلك وتسلّم الرجلين، وسيّرهما إلى (٧٣/٨) المهدي بإفريقية، وتسلّم المدينة، وهدم أبوابها، وأتاه كتاب المهدي يأمره بالعفو عن العامة.

ذكر وفاة عبد اللّه بن محمد صاحب الأندلس وولاية عبد الرحمن الناصر

وفيها توفي عبد اللّه بن محمد بن عبد الرحمن بن الحاكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الأموي، صاحب الأندلس، في

ربيع الأول، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة، وكان أبيض، أصهب، أزرق، ربعة، يخضب بالسواد، وكانت ولايته خمساً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً، وخلّف أحد عشر ولداً ذكراً، أحدهم محمد المقتول، قتله في حدّ من الحدود، وهو والد عبد الرحمن الناصر.

ولما توفي ولي بعده ابن ابنه هذا محمد، واسمه عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللّه بن محمد بن عبد الرحمن بن الحاكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، وأمه أم ولد تسمى مرتة، وكان عمره لمّا قُتل أبوه عشرين يوماً.

وكانت ولايته من المستطرف لأنه كان شاباً، وبالحضرة أعمامه وأعمام أبيه، فلم يختلفوا عليه، وولي الإمارة والبلاد كلها، وقد اختلف (٧٤/٨) عليهم قبله، وامتنع حصون بكورة رَيّة وحصن بُبَشتَر، فحاربه، حتى صلحت البلاد بناحيته، وكان مَن بطليطُلة أيضاً قد خالفوا، فقاتلهم حتى عادوا إلى الطاعة، ولم يزل يقاتل المخالفين حتى أذعنوا له، وأطاعوه نيّفاً وعشرين سنة، فاستقامت البلاد، وأمنت في دولته، ومضى لحال سبيله.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عُزل عبد اللّه بن إبراهيم المسمعي عن فارس وكَرْمان واستُعمل عليها بدر الحمّامي، وكان بدر يتقلّد أصبهان، واستُعمل بعده على أصبهان علي بن وهسوذان الديلمي.

وفيها ورد الخبر إلى بغداد، ورسول من عامل برقة، وهي من عمل مصر وما بعدها بأربعة فراسخ لمصر وما وراء ذلك من عمل المغرب، بخبر خارجي خرج عليهم، وأنهم ظفروا به وبعسكره، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ووصل على يد الرسول من أنوفهم وآذانهم شيء كثير.

وفيها كثرت الأمراض والعلل ببغداد.

وفيها كلبت الكلاب والذئاب بالبادية، فأهلكت خلقاً كثيراً.

وفيها وُلّي بشر الأفشيني طَرَسوس.

(٧٥/٨) وفيها قُلّد مؤنس المظفّر الحرمين والثغور.

وفيها انقضّت الكواكب انقضاضاً كثيراً إلى جهة المشرق.

وفيها مات إسكندروس بن لاون ملك الروم، وملك بعده ابنه، واسمه قسطنطين، وعمره اثنتا عشرة سنة.

وفيها توفي عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر بن الحسين، وكان مولده سنة ثلاث وعشرين ومائتين.

وفيها توفي أحمد بن علي الحدّاد، وقيل سنة تسع وتسعين ومائتين، وهو الصحيح.

وفيها توفي أحمد بن يعقوب ابن أخي العرق المقرىء، والحسين بن عمر ابن أبي الأخوص، وعلي بن طيفور النشوي، وأبو عمر القتّات.

وفيها، في ربيع الآخر، توفي يحيى بن علي بن يحيى المنجّم المعروف بالنديم. (٧٦/٨)

سنة إحدى وثلاثمائة

في هذه السنة خُلع على الأمير أبي العباس بن المقتدر باللّه، وقُلد أعمال مصر والمغرب، وعمره أربع سنين، واستخلف له على مصر مؤنس الخادم، وأبو العباس هذا هو الذي ولي الخلافة بعد القاهر باللّه، ولقّب الراضي باللّه.

وخُلع أيضاً على الأمير علي بن المقتدر، وولي الرّيّ، ودنباوند، وقزوين، وزنجان، وأبهر.

وفيها أُحضر بدار عيسى رجل يُعرف بالحلاّج ويكنّى أبا محمد، وكان مشعبذاً في قول بعضهم، وصاحب حقيقة في قول بعضهم، ومعه صاحب له، وقيل: إنه يدّعي الربوبيّة، وصُلب هو وصاحبه ثلاثة أيام، كل يوم من بُكرة إلى انتصاف النهار، ثم يؤمَرُ بهما إلى الحبس، وسنذكر أخباره واختلاف الناس فيه عند صلبه.

وفيها، في صفر، عُزل أبو الهيجاء عبد اللّه بن حمدان عن الموصل، وقُلّد يُمن الطولوني المعونة بالموصل، ثم صُرف عنها في هذه السنة، واستُعمل عليها نحرير الخادم الصغير.

وفيها خالف أبو الهيجاء عبد اللّه بن حمدان على المقتدر فسُيّر إليه مؤنس (٧٧/٨) المظفّر، وعلى مقدّمته بنّيّ بن نفيس، خرج إلى الموصل منتصف صفر ومعه جماعة من القوّاد، وخرج مؤنس في ربيع الأول، فلما علم أبو الهيجاء بذلك قصد مؤنساً مستأمناً من تلقاء نفسه، وورد معه إلى بغداد، فخلع المقتدر عليه.

وفيها توفي دميانة أمير الثغور وبحر الروم، وقُلّد مكانه ابن بلك.

ذكر قتل الأمير أبي نصر أحمد بن إسماعيل الساماني وولاية ولده نصر

وفي هذه السنة قُتل الأمير أحمد بن إسماعيل بن أحمد الساماني صاحب خراسان وما وراء النهر، وكان مُولعاً بالصيد، فخرج إلى فربر متصيّداً، فلما انصرف أمر بإحراق ما اشتمل عليه عسكره، وانصرف، فورد عليه كتاب نائبه بطبرستان، وهو أبو العباس صعلوك، وكان يليها بعد وفاة ابن نوح بها، يخبره بظهور

الحسن بن علي العلوي الأطروش بها، وتغلّبه عليها، وأنه أخرجه عنها، فغمّ ذلك أحمد، وعاد إلى معسكره الذي أحرقه فنزل عليه فتطيّر الناس من ذلك.

وكان له أسدٌ يربطه كل ليلة على باب مبيته، فلا يجسر أحد [أن] يقربه، فأغفلوا إحضار الأسد تلك الليلة، فدخل إليه جماعة من غلمانه، فذبحوه على سريره وهربوا، وكان قتله ليلة الخميس لسبع بقين من جُمادى الآخرة (٧٨/٨) سنة إحدى وثلاثمائة، فحُمل إلى بخارى فدفن بها، ولُقّب حينئذ بالشهيد، وطُلب أولئك الغلمان، فأُخذ بعضهم فقُتل.

وولي الأمر بعده ولده أبو الحسن نصر بن أحمد، وهو ابن ثماني سنين، وكانت ولايته ثلاثين سنة وثلاثة وثلاثين يوماً، وكان موته في رجب سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، ولقّب بالسعيد، وبايعه أصحاب أبيه ببخارى بعد دفن أبيه، وكان الذي تولى ذلك أحمد بن محمد بن الليث، وكان متولي أمر بخارى، فحمله على عاتقه، وبايع له الناس، ولما حمله خدم أبيه ليظهر للناس خافهم وقال: أتريدون أن تقتلوني كما قتلتم أبي؟ فقالوا: لا إنما نريد أن تكون موضع أبيك أميراً؛ فسكن روعه.

واستصغر الناس نصراً، واستضعفوه، وظنوا أن أمره لا ينتظم مع قوة عم أبيه الأمير إسحاق بن أحمد، وهو شيخ السامانية، وهو صاحب سمرقند، ومَيْل الناس بما وراء النهر سوى بخارى إليه وإلى أولاده، وتولى تدبير دولة السعيد نصر بن أحمد أبو عبد اللّه محمد بن أحمد الجَيْهاني، فأمضى الأمور، وضبط المملكة، واتّفق هو وحشم نصر بن أحمد على تدبير الأمر فأحكموه، ومع هذا، فإن أصحاب الأطراف طمعوا في البلاد، فخرجوا من النواحي على ما نذكره.

فممّن خرج عن طاعته أهل سِجِستان، وعم أبيه إسحاق بن أحمد بن أسد بسمرقند، وابناه منصور وإلياس ابنا إسحاق، ومحمد بن الحسين بن مت، وأبو الحسن بن يوسف، والحسين بن علي المَرْوروذي، ومحمد بن (٧٩/٨) حيد، وأحمد بن سهل، وليلى بن نعمان، صاحب العلويّين بطَبَرستان، ووقّعه سيمجور مع أبي الحسن بن الناصر، وقراتكين، وما كان بن كالي، وخرج عليه إخوته يحيى ومنصور وإبراهيم، أولاد أحمد بن إسماعيل، وجعفر بن أبي جعفر، وابن داود، ومحمد بن إلياس، ونصر بن محمد بن مت، ومرداويج ووشمكير ابنا زيار، وكان السعيد مظفّراً منصوراً عليهم.

ذكر أمر سجستان

ولما قُتل الأمير أحمد بن إسماعيل خالف أهل سجستان على ولده نصر، وانصرف عنها سيمجور الدواتي، فولاها المقتدر باللّه بدراً الكبير، فأنفذ إليها الفضلَ بن حميد، وأبا يزيد خالد بن محمد المروزي، وكان عُبيد اللّه بن أحمد الجَيهاني بُستَ، والرُّخَّج، وسعد الطالقاني بغَزنة من جهة السعيد نصر بن أحمد، فصدهما الفضل وخالد، وانكشف عنهما عبيد اللّه، وقبضا على سعد الطالقاني وأنفذاه إلى بغداد، واستولى الفضل وخالد على غزنة وبُست، ثم اعتلّ الفضل، وانفرد خالد بالأمور، وعصى على الخليفة، فأنفذ إليه دركاً أخا نجح الطولوني، فقاتله فهزمه خالد.

(٨٠/٨) وسار خالد إلى كَرْمان، فأنفذ إليه بدر جيشاً، فقاتلهم خالد، فجُرح، وانهزم أصحابه، وأُخذ هو أسيراً، فمات، فحُمل رأسه إلى بغداد.

ذكر خروج إسحاق بن أحمد وابنه إلياس

وفي هذه السنة، وهي إحدى وثلاثمائة، خرج على السعيد نصر بن أحمد بن إسماعيل عم أبيه إسحاق بن أحمد بن أسد وابنه إلياس، وكان إسحاق بسمرقند لمّا قُتل أحمد بن إسماعيل وولي ابنه نصر بن أحمد، فلمّا بلغه ذلك عصى بها، وقام ابنه إلياس يأمر الجيش، وقوي أمرهما، فساروا نحو بخارى، فسار إليه حموية بن علي في عسكر، وكان ذلك في شهر رمضان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم إسحاق إلى سمرقند، ثم جمع وعاد مرة ثانية، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم إسحاق أيضاً، وتبعه حموية إلى سمرقند فملكها قهراً.

واختفى إسحاق، وطلبه حموية، ووضع عليه العيون والرصد، فضاق بإسحاق مكانه، فأظهر نفسه، واستأمن إلى حموية فأمّنه وحمله إلى بخارى فأقام بها إلى أن مات.

وأما ابنه إلياس فإنه سار إلى فرغانة، وبقي بها إلى أن خرج ثانياً. (٨١/٨)

ذكر ظهور الحسن بن علي الأطروش

وفيها استولى الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب على طَبَرستان، وكان يلقّب بالناصر. وكان سبب ظهوره ما نذكره، وقد ذكرنا فيما تقدّم عصيان محمد بن هارون على أحمد بن إسماعيل، وهربه منه، وغير ذلك، ثم إن الأمير أحمد بن إسماعيل استعمل على طبرستان أبا العباس عبد اللّه بن محمد بن نوح، فأحسن فيهم السيرة، وعدل فيهم، وأكرم مَن بها من العلويين، وبالغ في الإحسان إليهم، وراسل رؤساء الديلم، وهاداهم، واستمالهم.

وكان الحسن بن علي الأطروش قد دخل الديلم بعد قتل محمد بن زيد، وأقام بينهم نحو ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام، ويقتصر منهم على العشر، ويدافع عنهم ابن حسان ملكهم، فأسلم منهم خلق كثير، واجتمعوا عليه، وبنى في بلادهم

مساجد.

وكان للمسلمين بإزائهم ثغور مثل: قزوين، وسالوس، وغيرهما، وكان بمدينة سالوس حصن منيع قديم، فهدمه الأطروش حين أسلم الديلم والجيل؛ ثم إنه جعل يدعوهم إلى الخروج معه إلى طبرستان، فلا يجيبونه إلى ذلك لإحسان ابن نوح، فاتفق أن الأمير أحمد عزل ابن نوح عن طبرستان وولاها سلاماً، فلم يحسن سياسة أهلها، وهاج عليه الديلم، فقاتلهم وهزمهم،(٨/٨٢) واستقال عن ولايتها، فعزله الأمير أحمد، وأعاد إليها ابن نوح، فصلحت البلاد معه.

ثم إنه مات بها، واستعمل عليها أبو العباس محمد بن إبراهيم صُعلوك، فغيّر رسوم ابن نوح، وأساء السيرة، وقطع عن رؤساء الديلم ما كان يهديه إليهم ابن نوح، فانتهز الحسن بن علي الفرصة، وهيّج الديلم عليه ودعاهم إلى الخروج معه، فأجابوه وخرجوا معه، وقصدهم صُعلوك، فالتقوا بمكان يسمى نَوْرُوز وهو على شاطئ البحر، على يوم من سالوس، فانهزم ابن صعلوك، وقُتل من أصحابه نحو أربعة آلاف رجل، وحصر الأطروش الباقين ثم أمّنهم على أموالهم وأنفسهم وأهليهم، فخرجوا إليه، فأمّنهم وعاد عنهم إلى آمل، وانتهى إليهم الحسن بن القاسم الداعي العلوي، وكان ختَن الأطروش، فقتلهم عن آخرهم لأنه لم يكن أمّنهم، ولا عاهدهم، واستولى الأطروش على طبرستان.

وخرج صعلوك إلى الرَّي، وذلك سنة إحدى وثلاثمائة، ثم سار منها إلى بغداد، وكان الأطروش قد أسلم على يده من الديلم الذين هم وراء أسفيدروذ إلى ناحية آمل، وهم يذهبون مذهب الشيعة.

وكان الأطروش زيديَّ المذهب، شاعراً مفلقاً، ظريفاً، علامة، إماماً في الفقه والدين، كثير المُجون، حسن النادرة.

حُكي عنه أنه استعمل عبد اللّه بن المبارك على جُرجان، وكان يُرمى (٨/٨٣) بالأُبنة، فاستعجزه الحسن يوماً في شغل له وأنكره عليه، فقال: أيها الأمير! أنا أحتاج إلى رجال أجلاد يعينونني؛ فقال: قد بلغني ذلك.

وكان سبب صممه أنه ضُرب على رأسه بسيف في حرب محمد بن زيد فطرش؛ وكان له من الأولاد أبو الحسن، وأبو القاسم، وأبو الحسين، فقال يوماً لابنه أبي الحسن: يا بنيّ! ها هنا شيء من الغراء نلصق به كاغداً؟ فقال: لا، إنما ها هنا بالخاء، فحقدها عليه، ولم يولّه شيئاً، وولّى ابنيه أبا القاسم وأبا الحسين، وكان أبو الحسن ينكر تركه معزولاً، ويقول: أنا أشرف منهما لأن أمي حسنيّة، وأمهما أمَة.

وكان أبو الحسن شاعراً، وله مناقضات مع ابن المعتز، ولحق أبو الحسن بابن أبي الساج، فخرج معه يوماً متصيّداً، فسقط عن دابّته فبقي راجلاً، فمرّ به ابن أبي الساج فقال له: اركب معي على دابّتي! فقال: أيها الأمير لا يصلح بطلان على دابّة.

ذكر القرامطة وقتل الجُنَابيّ

في هذه السنة قُتل أبو سعيد الحسن بن بَهرام الجُنّابيُّ كبير القرامطة، قتله خادم له صَقلبيّ في الحمّام، فلما قتله استدعى رجلاً من أكابر (٨/٨٤) رؤسائهم وقال له: السيّد يستدعيك؛ فلما دخل قتله، ففعل ذلك بأربعة نفر من رؤسائهم، واستدعى الخامس، فلما دخل فطن لذلك، فأمسك بيد الخادم وصاح، فدخل الناس، وصاح النساء، وجرى بينهم وبين الخادم مناظرات ثم قتلوه.

وكان أبو سعيد قد عهد إلى ابنه سعيد، وهو الأكبر، فعجز عن الأمر، فغلبه أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان، وكان شهماً شجاعاً، ويرد من أخباره ما يُعلم به محلّه.

ولمّا قُتل أبو سعيد كان قد استولى على هَجَر والإحساء والقَطيف والطائف، وسائر بلاد البحرين؛ وكان المقتدر قد كتب إلى أبي سعيد كتاباً ليّناً في معنى مَن عنده من أسرى المسلمين، ويناظره، ويقيم الدليل على فساد مذهبه، ونفّذه مع الرسل، فلما وصلوا إلى البصرة بلغهم خبر موته، فأعلموا الخليفة بذلك، فأمرهم بالمسير إلى ولده، فأتوا أبا طاهر بالكتاب، فأكرم الرسل، وأطلق الأسرى، ونفّذهم إلى بغداد، وأجاب عن الكتاب.

ذكر مسير جيش المهدي إلى مصر

في هذه السنة جهّز المهدي العساكر من إفريقية، وسيّرها مع ولده أبي القاسم إلى الديار المصرية، فساروا إلى برقة، واستولوا عليها في ذي الحجّة، وساروا إلى مصر، فملك الإسكندرية والفيوم، وصار في يده أكثر البلاد، (٨/٨٥) وضيّق على أهلها، فسيّر إليها المقتدر باللّه مؤنساً الخادم في جيش كثيف، فحاربهم وأجلاهم عن مصر، فعادوا إلى المغرب مهزومين.

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة كثرت الأمراض الدموية بالعراق، ومات بها خلق كثير، وأكثرهم بالحريّة، فإنها أُغلقت بها دور كثيرة لفناء أهلها.

وفيها توفي جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي ببغداد، والقاضي أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر المقدّميُّ الثقفي. (٨/٨٦)

سنة اثنتين وثلاثمائة

في هذه السنة أُمر علي بن عيسى الوزير بالمسير إلى طَرَسوس

لغزو الصائفة، فسار في ألفي فارس معونةً لبشر الخادم والي طَرَسوس، فلم يتيسّر لهم غزو الصائفة، فغزوها شاتية في برد شديد وثلج.

وفيها تنحى الحسن بن على الأطروش العلوي عن آمل، بعد غلبته عليها، كما ذكرناه، وسار إلى سالوس، ووجّه إليه صعلوك جيشاً من الرَّي، فلقيهم الحسن، وهزمهم، وعاد إلى آمل.

وكان الحسن بن علي حسن السيرة، عادلاً، ولم يرَ الناس مثله في عدله، وحُسن سيرته، وإقامته الحق، وقد ذكره ابن مسكويه في كتاب تجارب الأمم فقال: الحسن بن علي الداعي، وليس به، إنما الداعي علي بن القاسم، وهو ختَن هذا على ما ذكرناه.

وفيها قبض المقتدر على أبي عبد اللّه الحسين بن عبد اللّه المعروف بابن الجصّاص الجوهري، وأخذ ما في بيته من صنوف الأموال، وكان قيمته أربعة آلاف ألف دينار، وكان هو يدّعي أن قيمة ما أُخذ منه عشرون ألف ألف دينار وأكثر من ذلك. (٨٧/٨)

ذكر مخالفة منصور بن إسحاق

وفي هذه السنة خالف منصور بن إسحاق بن أحمد بن أسد على الأمير نصر بن أحمد، ووافقه على المخالفة الحسين بن علي المَرْورُوذي، ومحمد بن حيد.

وكان سبب ذلك أن الحسين بن علي لمّا افتتح سجستان، الدفعة الأولى على ما ذكرناه، للأمير أحمد بن إسماعيل طمع أن يتولاها، فوليها منصور بن إسحاق هذا، فخالف أهلها، وحبسوا منصوراً، فأنفذ الأمير أحمد علياً أيضاً، فافتتحها ثانياً، وطمع أن يتولاها فوليها سيمجور، وقد ذكرنا هذا جميعه.

فلمّا وليها سيمجور استوحش علي لذلك، ونفر منه، وتحدّث مع منصور بن إسحاق في الموافقة والتعاضد بعد موت الأمير أحمد، وتكون إمارة خراسان لمنصور، ويكون الحسين بن علي خليفته على أعماله، فاتّفقا على ذلك، فلما قُتل الأمير أحمد بن إسماعيل كان منصور بن إسحاق بنيسابور، والحسين بهراة، فأظهر الحسين العصيان، وسار إلى منصور يحثّه على ما كانا اتفقا عليه، فخالف أيضاً، وخطب لمنصور بنيسابور فتوجّه إليها من بخارى حموية بن علي في عسكر ضخم لمحاربتهما، فاتّفق أن منصوراً مات، فقيل (٨٨/٨) إن الحسين بن علي سمّه، فلما قاربه حموية سار الحسين بن علي عن نيسابور إلى هراة وأقام بها.

وكان محمد بن حيد على شُرطة بخارى مدة طويلة، فسُيّر من بخارى إلى نيسابور لشغل يقوم به، فوردها، ثم عاد عنها بغير أمر، فكتب إليه من بخارى بالإنكار عليه، فخاف على نفسه، فعدل عن الطريق إلى الحسين بن علي بهراة، فسار الحسين بن علي من هراة إلى نيسابور، واستخلف بهراة أخاه منصور بن علي، واستولى على نيسابور، فسُيّر من بخارى إليه أحمد بن سهل لمحاربته، فابتدأ أحمد بهراة فحصرها وأخذها، واستأمن إليه منصور بن علي، وسار أحمد من هراة إلى نيسابور، وكان وصوله إليها في ربيع الأول سنة ست وثلاثمائة، فنازل الحسين، وحصره، وقاتله، فانهزم أصحاب الحسين، وأُسر الحسين بن علي، وأقام أحمد بن سهل بنيسابور.

وكان ينبغي أن نذكر استيلاء أحمد على نيسابور، وأسر الحسين سنة ست وثلاثمائة، لكن رأينا أن نجمع سياق الحادثة لئلا يُنسى أولها.

وأما ابن حيد فإنه كان بمرو، فلما بلغه استيلاء أحمد بن سهل على نيسابور، وأسره الحسين بن علي، سار إليه، فقبض عليه أحمد وأخذ ماله وسواده، وسيّره والحسين بن علي إلى بخارى، فإما ابن حيد فإنه سُيّر إلى خوارزم فمات بها.

وأما الحسين بن علي فإنه حُبس ببخارى إلى أن خلّصه أبو عبد اللّه الجيهاني، وعاد إلى خدمة الأمير نصر بن أحمد، فبينما هو يوماً عنده إذ طلب الأمير نصر (٨٩/٨) ماء، فأُتي بماء في كوز غير حسن الصنعة، فقال الحسين بن علي لأحمد بن حموية، وكان حاضراً: ألا يهدي والدك [إلى] الأمير من نيسابور من هذه الكيزان اللطاف النظاف؟ فقال أحمد: إنما يُهدي أبي إلى الأمير مثلك ومثلَ أحمد بن سهل، ومثل ليلى الديلمي، لا الكيزان؛ فأطرق الحسين مُفحَماً، وأعجب نصراً قوله.

ذكر خبر مصر مع العلوي المهدي

وفيها أنفذ أبو محمد عبيدُ اللّه العلوي الملقّب المهدي جيشاً من إفريقية مع قائد من قوّاده يقال له حُباسة إلى الإسكندرية، فغلب عليها.

وكان مسيره في البحر، ثم سار منها إلى مصر، فنزل بين مصر والإسكندرية، فبلغ ذلك المقتدر، فأرسل مؤنساً الخادم في عسكر إلى مصر لمحاربة حُباسة، وأمدّه بالسلاح والمال، فسار إليها، فالتقى العسكران في جُمادى الأولى، فاقتتلوا قتالاً شديداً فقُتل من الفريقين جمع كثير، وجُرح مثلهم، ثم كان بينهم وقعة أخرى بنحوها، ثم وقعة ثالثة ورابعة، فانهزم فيها المغاربة أصحاب العلوي، وقُتلوا، وأُسروا، فكان مبلغ القتلى سبعة آلاف مع الأسرى وهرب الباقون.

وكانت هذه الوقعة سلخ جمادى الآخرة، وعادوا إلى الغرب، فلما وصلوا إلى الغرب قتل المهدي حُباسة.

(٩٠/٨) وفيها خالف عروبة بن يوسف الكُتامي على المهدي بالقيروان، واجتمع إليه خلق كثير من كُتامة والبرابر، فأخرج

المهدي إليهم مولاه غالباً، فاقتتلوا قتالاً شديداً في محضر القيروان فقُتل عروبة وبنو عمّه، وقُتل معهم عالم لا يحصون، وجُمعت رؤوس مقدّميهم في قفّة وحُملت إلى المهدي، فقال: ما أعجب أمور الدنيا! قد جمعت هذه القفّة رؤوس هؤلاء، وقد كان يضيق بعساكرهم فضاء المغرب.

ذكر عدة حوادث

فيها غزا بشر الخادم والي طَرَسوس بلاد الروم، ففتح فيها وغنم وسبى، وأسر مائة وخمسين بطريقاً، وكان السبي نحواً من ألفي رأس.

وفيها أوقع مؤنس الخادم بناحية وادي الذئاب بمن هنالك من الأعراب من بني شيبان، فقتل منهم خلقاً كثيراً، ونهب بيوتهم فأصاب فيها من أموال التجار التي كانوا أخذوها بقطع الطريق ما لا يحصى.

وفيها في ذي الحجة ماتت بدعة المغنية، مولاة عَريب مولى المأمون.

وفيها، في ذي الحجة، خرجت الأعراب من الحاجر على الحجّاج، فقطعوا (٩١/٨) عليهم الطريق، وأخذوا من العين وما معهم من الأمتعة والجمال ما أرادوا، وأخذوا مائتين وخمسين امرأة؛ وحجّ بالناس هذه السنة الفضل بن عبد الملك.

وفيها قُلّد أبو الهيجاء عبد اللّه بن حمدان الموصل.

وفيها مات الشاه بن ميكال.

وفيها، في ليلة الأضحى، انقضّ ثلاثة كواكب كبار اثنان أول الليل وواحد آخره سوى كواكب صغار كثيرة.

وإلى آخر هذه السنة انتهى تاريخ أبي جعفر الطبري، رحمه اللّه، ورأيت في بعض النسخ إلى آخر سنة ثلاث وثلاثمائة، وقيل إن سنة ثلاث هي زيادة فيه، وليس من تاريخ الطبري، واللّه أعلم.

وفيها توفي إسحاق بن أبي حسان الأنماطي، وإبراهيم بن شريك، وأبو عيسى بن القزّاز، وأبو العباس البرّاني، وعلي بن محمد بن نصر بن بسام الشاعر وله نيّف وسبعون سنة. (٩٢/٨)

سنة ثلاث وثلاثمائة

ذكر أمر الحسين بن حمدان

في هذه السنة خرج الحسين بن حمدان بالجزيرة عن طاعة المقتدر.

وسبب ذلك أن الوزير علي بن عيسى طالبه بمال عليه من ديار ربيعة، وهو يتولاها، فدافعه، فأمره بتسليم البلاد إلى عُمّال السلطان، فامتنع.

وكان مؤنس الخادم غائباً بمصر لمحاربة عسكر المهدي العلوي، صاحب إفريقية، فجهّز الوزير رائقاً الكبير في جيش وسيّره إلى الحسين بن حمدان، وكتب إلى مؤنس يأمره بالمسير إلى ديار الجزيرة لقتال الحسين، بعد فراغه من أصحاب العلوي، فسار رائق إلى الحسين بن حمدان.

وجمع لهم الحسين نحو عشرين ألف فارس، وسار إليهم فوصل إلى الحبشة وهم قد قاربوها، فلما رأوا كثرة جيشه علموا عجزهم عنه لأنهم كانوا أربعة آلاف فارس، فانحازوا إلى جانب دجلة، ونزلوا بموضع ليس له طريق إلا من وجه واحد، وجاء الحسين فنزل عليهم وحصرهم، ومنع الميرة عنهم من فوق ومن أسفل، فضاقت عليهم الأقوات والعلوفات، فأرسلوا إليه يبذلون له أن يولّيه الخليفة ما كان بيده ويعود عنهم، فلم يجب إلى ذلك.

(٩٣/٨) ولزم حصارهم، وأدام قتالهم إلى أن عاد مؤنس من الشام، فلما سمع العسكر بقربه قويت نفوسهم وضعفت نفوس الحسين ومَن معه، فخرج العسكر إليه ليلاً وكبسوه، فانهزم وعاد إلى ديار ربيعة، وسار العسكر فنزلوا على الموصل.

وسمع مؤنس خبر الحسين، وجدّ مؤنس في المسير نحو الحسين، واستصحب معه أحمد بن كَيْغَلَغ، فلما قرب منه راسله الحسين يعتذر، وتردّدت الرسل بينهما، فلم يستقر حال، فرحل مؤنس نحو الحسين حتى نزل بإزاء جزيرة ابن عمر، ورحل الحسين نحو أرمينية مع ثقله وأولاده، وتفرّق عسكر الحسين عنه، وصاروا إلى مؤنس.

ثم إن مؤنساً جهّز جيشاً في أثر الحسين، مقدّمهم بُلَيق ومعه سيما الجزري، وجنى الصّفواني، فتبعوه إلى تل فافان، فرأوها خاوية على عروشها، قد قتل أهلها وأحرقها، فجدّوا في اتّباعه فأدركوه فقاتلوه، فانهزم من بقي معه من أصحابه، وأُسر هو ومعه ابنه عبد الوهّاب وجميع أهله وأكثر مَن صحِبه، وقبض أملاكه.

وعاد مؤنس إلى بغداد على [طريق] الموصل والحسين معه، فأُركب على جمل هو وابنه وعليهما البرانس، واللبود الطوال، وقمصان من شعر أحمر، وحُبس الحسين وابنه عند زيدان القهرمانة، وقبض المقتدر على أبي الهيجاء بن (٩٤/٨) حمدان وعلى جميع إخوته وحُبسوا، وكان قد هرب بعض أولاد الحسين بن حمدان، فجمع جمعاً ومضى نحو آمِد، فأوقع بهم مستحفظها، وقتل ابن الحسين وأنفذ رأسه إلى بغداد.

ذكر بناء المهديّة

في هذه السنة خرج المهدي بنفسه إلى تونس وقرطاجَنّة وغيرهما يرتاد موضعاً على ساحل البحر يتخذ فيه مدينة.

وكان يجد في الكتب خروج أبي يزيد على دولته، ومن أجله بنى المهديّة، فلم يجد موضعاً أحسن ولا أحصن من موضع المهدية، وهي جزيرة متصلة بالبرّ كهيئة كفّ متصلةٍ بزند، فبناها وجعلها دار ملكه، وجعل لها سوراً محكماً وأبواباً عظيمة وزْن كل مصراع مائة قنطار.

وكان ابتداء بنائها يوم السبت لخمس خلون من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة، فلما ارتفع السور أمر رامياً [أن] يرمي بالقوس سهماً إلى ناحية الغرب، فرمى سهمه فانتهى إلى موضع المصلّى، فقال: إلى موضع هذا يصل صاحب الحمار، يعني أبا يزيد الخارجي، لأنه كان يركب حماراً.

وكان يأمر الصُّناع بما يعملون، ثم أمر أن ينقر دار صناعة في الجبل (٩٥/٨) تسع مائة شيني، وعليها باب مغلق؛ ونقر في أرضها أهراء للطعام، ومصانع للماء، وبنى فيها القصور والدور، فلما فرغ منها قال: اليوم أمنتُ على الفاطميّات، يعني بناته، وارتحل عنها.

ولما رأى إعجاب الناس بها، وبحصانتها، كان يقول: هذا لساعة من نهار، وكان كذلك لأن أبا يزيد وصل إلى موضع السهم، ووقف فيه ساعة، وعاد ولم يظفر.

ذكر عدة حوادث

فيها أغارت الروم على الثغور الجزريّة، وقصدوا حصن منصور، وسبوا مَن فيه، وجرى على الناس أمر عظيم، وكانت الجنود متشاغلة بأمر الحسين بن حمدان.

وفيها عاد الحُجّاج وقد لقوا من العطش والخوف شدة، وخرج جماعة من العرب على أبي حامد ورقاء بن محمد المرتّب على الثعلبيّة لحفظ الطريق، فقاتلهم، وظفر بهم، وقتل جماعة منهم، وأسر الباقين وحملهم إلى بغداد، فأمر المقتدر بتسليمهم إلى صاحب الشُّرطة ليحبسهم، فثارت بهم العامة فقتلوهم وألقوهم في دجلة.

وفيها ظهر بالجامدة إنسان زعم أنه علوي فقتل العامل بها ونهبها، وأخذ (٩٦/٨) من دار الخراج أموالاً كثيرة، ثم قُتل بعد ظهوره بيسير، وقُتل معه جماعة من أصحابه، وأُسر جماعة.

وفيها ظهرت الروم وعليهم الغشيط فأوقعوا بجماعة من مقاتلة طَرَسوس والغزاة، فقتلوا منهم نحو ستمائة فارس، ولم يكن للمسلمين صائفة.

وفيها خرج مليح الأرمني إلى مَرْعَش، فعاث في بلدها، وأسر جماعة ممن حولها وعاد.

وفيها وقع الحريق ببغداد في عدة مواضع، فاحترق كثير منها.

وفيها توفي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، صاحب كتاب السنن، بمكة، ودفن بين الصفا والمروة؛ والحسن بن سفيان النسويُّ.

وفيها توفي أبو بكر محمد بن عينونة بنَصيبين، وكان يتولى أعمال الخراج والضياع بديار ربيعة، ولما توفي وليَ ابنه الحسن مكانه.

وفيها توفي أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجُبّائيُّ المعتزلي.

وفيها توفي يموت بن المزرّع العبدي، وهو ابن أخت الجاحظ، توفي بدمشق. (٩٧/٨)

سنة أربع وثلاثمائة

ذكر عزل ابن وهسوذان عن أصبهان

في هذه السنة، في المحرم، أرسل علي بن وهسوذان، وهو متولّي الحرب بأصبهان، غلاماً كان ربّاه وتبنّاه إلى أحمد بن شاه، متولّي الخراج، في حاجة فلقيه راكباً فكلمه في حاجة مولاه، ورفع صوته، فشتمه أحمد وقال: يا مؤاجر تكلّمني بهذا على الطريق! وحرد عليه، فعاد إلى مولاه باكياً، وعرّفه ذلك، فقال: صدق، لولا أنك مؤاجر لقتلتَه؛ فعاد الغلام فلقيه وهو راكب فقتله، فأنكر الخليفة ذلك، وصرف علي بن وهسوذان عن أصبهان، وولّى مكانه أحمد بن مسرور البَلْخي، وأقام ابن وهسوذان بنواحي الجبل.(٩٨/٨)

ذكر وزارة ابن الفرات الثانية وعزل علي بن عيسى

في هذه السنة، في ذي الحجة، عُزل علي بن عيسى عن الوزارة، وأُعيد إليها أبو الحسن علي بن الفرات.

وكان سبب ذلك أن أبا الحسن بن الفرات كان محبوساً، وكان المقتدر يشاوره وهو في محبسه، ويرجع إلى قوله؛ وكان علي بن عيسى يمشّي أمر الوزارة، ولم يتبع أصحاب ابن الفرات وأسبابه ولا غيره، وكان جميل المحضر، قليل الشر، فبلغه أن أبا الحسن بن الفرات قد تحدّث له جماعة من أصحاب الخليفة في إعادته إلى الوزارة، فسارع واستعفى من الوزارة، وسأل في ذلك، فأنكر المقتدر عليه، ومنعه من ذلك، فسكن.

فلمّا كان آخر ذي القعدة جاءته أم موسى القهرمانة لتتفق معه على ما يحتاج حرم الدار والحاشية التي للدار من الكسوات

والنفقات، فوصلت إليه وهو نائم، فقال لها حاجبه: إنه نائم ولا أجسر [أن] أوقظه، فاجلسي في الدار ساعةً حتى يستيقظ؛ فغضبت من هذا وعادت، واستيقظ علي بن عيسى في الحال، فأرسل إليها حاجبه وولده يعتذر، فلم يُقبَل منه، ودخلت على المقتدر وتخرّصت على الوزير عنده وعند أمه، فعزله عن الوزارة، وقبض عليه ثامن ذي القعدة. (٩٩/٨)

وأُعيد ابن الفرات إلى الوزارة، وضمن على نفسه أن يحمل كل يوم إلى بيت المال ألف دينار وخمسمائة دينار، فقبض على أصحاب الوزير علي بن عيسى وعاد فقبض على الخاقاني الوزير وأصحابه، واعترض العمّال وغيرهم، وعاد عليهم بأموال عظيمة ليقوم بما ضمنه.

وكان علي بن عيسى قد تعجّل بمال من الخراج لينفقه في العيد، فاتّسع به ابن الفرات.

وكان قد كاتب العمال بالبلاد كفارس، والأهواز، وبلاد الجبل، وغيرها في حمل المال، وحثهم على ذلك غاية الحث، فوصل بعد قبضه، فادّعى ابن الفرات الكفاية والنهضة في جمع المال.

وكان أبو علي بن مُقلة مستخفياً مُذ قُبض ابن الفرات إلى الآن، فلما عاد ابن الفرات إلى الوزارة ظهر، فأشخصه ابن الفرات وقرّبه.

ذكر أمر يوسف بن أبي الساج

كان يوسف بن أبي الساج على أذربيجان وأرمينية قد ولي الحرب، والصلاة، والأحكام، وغيرها، منذ أول وزارة ابن الفرات الأولى، وعليه مال يؤديه إلى ديوان الخلافة، فلما عُزل ابن الفرات ووليَ الخاقاني الوزارة، وبعده علي بن عيسى، طمع فأخّر حمل بعض المال، فاجتمع له ما قويت به نفسه على الامتناع، وبقي كذلك إلى هذه السنة. (١٠٠/٨)

فلما بلغه القبض على الوزير علي بن عيسى أظهر أن الخليفة أنفذ له عهداً بالرّي، وأن الوزير علي بن عيسى سعى له في ذلك، فأنفذه إليه، وجمع العساكر وسار إلى الرّي وبها محمد بن علي بن صعلوك يتولى أمرها لصاحب خراسان، وهو الأمير نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني، وكان صعلوك قد تغلب على الرّي وما يليها، أيام وزارة علي بن عيسى، ثم أرسل إلى ديوان الخلافة فقاطع عليها بمال يحمله، فلما بلغه مسير يوسف بن أبي الساج نحوه سار إلى خراسان، فدخل يوسف الرّي واستولى عليها وعلى قزوين وزنجان وأبهر، فلما بلغ المقتدر فعله، وقوله إن علي بن عيسى أنفذ له العهد واللواء بذلك، أنكره واستعظمه.

وكتب يوسف إلى الوزير ابن الفرات يعرّفه أن علي بن عيسى أنفذ إليه بعهده على هذه الأماكن، وأنه افتتحها وطرد عنها المتغلّبين عليها، ويعتذر بذلك، ويذكر كثرة ما أخرجه، فعظم ذلك على المقتدر، وأمر ابن الفرات أن يسأل علي بن عيسى عن الذي ذكره يوسف، فأحضره وسأله، فأنكر ذلك وقال: سلوا الكتّاب وحاشية الخليفة، فإن العهد واللواء لا بد أن يسير بهما بعض خدم الخليفة، أو بعض قوّاده؛ فعلموا صدقه.

وكتب ابن الفرات إلى ابن أبي الساج ينكر عليه تعرّضه لهذه البلاد، وكذبه على الوزير علي بن عيسى، وجهّز العساكر لمحاربته، وكان مسير العساكر سنة خمس وثلاثمائة. (١٠١/٨)

وكان المقدّم على العسكر خاقان المُفلحي، ومعه جماعة من القوّاد كأحمد بن مسرور البَلخي، وسيما الجزري، ونحرير الصغير، فساروا، ولقوا يوسف، واقتتلوا، فهزمهم يوسف، وأسر منهم جماعة، وأدخلهم الرّي مشهورين على الجمال، فسيّر الخليفة مؤنساً الخادم في جيش كثيف إلى محاربته، فسار، وانضم إليه العسكر الذي كان مع خاقان، فصُرف خاقان عن أعمال الجبل، ووليها نحرير الصغير.

وسار مؤنس فأتاه أحمد بن علي، وهو أخو محمد بن علي بن صعلوك، مستأمناً، فأكرمه ووصله؛ وكتب ابن أبي الساج يسأل الرضى، وأن يقاطع على أعمال الري وما يليها على سبعمائة ألف دينار لبيت المال، سوى ما يحتاج إليه الجند وغيرهم، فلم يجبه المقتدر إلى ذلك، ولو بذل ملء الأرض لما أقرّه على الري يوماً واحداً لإقدامه على التزوير، فلما عرف ابن أبي الساج ذلك سار عن الري بعد أن أخربها، وجبى خراجها في عشرة أيام.

وقلّد الخليفة الري وقزوين وأبهر وصيفاً البكتمري، وطلب ابن أبي الساج أن يقاطع على ما كان بيده من الولاية، فأشار ابن الفرات بإجابته إلى ذلك، فعارضه نصر الحاجب، وابن الحواري، وقالا: لا يجوز أن يجاب إلى ذلك إلا بعد أن يطأ البساط.

ونسب ابن الفرات إلى مواطأة ابن أبي الساج والميل معه، فحصل بينهما وبين ابن الفرات عداوة، فامتنع المقتدر من إجابته إلى ذلك إلى أن يحضر في (١٠٢/٨) خدمته بنفسه، فلما رأى يوسف أن دمه على خطر إن حضرلخدمته حارب مؤنساً، فانهزم مؤنس إلى زنجان، وقُتل من قوّاده سيما بن بويه، وأسر جماعة منهم، فيهم هلال بن بدر، فأدخلهم أردبيل مشتهرين على الجمال.

وأقام مؤنس بزنجان يجمع العساكر، ويستمد الخليفة، وكاتبه ابن أبي الساج في الصلح، وتراسلا في ذلك، وكتب مؤنس إلى الخليفة، فلم يجبه إلى ذلك، فلما كان في المحرم سنة سبع وثلاثمائة، والوزير يومئذ حامد بن العباس، اجتمع لمؤنس عسكر كبير، فسار إلى يوسف، فتواقعا على باب أردبيل، فانهزم عسكر

يوسف، وأُسر يوسف وجماعة من أصحابه، وعاد بهم مؤنس إلى بغداد، فدخلها في المحرم أيضاً، وأدخل يوسف أيضاً بغداد مشتهراً على جمل، وعليه برنس بأذناب الثعالب، فأُدخل إلى المقتدر، ثم حُبس بدار الخليفة عند زيدان القهرمانة.

ولما ظفر مؤنس بابن أبي الساج قلّد علي بن وهسوذان أعمال الري، ودنباوند، وقزوين، وأبهر، وزنجان، وجعل أموالها لرجاله، وقلّد أصبهان، وقُمّ، وقاشان، وساوة لأحمد بن علي بن صعلوك، وسار عن أذربيجان. (١٠٣/٨)

ذكر حال هذه البلاد بعد مسير مؤنس

لما سار مؤنس عن أذربيجان إلى العراق وثب سُبُك غلام يوسف بن أبي الساج على بلاد أذربيجان، فملكها، واجتمع إليه عسكر عظيم، فأنفذ إليه مؤنس محمد بن عبيد الله الفارقي، وقلّده البلاد، وسار إلى سُبُك وحاربه، فانهزم الفارقي وسار إلى بغداد، وتمكّن سُبُك من البلاد، ثم كتب إلى الخليفة يسأل أن يقاطع على أذربيجان، فأجيب إلى ذلك، وقُرر عليه كل سنة مائتان وعشرون ألف دينار، وأُنفذت إليه الخلع والعهد، فلم يقف على ما قرّره.

ثم وثب أحمد بن مسافر، صاحب الطرم، على ابن أخيه علي بن وهسوذان وهو مقيم بناحية قزوين، فقتله على فراشه، وهرب إلى بلده، فاستعمل مكان علي بن وهسوذان وصيفاً البكتمري، وقلّد محمد بن سليمان صاحب الجيش أعمال الخراج بها.

وسار أحمد بن علي بن صعلوك من قُم إلى الري، فدخلها، فأنفذ الخليفة ينكر عليه ذلك ويأمره بالعود إلى قم فعاد، ثم إنه أظهر الخلاف، وصرف عمّال الخراج عن قم، واستعد للمسير إلى الري، فكوتب نحرير الصغير، وهو على همذان، ليسير هو ووصيف إلى الري لمنع أحمد بن علي عنها، فساروا إليها، فلقيهم أحمد بن علي على باب الري، فهزمهم أحمد، وقُتل محمد (١٠٤/٨) ابن سليمان، واستولى أحمد على الري، وكاتب نصراً الحاجب ليصلح أمره مع الخليفة، ففعل ذلك، وأصلح أمره، وقرر عليه عن الري ودنباوند وقزوين وزنجان وأبهر مائة وستين ألف دينار محمولة كل سنة إلى بغداد، فنزل أحمد عن قمّ، فاستعمل الخليفة عليها من ينظر فيها.

ذكر تغلّب كثير بن أحمد على سجستان ومحاربته

كان كثير بن أحمد بن شهفور قد تغلّب على أعمال سجستان، فكتب الخليفة إلى بدر بن عبد الله الحمّامي، وهو متقلّد أعمال فارس، يأمره أن يرسل جيشاً يحاربون كثيراً، ويؤمّر عليهم دردا، ويستعمل على الخراج بها زيد بن إبراهيم، فجهّز بدر جيشاً كثيفاً وسيّرهم، فلما وصلوا قاتلهم كثير، فلم يكن له بهم قوة، وضعف أمره وكادوا يملكون البلد، فبلغ أهل البلد أن زيداً معه قيود وأغلال لأعيانهم، فاجتمعوا مع كثير، وشدوا منه، وقاتلوا معه، فهزموا عسكر الخليفة، وأسروا زيداً، فوجدوا معه القيود والأغلال، فجعلوها في رجليه وعنقه.

وكتب كثير إلى الخليفة يتبرّأ من ذلك، ويجعل الذنب فيه لأهل البلد، فأرسل الخليفة إلى بدر الحمّامي يأمره أن يسير بنفسه إلى قتال كثير، فتجهّز (١٠٥/٨) بدر، فلما سمع كثير ذلك خاف، فأرسل يطلب المقاطعة على مال يحمله كل سنة، فأُجيب إلى ذلك، وقوطع على خمسمائة ألف درهم، وقُرّرت البلاد عليه.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة، في الصيف، خافت العامة ببغداد من حيوان كانوا يسمّونه الزبزب، ويقولون إنهم يرونه في الليل على سطوحهم، وإنه يأكل أطفالهم، وربما عض يد الرجل وثدي المرأة فقطعهما وهرب بهما، فكان الناس يتحارسون، ويستزاعقون، ويضربون بالطشوت، والصواني وغيرها ليفزعوه، فارتجّت بغداد لذلك. ثم إن أصحاب السلطان صادوا ليلة حيواناً أبلق بسواد، قصير اليدين والرجلين، فقالوا: هذا هو الزبزب، وصلبوه على الجسر، فسكن الناس، وهذه دابة تسمى طبرة، وأصاب اللصوص حاجتهم لاشتغال الناس عنهم.

وفيها توفي الناصر العلوي، صاحب طَبَرستان، في شعبان وعمره تسع وسبعون سنة، وبقيت طبرستان في أيدي العلوية إلى أن قُتل الداعي، وهو الحسن بن القاسم، سنة ست عشرة وثلاثمائة على ما نذكره. (١٠٦/٨)

وفيها خالف أبو يزيد خالد بن محمد المادرائي على المقتدر باللّه بكرمان، وكان يتولى الخراج، وسار منها إلى شيراز يريد التغلّب على فارس، فخرج إليه بدر الحمّامي فحاربه وقتله، وحُمل رأسه إلى بغداد وطيف به.

وفيها سار مؤنس المظفّر إلى بلاد الروم لغزاة الصائفة، فلما صار بالموصل قلّد سُبُك المُفلحي بازْبَدَى وقَرْدَى، وقلّد عثمان العنزي مدينة بلد، وباعيناثا، وسنجار، وقلّد وصيفاً البكتمري باقي بلاد ربيعة، وسار مؤنس إلى مَلَطية وغزا فيها، وكتب إلى أبي القاسم علي بن أحمد بن بسطام أن يغزو من طَرسوس في أهلها، ففعل.

وفتح مؤنس حصوناً كثيرة من الروم، وأثر آثاراً جميلة، وعتب عليه أهل الثغور وقالوا: لو شاء لفعل أكثر من هذا؛ وعاد إلى بغداد، فأكرمه الخليفة وخلع عليه.

وفيها توفي بمُوتُ بن المزرّع العبدي، وهو ابن أخت

الجاحظ، وسليمان بن محمد بن أحمد أبو موسى النحوي المعروف بالحامض؛ أخذ العلم عن ثعلب، وكانت وفاته في ذي الحجة، وكان من أصحاب ثعلب، ويوسف بن الحسين بن علي بن يعقوب الرازي، وهو من أصحاب ذي النون المصري، وهو صاحب قصة الفأرة معه. (١٠٧/٨)

سنة خمس وثلاثمائة

في هذه السنة، في المحرم، وصل رسولان من ملك الروم إلى المقتدر يطلبان المهادنة والفداء، فأُكرما إكراماً كثيراً، وأُدخلا على الوزير وهو في أكمل أُبهة، وقد صفّ الأجناد بالسلاح والزينة التامة، وأدّيا الرسالة إليه ثمّ دخلا على المقتدر، وقد جلس لهما، واصطف الأجناد بالسلاح والزينة التامّة، وأدّيا الرسالة. فأجابهما المقتدر إلى ما طلب ملك الروم من الفداء، وسيّر مؤنساً الخادم ليحضر الفداء، وجعله أميراً على كل بلد يدخله يتصرّف فيه على ما يريد إلى أن يخرج عنه، وسيّر معه جمعاً من الجند، وأطلق لهم أرزاقاً واسعة، وأنفذ معه مائة ألف وعشرين ألف دينار لفداء أسارى المسلمين، وسار مؤنس والرسل، وكان الفداء على يد مؤنس.

وفيها أُطلق أبو الهيجاء عبد اللّه بن حمدان، وإخوته، وأهل بيته من الحبس، وكانوا محبوسين بدار الخليفة، وقد تقدّم ذكر حبسهم وسببه.

وفيها مات العباس بن عمرو الغنوي وكان متقلّداً أعمال الحرب بديار (١٠٨/٨) مصر، فجُعل مكانه وصيف البكتمري، فلم يقدر على ضبط العمل، فعُزل، وجُعل مكانه جنّي الصفواني، فضبطه أحسن ضبط.

وفي هذه السنة كانت بالبصرة فتنة عظيمة، وسببها أنه كان الحسن بن الخليل بن رمال متقلّداً أعمال الحرب بالبصرة، وأقام بها سنين، وجرت بينه وبين العامة من مضر وربيعة فتن كثيرة، وسكنت، ثم ثارت بينهم فتنة اتصلت، فلم يمكنه الخروج من منزله برحبة بني نمير، واجتمع الجند كلهم معه، وكان لا يوجد أحد منهم في طريق إلا قُتل، حتى حوصرت، وغُوّرت القناة التي يجري فيها الماء إلى بني نُمير، فاضطر إلى الركوب إلى المسجد الجامع، فقتل من العامة خلقاً كثيراً.

فلما عجز عن إصلاحهم خرج هو ومعه الأعيان من أهل البصرة إلى واسط، فعُزل عنها، واستعمل أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي عليها فبقي نحو سنة وصُرف عنها، ووليها سُبُك المفلحي نيابة عن شفيع المقتدري.

وفيها عُقد لشمال الخادم على الغزاة في بحر الروم، وسار.

وفيها غزا جنّي الصفواني بلاد الروم، فغنم ونهب وسبى وعاد سالماً. (١٠٩/٨)

وفي هذه السنة مات أبو خليفة المحدّث البصري.

وفيها، في جُمادى الأولى، مات أبو جعفر بن محمد بن عثمان العسكري المعروف بالسَّمّان، ويُعرف أيضاً بالعمري، رئيس الإمامية، وكان يدّعي أنه الباب إلى الإمام المنتظر، وأوصى إلى أبي القاسم بن الحسين بن روح.

وفي آخرها توفي أحمد بن محمد بن شُريح وكان عالماً بمذهب الشافعي. (١١٠/٨)

سنة ستٍّ وثلاثمائة

ذكر عزل ابن الفرات ووزارة حامد بن العبّاس

في هذه السنة، في جُمادى الآخرة، قُبض على الوزير أبي الحسن بن الفرات، وكانت مدّة وزارته هذه، وهي الثانية، سنة واحدة وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً.

وكان سبب ذلك أنه أخّر إطلاق أرزاق الفرسان، واحتجّ عليهم بضيق الأموال، وأنها أُخرجت في محاربة ابن أبي الساج، وأن الارتفاع نقص بأخذ يوسف أموال الري وأعمالها، فشغب الجند شغباً عظيماً، وخرجوا إلى المصلّى، والتمس ابن الفرات من المقتدر إطلاق مائتي ألف دينار من بيت المال الخاص ليضيف إليها مائتي ألف دينار يحصلها، ويصرف الجميع في أرزاق الجند، فاشتد ذلك على المقتدر، وأرسل إليه: إنك ضمنتَ أنك ترضي جميع الأجناد، وتقوم بجميع النفقات الراتبة على العادة الأولى وتحمل بعد ذلك ما ضمنت أنك تحمله يوماً بيوم، فأراك تطلب من بيت المال الخاص؛ فاحتجّ (١١١/٨) بقلّة الارتفاع، وما أخذه ابن أبي الساج من الارتفاع وما خرج على محاربته؛ فلم يسمع المقتدر حجّته وتنكّر له عليه.

وقيل: كان سبب قبضه أن المقتدر قيل له: إن ابن الفرات يريد إرسال الحسين بن حمدان إلى ابن أبي الساج ليحاربه، وإذا صار عنده اتفقا عليك؛ ثم إن ابن الفرات قال للمقتدر في إرسال الحسين إلى ابن أبي الساج، فقتل ابن حمدان في جمادى الأولى، وقبض على ابن الفرات في جمادى الآخرة.

ثم إن بعض العمال ذكر لابن الفرات ما يتحصّل لحامد بن العباس من أعمال واسط زيادة على ضمانه، فاستكثره، وأمره أن يكاتبه بذلك، فكاتبه، فخاف حامد أن يؤخذ ويطالب بذلك المال، فكتب إلى نصر الحاجب وإلى والده المقتدر، وضمن لهما مالاً ليتحدثا له في الوزارة، فذكر للمقتدر حاله وسعة نفسه، وكثرة

أتباعه، وأنه له أربع مائة مملوك يحملون السلاح؛ واتفق ذلك عند نفرة المقتدر عن ابن الفرات، فأمره بالحضور من واسط، فحضر، وقبض على ابن الفرات وولده المحسن وأصحابهما وأتباعهما.

ولما وصل حامد إلى بغداد أقام ثلاثة أيام في دار الخليفة، فكان يتحدث مع الناس، ويضاحكهم، ويقوم لهم، فبان للخدم ولأبي القاسم بن الحواري وحاشية الدار قلّة معرفته بالوزارة، وقال له حاجبه: يا مولانا! الوزير يحتاج إلى لُبْسه، وجَلْسه، وعَبْسه؛ فقال له: تعني أن تلبس، وتقعد، فلا تقوم لأحد، ولا تضحك في وجه أحد، ولا تحدث أحداً؟ قال: نعم. (١١٢/٨)

قال حامد: إن اللّه أعطاني وجهاً طلقاً، وخلقاً حسناً، وما كنت بالذي أعبس وجهي، وأقبح خَلقي لأجل الوزارة؛ فعابوه عند المقتدر، ونسبوه إلى الجهل بأمور الوزارة، فأمر المقتدر بإطلاق علي بن عيسى من محبسه، وجعله يتولى الدواوين شبه النائب عن حامد، فكان يراجعه في الأمور ويصدر عن رأيه، ثم إنه استبد بالأمر دون حامد، ولم يبق لحامد غير اسم الوزارة ومعناه لعلي، حتى قيل فيهما:

هذا وزيرٌ بلا سوادٍ وذا سوادٌ بلا وزير

ثم إن حامداً أحضر ابن الفرات ليقابله على أعماله، ووكّل مناظرته عليّ بن أحمد المادرائي ليصحح عليه الأموال، فلم يقدر على إثبات الحجّة عليه، فانتدب له حامد، وسبّه، ونال منه، وقام إليه فلكمه.

وكان حامد سفيهاً فقال له ابن الفرات: أنت على بساط السلطان، وفي دار المملكة، وليس هذا الموضع مما تعرفه من بَيْدَر تقسمه، أو غلّة تستفضل في كيلها، ولا هو مثل أكار تشتمه؛ ثم قال لشفيع اللؤلؤي: قل لأمير المؤمنين عني إن حامداً إنما حمله على الدخول في الوزارة، وليس من أهلها، إنني أوجبت عليه أكثر من ألفي ألف دينار من فضل ضمانه، وألححت في مطالبته بها، فظن أنها تندفع عنه بدخوله في الوزارة، وأنه يضيف إليها غيرها، فاستشاط حامد، وبالغ في شتمه، فأنفذ المقتدر، فأقام ابن الفرات من مجلسه، وردّه إلى محبسه، وقال عليٌّ بن عيسى، ونصر الحاجب لحامد: قد جنَيتَ (١١٣/٨) علينا وعلى نفسك جناية عظيمة بما فعلته بابن الفرات، وأيقظت منه شيطاناً لا ينام.

ثم إن ابن الفرات صودر على مال عظيم، وضرب ولده المحسن وأصحابه، وأخذ منهم أموالاً جمّة.

وفي هذه السنة عُزل نزار عن شُرطة بغداد، وجُعل فيها نجح الطولوني، وجُعل في الأرباع فقهاء يكون عمل أصحاب الشُّرطة بفتواهم، فضعفت هيبة السلطنة بذلك، وطمع اللصوص والعيّارون، وكثرت الفتن، وكُبست دور التجار، وأُخذت بنات الناس في الطريق المنقطعة، وكثر المفسدون.

ذكر إرسال المهدي العلوي العساكر إلى مصر

وفي هذه السنة جهّز المهدي صاحب إفريقية جيشاً كثيفاً مع ابنه أبي القاسم، وسيّرهم إلى مصر، وهي المرة الثانية، فوصل إلى الإسكندرية في ربيع الآخر سنة سبع وثلاثمائة، فخرج عامل المقتدر عنها، ودخلها القائم، ورحل إلى مصر، فدخل الجيزة، وملك الأشمونين وكثيراً من الصعيد، وكتب إلى أهل مكة يدعوهم إلى الدخول في طاعته فلم يقبلوا منه. (١١٤/٨)

ووردت بذلك الأخبار إلى بغداد، فبعث المقتدر باللّه مؤنساً الخادم في شعبان، وجد في السير فوصل إلى مصر، وكان بينه وبين القائم عدة وقعات، ووصل من إفريقية ثمانون مركباً نجدةً للقائم، فأرست بالإسكندرية، وعليها سليمان الخادم، ويعقوب الكُتامي، وكانا شجاعين، فأمر المقتدر باللّه أن يسيّر مراكب طَرَسوس إليهم، فسار خمسة وعشرون مركباً، وفيها النفط والعُدد، ومقدّمها أبو اليمن، فالتقت المراكب بالمراكب، واقتتلوا على رشيد، فظفر أصحاب مراكب المقتدر، وأحرقوا كثيراً من مراكب إفريقية، وهلك أكثر أهلها، وأُسر منهم كثير، وفي الأسرى سليمان الخادم، ويعقوب، فقُتل من الأسرى كثير، وأُطلق كثير، ومات سليمان في الحبس بمصر، وحُمل يعقوب إلى بغداد، ثم هرب منها وعاد إلى إفريقية.

وأما عسكر القائم فكان بينه وبين مؤنس وقعات كثيرة، وكان الظفر لمؤنس فلُقّب حينئذ بالمظفّر.

ووقع الوباء في عسكر القائم، والغلاء، فمات منهم كثير من الناس والخيل، فعاد من سلم إلى إفريقية، وسار عسكر مصر في أثرهم، حتى أبعدوا، فوصل القائم إلى المهديّة في رجب من السنة. (١١٥/٨)

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا بشر الأفشينيُّ بلاد الروم، فافتتح عدة حصون، وغنم، وسلم؛ غزا ثمل في بحر الروم، فغنم، وسبى، وعاد؛ وكان على المرصل أبو أحمد بن حماد الموصلي.

وفيها دخل جنّي الصفواني بلاد الروم، فنهب، وخرّب، وأحرق، وفتح وعاد، فقرئت الكتب على المنابر ببغداد بذلك.

وفيها وقعت فتنة ببغداد بين العامة والحنابلة، فأخذ الخليفة جماعة منهم وسيّرهم إلى البصرة فحُبسوا.

وفيها أمر المقتدر ببناء بيمارستان، فبُني، وأُجري عليه النفقات الكثيرة، وكان يسمى البيمارستان المقتدري.

وفيها توفي القاضي محمد بن خلف بن حيان أبو بكر الضَّبّيُّ المعروف بوكيع، وكان عالماً بأخبار الناس وغيرها، وله تصانيف حسنة؛ والقاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن شريح الفقيه الشافعي وله سبع وخمسون سنة.

وفيها مات كُنَيْز المغنّي، وهو مشهور بالحذق في الغناء. (كُنيز بضم الكاف وفتح النون وآخرها زاي).(١١٦/٨)

سنة سبع وثلاثمائة

في هذه السنة ضمن حامد بن العباس أعمال الخراج، والضياع الخاصة، والعامة، والمستحدثة، والفراتية بسواد بغداد، والكوفة، وواسط، والبصرة، والأهواز، وأصبهان.

وسبب ذلك أنه لما رأى أنه قد تعطّل عن الأمر والنهي وتفرّد به عليُّ ابن عيسى شرع في هذا ليصير له حديث وأمر ونهي، واستأذن المقتدر في الانحدار إلى واسط ليدبّر أمر ضمانه الأول، فأذن له في ذلك، فانحدر إليها واسم الوزارة عليه، وعليُّ بن عيسى يدبّر الأمور، وأظهر حامد زيادة ظاهرة في الأموال، وزاد زيادة متوفرة، فسُرّ المقتدر بذلك، وبسط يد حامد في الأعمال، حتى خافه علي بن عيسى.

ثم إن السعر تحرك ببغداد، فثارت العامة والخاصة لذلك، واستغاثوا، وكسروا المنابر، وكان حامد يخزن الغلال، وكذلك غيره من القوّاد، ونُهبت عدة من دكاكين الدقّاقين، فأمر المقتدر بإحضار حامد بن العباس، فحضر من الأهواز، فعاد الناس إلى شغبهم، فأنفذ حامد لمنعهم، فقاتلوهم، وأحرقوا الجسرين، وأخرجوا المحبَّسين من السجون، ونهبوا دار صاحب الشُّرطة، ولم يتركوا له شيئاً، فأنفذ المقتدر جيشاً مع غريب الخال، (١١٧/٨) فقاتل العامة، فهربوا من بين يديه، ودخلوا الجامع بباب الطاق، فوكل بأبواب الجامع، وأخذ كل من فيه فحبسهم، وضرب بعضهم، وقطع أيدي من يُعرف بالفساد.

ثم أمر المقتدر من الغد، فنودي في الناس بالأمان، فسكنت الفتنة، ثم إن حامداً ركب إلى دار المقتدر في الطيّار، فرجمه العامة، ثم أمر المقتدر بتسكينهم فسكنوا، وأمر المقتدر بفتح مخازن الحنطة والشعير التي لحامد، ولأم المقتدر، وغيرهما، وبيع ما فيها، فرخصت الأسعار، وسكن الناس، فقال علي بن عيسى للمقتدر: إن سبب غلاء الأسعار إنما هو ضمان حامد لأنه منع من بيع الغلال في البيادر وخزنها، فأمر بفسخ الضمان عن حامد، وصرف عماله عن السواد، وأمر علي بن عيسى أن يتولى ذلك، فسكن الناس واطمأنوا؛ وكان أصحاب حامد يقولون إن ذلك الشغب كان بوضع من علي بن عيسى.

ذكر أمر أحمد بن سهل

في هذه السنة ظفر الأمير نصر بن أحمد صاحب خراسان وما وراء النهر بأحمد بن سهل، ونحن نذكر حاله من أوله. (١١٨/٨)

كان أحمد بن سهل هذا من كبار قوّاد الأمير إسماعيل بن أحمد، وولده أحمد بن إسماعيل، وولده نصر بن أحمد، وقد تقدّم من ذكر تقدُّمه على الجيوش في الحروب ما يدل على علو منزلته.

وهو أحمد بن سهل بن هاشم بن الوليد بن حبلة بن كامكار بن يزدجرد بن شهريار الملك، وكان كامكار دهقاناً بنواحي مرو، وإليه يُنسب الورد الكامكاري، وهو الشديد الحمرة، وهو الذي يسمى بالرّي القصراني، وبالعراق والجزيرة والشام الجُوري، يُنسب إلى قصران، وهي قرية بالرّي، وإلى مدينة جور، وهي من مدن فارس.

وكان لأحمد إخوة يقال لهم محمد، والفضل، والحسين، قُتلوا في عصبية العرب والعجم بمَرو، وكان أحمد خليفة عمرو بن الليث على مَرو، فقبض عليه عمرو، ونقله إلى سِجِستان، فحبسه بها، فرأى وهو في السجن كأن يوسف النبي، عليه السلام، على باب السجن، فقال له: ادعُ اللّه أن يخلّصني ويولّيني! فقال له: قد أذن اللّه في خلاصك، لكنك لا تلي عملاً برأسك.

ثم إن أحمد طلب الحمّام فأُدخل إليه، فأخذ النورة فطلى بها رأسه ولحيته فسقط شعره، وخرج من الحمّام ولم يعرفه أحد، فاختفى، فطلبه عمرو فلم يظفر به، ثم خرج من سِجِستان نحو مرو، فقبض على خليفة عمرو واستولى عليها، واستأمن إلى إسماعيل بن أحمد ببخارى، فأكرمه، وقدّمه، ورفع قدره، وكان عاقلاً كتوماً لأسراره.

(١١٩/٨) فلما عصى الحسين بن علي سيّر إليه أحمد، فظفر به على ما ذكرناه، وضمن له الأمير نصر أشياء لم يفِ له بها، فاستوحش من ذلك، فأتاه يوماً بعض أصحاب أبي جعفر صعلوك، فحادثه، فأنشده أحمد بن سهل، وقد ذكر حاله، وأنهم لم يفوا له بما وعدوه:

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتني ... يمينك، فانظر أيّ كفّيك تُبدلُ
وفي الناس إن رثّت حبالُك واصلٌ ... وفي الأرض عن دار العلى متحوّلُ
إذا أنت لم تُنصف أخاك وجدته ... على طرف الهجران إن كان يعقلُ
وتركبُ حدّ السيفِ من أن تُضيمَه ... إذا لم يكن عن شفرَةِ السيفِ مرحل
إذا انصرفتْ نفسي عن الشيء لم تكدْ ... إليه بوجهٍ، آخر الدهر، تُقبلُ

قال: فعلمت أنه قد أضمر المخالفة، فلم تمض إلا أيام حتى خالفه بنيسابور واستولى عليها وأسقط خطبة السعيد نصر بن أحمد، وأنفذ رسولاً إلى بغداد يخطب له أعمال خراسان.

وسار من نيسابور إلى جُرجان وبها قراتكين، فحاربه، واستولى

عليها، وأخرج قراتكين عنها، ثم عاد إلى خراسان، وقصد مرو فاستولى عليها، وبنى عليها سوراً وتحصّن بها، فأرسل إليه السعيد نصر الجيوش مع حموية بن علي من بخارى، فوافى مرو الرُّوذ، فأقام بنواحيها ليخرج إليه أحمد بن سهل منها، فلم يفعل.

ودخل بعض أصحاب أحمد عليه يوماً، وهو يفكر بعد نزول حموية (١٢٠/٨) عليه، فقال له صاحبه: لا شك أن الأمير مشغول القلب لهذا الخطب، فما هو رأي الأمير؟ فقال: ليس بي ما تظن، ولكن ذكرتُ رؤيا رأيتها في حبس سجستان، وذكر قول يوسف الصِّدِّيق، عليه السلام: إنك لا تلي عملاً برأسك. قال: فقلت له: إن القوم يغتنمون سلمك، ويعطونك ما تريد، فإن رأيت أن يتوسط الحال فعلنا؛ فأنشد:

سأغسلُ عني العارَ بالسيفِ جالباً ... عليَّ قضاءُ اللّه ما كانَ جالبا

ولما رأى حموية أنه لا يخرج إليه من مرو عمل الحيلة في ذلك، فجعل يقول: قد أدخلتُ ابن سهل في جحر فأر وسددتُ عليه وجوه الفرار؛ وأشباه هذا من الكلام ليغضب أحمد فيخرج، فلم يفعل ذلك، فحينئذ أمر حموية جماعة من ثقات قوّاده، فكاتبوا أحمد بن سهل سراً، وأظهروا له الميل، ودعوه إلى الخروج من مرو ليسلّموا إليه حموية، فأجابهم إلى ذلك، لما في نفسه من الغيظ على حموية، فخرج عن مرو نحو حموية، فالتقوا على مرحلة من مرو الرُّوذ في رجب سنة سبع وثلاثمائة، فانهزم أصحاب أحمد، وحارب هو إلى أن عجزت دابته، فنزل عنها واستأمن، فأخذوه أسيراً، وأنفذوه إلى بخارى، فمات بها في الحبس في ذي الحجة من سنة سبع وثلاثمائة.

وكان الأمير أحمد بن إسماعيل بن أحمد يقول: لا ينبغي لأحمد بن سهل أن يغيب عن باب السلطان، فإنه إن غاب عنه أثار شغلاً عظيماً، كأنه كان يتوسّم فيه ما فعل، فهكذا ينبغي أن تكون فراسة الملك. (١٢١/٨)

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة وقع حريق بالكرخ من بغداد، فاحترق فيه كثير من الدور والناس.

وفيها قُلّد إبراهيم بن حمدان ديار ربيعة، وقُلّد بنّيّ بن نفيس شهرزور، فامتنعت عليه، فاستمد المقتدر، فسيّر إليه جيشاً، فحصرها ولم يفتحها، وقُلّد القتال بالموصل وأعمالها.

وفيها أوقع ثمل متولّي الغزو في البحر بمراكب للمهدي العلوي، صاحب إفريقية، وقتل جماعة ممن فيها، وأسر خادماً له.

وفيها انقضّ كوكب عظيم فاشتد ضوءه وعظم، وتفرق ثلاث فرق، وسمع عند انقضاضه مثل صوت الرعد الشديد، ولم يكن في السماء غيم.

وفيها كانت فتنة بالموصل بين أصحاب الطعام وبين الأساكفة، واحترق سوق الأساكفة وما فيه، وكان الوالي على الموصل وأعمالها العباس بن محمد بن إسحاق بن كنداج، وكان خارجاً عن البلد، فسمع بالفتنة، فرجع ليوقع بأهل الموصل، فعزموا على قتاله، وحصنوا البلد، وسدّوا الدروب، فلما علم بذلك ترك قتالهم، وأمر الأعراب بتخريب الأعمال، فصاروا (١٢٢/٨) يقطعون الطريق على الجسر وفي الميدان، ويقاسمونه، فخرب البلد، فبلغ الخبر إلى الخليفة، فعزله سنة ثمان وثلاثمائة، واستعمل بعده عبد اللّه بن محمد الفتّان، وكان عفيفاً، صارماً، كفّ الأعراب عن البلد.

وفيها توفي أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، صاحب المسند بها. (١٢٣/٨)

سنة ثمان وثلاثمائة

في هذه السنة خلف المقتدر على أبي الهيجاء عبد اللّه بن حمدان، وقُلّد طريق خُراسان والدِّينَور، وخلع على أخويه أبي العلاء وأبي السرايا.

وفيها وصل رسول أخي صعلوك بالمال، والهدايا، والتحف، ويخبر باستمراره على الطاعة للمقتدر باللّه.

وفيها توفي إبراهيم بن حمدان في المحرم.

وفيها قُلّد بدر الشرابيُّ دقوقا، وعُكْبرا، وطريق الموصل.

وفيها توفي إبراهيم بن محمد بن سفيان صاحب مسلم بن الحجّاج، ومن طريقه يُروى صحيح مسلم إلى اليوم. (١٢٤/٨)

سنة تسع وثلاثمائة

ذكر قتل ليلى بن النعمان الديلمي

في هذه السنة قُتل ليلى بن النعمان الديلمي، وكان ليلى هذا أحد قوّاد أولاد الأُطروش العلوي، وكان إليه ولاية جُرجان، وكان قد استعمله عليها الحسن بن القاسم الداعي سنة ثمان وثلاثمائة، وكان أولاد الأُطروش يكاتبونه: المؤيِّد لدين اللّه المنتصر لآل رسول اللّه ﷺ ليلى بن النعمان؛ وكان كريماً، بذّالاً للأموال، شجاعاً، مقداماً على الأهوال.

وسار من جُرجان إلى الدّامغان، فحاربه أهلها، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وعاد إلى جُرجان، فابتنى أهل الدّامغان حصناً يحميهم، وسار قراتكين إليه بجُرجان، فحاربه على نحو عشرة فراسخ من جُرجان، فانهزم قراتكين، واستأمن غلامه بارس إلى

ليلى ومعه ألف فارس، فأكرمه ليلى، وزوّجه أخته، واستأمن إليه أبو القاسم بن حفص ابن أخت أحمد بن سهل، فأكرمه ليلى.

ثم إن الأجناد كثروا على ليلى بن النعمان، فضاقت الأموال عليه، فسار نحو نيسابور بأمر الحسن بن القاسم الداعي، وتحريض أبي القاسم بن حفص، وكان بها قراتكين، فوردها في ذي الحجة سنة ثمان وثلاثمائة، وأقام بها (١٢٥/٨) الخطبة للداعي، وأنفذ السعيد نصر من بخارى إليه حموية بن علي، فالتقوا بطوس، واقتتلوا، فانهزم أكثر أصحاب حموية بن علي حتى بلغوا مرو، وثبت حموية، ومحمد بن عبد اللّه البلغمي، وأبو جعفر صعلوك، وخوارزم شاه، وسيمجور الدواتي، فاقتتلوا، فانهزم بعض أصحاب ليلى، ومضى ليلى منهزماً، فدخل ليلى سكّة لم يكن له فيها مخرج، ولحقه بغرا فيها، فلم يقدر ليلى على الهرب، فنزل وتوارى في دار، فقبض عليه بغرا، وأنفذ إلى حموية فأعلمه بذلك، فأنفذ من قطع رأس ليلى، ونصبه على رمح، فلما رآه أصحابه طلبوا الأمان فأُمّنوا.

ثم قال حموية للجند: قد مكّنكم اللّه من شياطين الجيل والدّيلم، فأبيدوهم واستريحوا منهم أبد الدهر؛ فلم يفعلوا، وحامى كل قائد جماعة، فخرج منهم من خرج بعد ذلك، وكان قتل ليلى في ربيع الأول سنة تسع وثلاثمائة، وحُمل رأسه إلى بغداد، وبقي بارس غلام قراتكين بجرجان.

وقيل إن حموية لما سار إلى قتال ليلى قيل له: إن ليلى يستبطئك في قصده؛ فقال: إني ألبس أحدّ خُفّي للحرب العام، والآخر في العام المقبل؛ فبلغ قوله ليلى، فقال: لكني ألبس أحد خُفّي للحرب قاعداً، والثاني قائماً وراكباً؛ فلما قُتل قال حموية: هكذا مَن تعجّل إلى الحرب. (١٢٦/٨)

ذكر قتل الحسين الحلاّج

في هذه السنة قُتل الحسين بن منصور الحلاج الصوفي وأُحرق، وكان ابتداء حاله أنه كان يُظهر الزهد والتصوّف، ويُظهر الكرامات، ويخرج للناس فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، ويمد يده إلى الهواء فيعيدها مملوءة دراهم عليها مكتوب: قل هو اللّه أحد، ويسميها دراهم القدرة، ويخبر الناس بما أكلوه، وما صنعوه في بيوتهم، ويتكلّم بما في ضمائرهم، فافتتن به خلق كثير واعتقدوا فيه الحلول، وبالجملة فإن الناس اختلفوا فيه اختلافهم في المسيح، عليه السلام، فمِن قائل إنه حلّ فيه جزء إلهي، ويدّعي فيه الربوبية، ومن قائل إنّه وليّ اللّه تعالى، وإنّ الذي يظهر منه من جملة كرامات الصالحين، ومِن قائل إنه مشعبذ، وممخرق، وساحر كذاب، ومتكهّن، والجن تطيعه فتأتيه بالفاكهة في غير أوانها.

وكان قدم من خراسان إلى العراق وسار إلى مكة فأقام بها سنة في الحجر لا يستظل تحت سقف شتاءً ولا صيفاً، وكان يصوم الدهر، فإذا جاء العشاء أحضر له القوّام كوز ماء، وقرصاً، فيشربه، ويعضّ من القرص ثلاث عضّات من جوانبه، فيأكلها ويترك الباقي فيأخذونه، ولا يأكل شيئاً آخر إلى الغد آخر النهار.

وكان شيخ الصوفية يومئذ بمكة عبد اللّه المغربي، فأخذ أصحابه ومشى (١٢٧/٨) إلى زيارة الحلاّج، فلم يجده في الحجر، وقيل له: قد صعد إلى جبل أبي قُبيس؛ فصعد إليه، فرآه على صخرة حافياً، مكشوف الرأس، والعرق يجري منه إلى الأرض، فأخذ أصحابه وعاد ولم يكلمه، فقال: هذا يتصبّر ويتقوّى على قضاء اللّه، سوف يبتليه اللّه بما يعجز عنه صبره وقدرته؛ وعاد الحسين إلى بغداد. وأما سبب قتله فإنه نُقل عنه عند عوده إلى بغداد إلى الوزير حامد بن العباس أنه أحيا جماعة، وأنه يحيي الموتى، وأن الجن يخدمونه، وأنهم يُحضرون عنده ما يشتهي، وأنه قد موّه على جماعة من حواشي الخليفة، وأن نصراً الحاجب قد مال إليه وغيره، فالتمس حامد الوزير من المقتدر باللّه أن يسلّم إليه الحلاج وأصحابه، فدفع عنه نصر الحاجب، فألحّ الوزير، فأمر المقتدر بتسليمه إليه، فأخذه، وأُخذ معه إنسان يُعرف بالشمريّ، وغيره، قيل إنهم يعتقدون أنه إلهٌ، فقرّرهم، فاعترفوا أنهم قد صح عندهم أنه إلهٌ، وأنه يحيي الموتى، وقابلوا الحلاج على ذلك، فأنكره وقال: أعوذ باللّه أن ادّعي الربوبية، أو النبوة، وإنما أنا رجل أعبد اللّه، عز وجل! فأحضر حامد القاضي أبا عمرو والقاضي أبا جعفر بن البهلول، وجماعة من وجوه الفقهاء والشهود، فاستفتاهم، فقالوا: لا يفتى في أمره بشيء، إلا أن يصحّ عندنا ما يوجب قتله، ولا يجوز قبول قول مَن يدّعي عليه ما ادعاه إلا ببيّنة أو إقرار. (١٢٨/٨)

وكان حامد يخرج الحلاج إلى مجلسه، ويستنطقه، فلا يظهر منه ما تكرهه الشريعة المطهرة.

وطال الأمر على ذلك وحامد الوزير مجدّ في أمره، وجرى له معه قصص يطول شرحها، وفي آخرها أن الوزير رأى له كتاباً حكى فيه أن الإنسان إذا أراد الحج، ولم يمكنه، أفرد من داره بيتاً لا يلحقه شيء من النجاسات، ولا يدخله أحد، فإذا حضرت أيام الحج طاف حوله، وفعل ما يفعله الحاج بمكة، ثم يجمع ثلاثين يتيماً، ويعمل أجود طعام يمكنه، ويُطعمُهُم في ذلك البيت، ويخدُمهم بنفسه، فإذا فرغوا كساهم، وأعطى كل واحد منهم سبعة دراهم، فإذا فعل ذلك كان كمَن حج.

فلما قُرئ هذا على الوزير قال القاضي أبو عمرو للحلاج: من أين لك هذا؟ قال: من كتاب الإخلاص للحسن البصري؛ قال له القاضي: كذبتَ يا حلال الدم! قد سمعناه بمكة وليس فيه هذا؛ فلما قال له: يا حَلالَ الدم، وسمعها الوزير قال له: اكتب بهذا؛ فدافعه

أبو عمرو، فألزمه حامد، فكتب بإباحة دمه، وكتب بعده من حضر المجلس.

ولما سمع الحلاج ذلك قال: ما يحلّ لكم دمي واعتقادي الإسلام (١٢٩/٨) ومذهبي السُّنة، ولي فيها كتب موجودة، فاللّه اللّه في دمي! وتفرّق الناس.

وكتب الوزير إلى الخليفة يستأذنه في قتله، وأرسل الفتاوى إليه، فأذن في قتله، فسلّمه الوزير إلى صاحب الشُّرطة، فضربه ألف سوط فما تأوّه، ثم قطع يده، ثم رجله، ثم يده، ثم رجله، ثم قُتل وأُحرق بالنار، فلما صار رماداً أُلقي في دجلة، ونُصب الرأس ببغداد، وأُرسل إلى خراسان لأنه كان له بها أصحاب، فأقبل بعض أصحابه يقولون: إنه لم يُقتل، وإنما أُلقي شبهه على دابّة، وإنه يجيء بعد أربعين يوماً؛ وبعضهم يقول: لقيتُه على حمار بطريق النَّهروان، وإنه قال لهم: لا تكونوا مثل هؤلاء البقر الذين يظنون أني ضُربت وقُتلت.

ذكر عدة حوادث

وفيها، في ربيع الأول، وقع حريق كبير في الكرخ، فاحترق فيه بشر كثير.

وفيها استعمل المقتدر على حرب الموصل ومعونتها محمد بن نصر الحاجب، في جمادى الأولى، وسار إليها فيه، فلما وصل إليها أوقع بمن خالفه من الأكراد المارانيّة، فقتل، وأسر، وأرسل إلى بغداد نيّفاً وثمانين أسيراً، فشُهروا. (١٣٠/٨)

وفيها قُلّد داود بن حمدان ديار ربيعة.

وفيها توفي أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدميُّ الصوفيُّ من كبار مشايخهم وعُلمائهم، وأبو إسحاق إبراهيم بن هارون الحرّاني الطبيب، وأبو محمد عبد اللّه بن حمدون النديم. (١٣١/٨)

سنة عشر وثلاثمائة

ذكر حرب سيمجور مع أبي الحسين بن العلوي

قد ذكرنا قتل ليلى بن النعمان، وأن جُرجان تخلّف بها بارس غلام قراتكين، فلما قُتل ليلى بن النعمان عاد قراتكين إلى جُرجان، فاستأمن إليه غلامه بارس، فقتله قراتكين، وانصرف عن جُرجان، وقدمها أبو الحسين ابن الحسن بن علي الأُطروش العلوي، الملقّب والده بالناصر، وأقام بها، فأنفذ إليه السعيد نصر بن أحمد سيمجور الدواتيُّ في أربعة آلاف فارس، فنزل على فرسخين من جُرجان، وحاصر أبا الحسين نحو شهر من هذه السنة.

وخرج إليه أبو الحسين في ثمانية آلاف رجل من الدَّيلم، والجُرجانيّة، وصاحب جيشه سُرخاب بن وهسوذان ابن عمّ ماكان بن كالي الديلمي، فتحاربا حرباً عظيمة، وكان سيمجور قد جعل كميناً من أصحابه، فأبطؤوا عنه، فانهزم سيمجور، ووقع أصحاب أبي الحسين في عسكر سيمجور، واشتغلوا بالنهب والغارة، فخرج عليهم الكمين بعد الظفر، فقتلوا من الديلم والجُرجانية نحو أربعة آلاف رجل، وانهزم أبو الحسين، وركب في البحر، ثم عاد إلى أستراباذ، واجتمع إليه فلّ أصحابه. (١٣٢/٨)

وكان سُرخاب قد تبع سيمجور في هزيمته، فلما عاد رأى أصحابه مقتّلين مشرّدين، فسار إلى استراباذ، واستصحب معه عيال أصحابه ومخلّفيهم، وأقام بها مع أبي الحسين بن الناصر، ثم سمع سيمجور بظفر أصحابه، فعاد إليهم، وأقام بجرجان، ثم اعتلّ سُرخاب ومات، ورجع ابن الناصر إلى سارية، واستخلف ما كان بن كالي على استراباذ، فاجتمع إليه الديلم، وقدّموه، وأمّروه على أنفسهم.

ثم سار محمد بن عبيد اللّه البلغمي وسيمجور إلى باب استراباذ، وحاربوا ما كان بن كالي، فلما طال مقامهم اتفقوا معه على أن يخرج عن استراباذ إلى سارية، وبذلوا له على هذا مالاً ليظهر للناس أنهم قد افتتحوها، ثم ينصرفون عنها ويعود إليها، فعل وسار إلى سارية، ثم رحلوا عن استراباذ إلى جُرجان، ثم إلى نيسابور، وجعلوا بُغرا باستراباذ، فلما ساروا عنها عاد إليها ما كان بن كالي، ففارقها بغرا إلى جُرجان، وأساء السيرة في أهلها، وخرج إليه ما كان، فرجع بُغرا إلى نيسابور، وأقام ما كان بجرجان؛ ونحن نذكر ابتداء حال ما كان، وننقلها عند قتله سنة تسع وعشرين وثلاثمائة.

ذكر خروج إلياس بن إسحاق بن أحمد بن أسد الساماني

ثم خرج إلياس بن إسحاق بن أحمد، المقدّم ذكره أنه خرج مع أبيه، وانهزم إلى فرغانة، فلما بلغ فرغانة أقام بها إلى أن خرج ثانياً، واستعان (١٣٣/٨) عند خروجه بمحمد بن الحسين بن متّ، وجمع من الترك، فاجتمع معه ثلاثون ألف عنان، فقصد سمرقند مشاقّاً للسعيد نصر بن أحمد، فسيّر إليه نصر أبا عمرو محمد بن أسد وغيره في ألفين وخمسمائة رجل، فكمنوا خارج سمرقند يوم ورود إلياس، فلما وردها، واشتغل هو ومَن معه بالنزول، خرج الكمين عليه من بين الشجر، ووضعوا السيوف فيهم، فانهزم إلياس وأصحابه، فوصل إلياس إلى فرغانة، ووصل ابن متّ إلى اسبيجاب، ومنها إلى ناحية طِراز، فكوتب دهقان الناحية التي نزلها، وأُطمع، وقبض عليه، وقتله، وأنفذ رأسه إلى بخارى.

وكان ابن متّ شجاعاً، وكان قد سخّر جمالاً عند خروجه،

فجاء أصحابه يطلبونها منه، فقال: سأردّها عليكم ببغداد، يعني أنه لا يرد شيئاً من بغداد، ثقةً بكثرة جمعه وقوّته، فجاءت الأقدار بما لم يكن في الحساب.

ثم عاد إلياس فخرج مرة ثالثة، وأعانه أبو الفضل بن أبي يوسف، صاحب الشاش، فسيّر إليه محمد بن اليسَع، فحاربهم، فانهزم إلياس إلى كاشغَر، وأُسر أبو الفضل، وحُمل إلى بخارى فمات بها.

وأما إلياس فصاهر دهقان كاشْغَر طغانتكين، واستقر بها، ثم وليَ (١٣٤/٨) محمد بن المظفّر فرغانة، فرجع إليها إلياس بن إسحاق معانداً، فحاربه محمد بن المظفّر، فهزمه مرة أخرى فعاد، إلى كاشغر، فكاتبه محمد بن المظفر، واستماله، ولطف به، فأمن إلياس إليه، وحضر إلى بخارى، فأكرمه السعيد، وصاهره، وأقام معه.

ذكر وفاة محمد بن جرير الطبري

وفي هذه السنة توفي محمد بن جرير الطبري، صاحب التاريخ، ببغداد، ومولده سنة أربع وعشرين ومائتين، ودفن ليلاً بداره، لأن العامة اجتمعت، ومنعت من دفنه نهاراً، وادعوا عليه الرفض، ثم ادعوا عليه الإلحاد؛ وكان عليُّ بن عيسى يقول: واللّه لو سُئل هؤلاء عن معنى الرفض والإلحاد ما عرفوه، ولا فهموه، هكذا ذكره ابن مِسكويه صاحب تجارب الأمم، وحُوشي ذلك الإمام عن مثل هذه الأشياء.

وأما ما ذكره عن تعصّب العامة، فليس الأمر كذلك، وإنما بعض الحنابلة تعصّبوا عليه، ووقعوا فيه فتبعهم غيرهم، ولذلك سبب، وهو أنّ الطبري جمع كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء، لم يصنف مثله، ولم يذكر فيه أحمد بن حنبل، فقيل له في ذلك، فقال: لم يكن فقيهاً، وإنما كان محدّثاً، فاشتد ذلك على الحنابلة، وكانوا لا يحصون كثرة ببغداد، فشغبوا عليه، وقالوا ما أرادوا:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالناسُ أعداءٌ له وخُصومُ (١٣٥/٨)

كضرائرِ الحسناءِ قُلْنَ لوجهِها حسداً وبغياً إنهُ لَدَميمُ

وقد ذكرت شيئاً من كلام الأئمة في أبي جعفر يُعلم [منه] محلّه في العلم، والثقة، وحسن الاعتقاد، فمن ذلك ما قاله الإمام أبو بكر الخطيب، بعد أن ذكر مَن روى الطبري عنه، ومَن روى عن الطبري، فقال: وكان أحد أئمة العلماء يُحكم بقوله، ويُرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب اللّه، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقاويل الصحابة والتابعين، ومَن بعدَهم في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، خبيراً بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك، والكتاب الذي في التفسير لم يصنف مثله، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة، وأخبار من أقاويل الفقهاء؛ وتفرّد بمسائل حُفظت عنه.

وقال أبو أحمد الحسين بن علي بن محمد الرازي: أول ما سألني الإمام أبو بكر بن خُزَيمة قال لي: كتبتَ عن محمد بن جرير الطبري؟ قلتُ: لا! قال: لِمَ؟ قلت: لا يظهر، وكانت الحنابلة تمنع من الدخول عليه؛ فقال: بئس ما فعلت! ليتك لم تكتب عن كل مَن كتبت عنه؛ وسمعت عن أبي جعفر، وقال حسينك، واسمه الحسين بن علي التميمي، عن ابن خُزَيمة نحو ما تقدم. (١٣٦/٨)

وقال ابن خُزيمة حين طالع كتاب التفسير للطبري: ما أعلم على أديم الأرض أعلم من أبي جعفر، ولقد ظلمته الحنابلة.

وقال أبو محمد عبد اللّه بن أحمد الفرغاني، بعد أن ذكر تصانيفه: وكان أبو جعفر ممن لا يأخذه في اللّه لومة لائم، ولا يعدل، في علمه وتبيانه، عن حق يلزمه لربه وللمسلمين، إلى باطل لرغبة ولا رهبة، مع عظيم ما كان يلحقه من الأذى والشناعات من جاهل، وحاسد، وملحد.

وأما أهل الدين والورع فغير منكرين علمه، وفضله، وزهده، وتركه الدنيا مع إقبالها عليه، وقناعته بما كان يرد عليه من قرية خلّفها له أبوه بطبرستان يسيرة؛ ومناقبه كثيرة لا يحتمل هاهنا أكثر من هذا.

ذكر عدة حوادث

فيها أطلق المقتدر يوسف بن أبي الساج من الحبس بشفاعة مؤنس الخادم وحُمل إليه، ودخل إلى المقتدر، وخلع عليه، ثم عقد له على الرّي، وقزوين، وأبهر، وزنجان، وأذربيجان، وقرر عليه خمسمائة ألف دينار محمولة كل سنة إلى بيت المال سوى أرزاق العساكر الذين بهذه البلاد.

وخلع في هذا اليوم على وصيف البكتمري، وعلى طاهر ويعقوب ابنَي (١٣٧/٨) محمد بن عمرو بن الليث.

وتجهّز يوسف، وضم إليه المقتدر باللّه العساكر مع وصيف البكتمري، وسار عن بغداد في جمادى الآخرة إلى أذربيجان، وأمر أن يجعل طريقه على الموصل، وينظر في أمر ديار ربيعة، فقدم إلى الموصل، ونظر في الأعمال، وسار إلى أذربيجان، فرأى غلامه سُبُكاً قد مات.

وفيها قُلّد نازوك الشُّرطة ببغداد.

وفيها وصلت هدية إلى أبي زنبور الحسين بن أحمد المادراني من مصر وفيها بغلة، ومعها فِلْوٌ يتبعها، ويرضع منها، وغلام طويل اللسان، يلحق لسانه أرنبة أنفه.

وفيها قبض المقتدر على أم موسى القهرمانة، وكان سبب ذلك أنها زوّجت ابنة أختها من أبي العباس أحمد بن محمد بن إسحاق بن المتوكل على اللّه، وكان محسناً، له نعمة ظاهرة، ومروءة حسنة، وكان يرشّح للخلافة، فلما صاهرته أكثرت من النثار والدعوات، وخسرت أموالاً جليلة، فتكلم أعداؤها، وسعوا بها إلى المقتدر، وقالوا إنها قد سعت لأبي العباس في الخلافة، وحلّفت له القوّاد؛ وكثر القول عليها فقبض عليها، وأخذ منها أموالاً عظيمة وجواهر نفيسة.

وفيها غزا المسلمون في البر والبحر، فغنموا وسلموا. (١٣٨/٨)

وفيها كان بالموصل شغب من العامة، وقتلوا خليفة محمد بن نصر الحاجب بها، فتجهز العسكر من بغداد إلى الموصل.

وفيها، في جمادى الآخرة، انقضّ كوكب عظيم له ذنب في المشرق في برج السنبلة، طوله نحو ذراعين.

وفيها سار محمد بن نصر الحاجب من الموصل إلى الغزاة على قَالِيقَلا، فغزا الروم من تلك الناحية، ودخل أهل طَرَسوس ملَطية، فظفروا، وبلغوا من بلاد الروم والظفر بهم ما لم يظنوه وعادوا.

وفيها توفي أبو عبد اللّه محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد اليزيدي الأديب، أخذ العلم عن ثعلب والرياسي. (١٣٩/٨)

سنة إحدى عشرة وثلاثمائة

ذكر عزل حامد وولاية ابن الفرات

في هذه السنة، في ربيع الآخر، عزل المقتدر حامد بن العباس عن الوزارة، وعلي بن عيسى عن الدواوين، وخلع على أبي الحسين بن الفرات، وأعيد إلى الوزارة.

وكان سبب ذلك أن المقتدر ضجر من استغاثة الأولاد، والحُرَم، والخدم والحاشية من تأخير أرزاقهم، فإن علي بن عيسى كان يؤخرها، فإذا اجتمع عدة شهور أعطاهم البعض، وأسقط البعض، وحطّ من أرزاق العمال في كل سنة شهرين، وغيرهم ممن له رزق، فزادت عداوة الناس له.

وكان حامد بن العباس قد ضجر من المُقام ببغداد، وليس إليه من الأمر شيء غير لبس السواد، وأنِف من اطّراح علي بن عيسى بجانبه، فإنه كان يُهينه في توقيعاته بالإطلاق عليه لضمانه بعض الأعمال، وكان يكتب: ليطلق جهبذ الوزير أعزّه اللّه، وليبادر نائب الوزير.

وكان إذا شكا إليه بعض نواب حامد يكتب على القصة: إنما عقد الضمان، (١٤٠/٨) على النائب الوزيري، عن الحقوق الواجبة السلطانية، فيتقدم إلى عماله بكف الظلم عن الرعية. فاستأذن حامد، وسار إلى واسط لينظر في ضمانه، فأذن له، وجرى بين مفلح الأسود وبين حامد كلام، قال له حامد: لقد هممتُ أن أشتري مائة خادم أسود، وأسميهم مُفلحاً، وأهبهم لغلماني؛ فحقده مُفلح، وكان خصّيصاً بالمقتدر، فسعى معه المحسن بن الفرات لوالده بالوزارة، وضمن أموالاً جليلة، وكتب على يده رقعة يقول: إن يُسلّم الوزير، وعلي بن عيسى، وابن الحواري، وشفيع اللؤلؤي، ونصر الحاجب، وأم موسى القهرمانة، والمادرانيّون يستخرج منهم سبعة آلاف ألف دينار.

وكان المحسن مطلقاً، وكان يواصل السعاية بهؤلاء الجماعة، وذكر ابن الفرات للمقتدر ما كان يأخذه ابن الحواري كل سنة من المال، فاستكثره، فقبض على علي بن عيسى في ربيع الآخر، وسُلّم إلى زيدان القهرمانة، فحبسته في الحجرة التي كان ابن الفرات محبوساً فيها، وأُطلق ابن الفرات، وخُلع عليه، وتولى الوزارة، وخُلع على ابنه المحسن، وهذه الوزارة الثالثة لابن الفرات.

وكان أبو علي بن مقلة قد سعى بابن الفرات، وكان يتقلّد بعض الأعمال أيام حامد، فحضر عند ابن الفرات، وكان ابن الفرات هو الذي قدّم ابن مقلة، وربّاه، وأحسن إليه، ولما قيل عنه إنه سعى به لم يصدق ذلك، حتى تكرر ذلك منه.

ثم إن حامداً صعد من واسط، فسيّر إليه ابن الفرات من يقبض عليه في الطريق وعلى أصحابه، فقبض على بعض أصحابه، وسمع حامد فهرب (١٤١/٨) واختفى ببغداد؛ ثم إن حامداً لبس زي راهب، وخرج من مكانه الذي اختفى فيه، ومشى إلى نصر الحاجب، فاستأذن عليه، فأذن له، فدخل عليه، وسأله إيصال حاله إلى الخليفة، فاستدعى نصر مفلحاً الخادم وقال: هذا يستأذن إلى الخليفة، إذا كان عند حرمه.

فلما حضر مُفلح فرأى حامداً قال: أهلاً بمولانا الوزير؛ أين مماليكك السودان الذين سمّيتَ كل واحد منهم مُفلحاً؟ فسأله نصر أن لا يؤاخذه، وقال له: حامد يسأل أن يكون محبسه في دار الخليفة، ولا يُسلّم إلى ابن الفرات.

فدخل مُفلح، وقال ضد ما قيل له، فأمر المقتدر بتسليمه إلى ابن الفرات، فأُرسل إليه، فحبسه في دار حسنة، وأجرى عليه من الطعام، والكسوة، والطيب، وغير ذلك ما كان له وهو وزير، ثم

أحضره، وأحضر الفقهاء والعمّال، وناظره على ما وصل إليه من المال، وطالبه به، فأقرّ بجهات تقارب ألف ألف دينار وضمنه المحسن بن أبي الحسن بن الفرات من المقتدر بخمسمائة ألف دينار، فسلّمه إليه، فعذبه بأنواع العذاب، وأنفذه إلى واسط مع بعض أصحابه ليبيع ما له بواسط، وأمرهم بأن يسقوه سمّاً، فسقوه سمّاً في بيض مشوي، وكان طلبه، فأصابه إسهال، فلما وصل إلى واسط أفرط الإغيام به، وكان قد تسلّمه محمد بن علي البَزَوْفريُّ، فلما (١٤٢/٨) رأى حاله أحضر القاضي والشهود ليشهدوا عليه أن ليس له في أمره صنع، فلما حضروا عند حامد قال لهم: إن أصحاب المحسن سقوني سمّاً في بيض مشوي، فأنا أموت منه، وليس لمحمد في أمري صنع، لكنه قد أخذ قطعة من أموالي وأمتعتي، وجعل يحشوها في المساور، وتباع المُسْوَرَةُ في السوق بمحضر من أمين السلطان بخمسة دراهم، ووضع عليها مَن يشتريها ويحملها إليه، فيكون فيها أمتعة تساوي ثلاثة آلاف دينار، فاشهدوا على ذلك.

وكان صاحب الخبر حاضراً، فكتب ذلك، وسيّره، وندم البزفري على ما فعل، ثم مات حامد في رمضان من هذه السنة، ثم صودر علي بن عيسى بثلاثمائة ألف دينار، فأخذه المحسن بن الفرات ليستوفي منه المال، فعذبه وصفعه فلم يؤدّ إليه شيئاً.

وبلغ الخبر الوزير أبا الحسن بن الفرات، فأنكر على ابنه ذلك، لأن عليّاً كان محسناً عليهم أيام ولايته، وكان قد أعطى المحسن، وقت نكبته، عشرة آلاف درهم، وأدى علي بن عيسى مال المصادرة، وسيّره ابن الفرات إلى مكة وكتب إلى أمير مكة ليُسيّره إلى صنعاء، ثم قبض ابن الفرات على أبي علي بن مقلة، ثم أطلقه؛ وقبض على ابن الحواري، وكان خصّيصاً بالمقتدر، وسلّمه إلى ابنه المحسن، فعذبه عذاباً شديداً، وكان المحسن وقحاً، سيء الأدب، ظالماً، ذا قسوة شديدة، وكان الناس يسمونه الخبيث بن الطيب؛ وسيّر ابن الحواري إلى الأهواز ليستخرج منه الأموال التي له، فضربه الموكّل به حتى مات. (١٤٣/٨)

وقبض أيضاً على الحسين بن أحمد، ومحمد بن علي المادرانيّين، وكان الحسين قد تولى مصر والشام، فصادرهما على ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار، ثم صادر جماعة من الكتّاب ونكبهم.

ثم إن ابن الفرات خوّف المقتدر من مؤنس الخادم، وأشار عليه بأن يسيّره عن الحضرة إلى الشام ليكون هنالك، فسمع قوله، وأمره بالمسير، وكان قد عاد من الغزاة، فسأل أن يقيم عدة أيام بقيت من شهر رمضان، فأُجيب إلى ذلك، وخرج في يوم شديد المطر.

وسبب ذلك أن مؤنساً لما قدم ذكر للمقتدر ما اعتمده ابن الفرات من مصادرات الناس، وما يفعله ابنه من تعذيبهم وضربهم، إلى غير ذلك من أعمالهم، فخافه ابن الفرات، فأبعده عن المقتدر، ثم سعى ابن الفرات بنصر الحاجب، وأطمع المقتدر في ماله وكثرته، فالتجأ نصر إلى أم المقتدر، فمنعته من ابن الفرات.

ذكر القرامطة

وفيها قصد أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الهجري البصرة، فوصلها ليلاً في ألف وسبعمائة رجل، ومعه السلاليم الشعر، فوضعها على السور، وصعد أصحابه ففتحوا الباب، وقتلوا الموكّلين به؛ وكان ذلك في ربيع الآخر.

وكان على البصرة سُبُك المُفلحي، فلم يشعر بهم إلا في السَّحر، ولم يعلم أنهم القرامطة بل اعتقد أنهم عرب تجمّعوا، فركب إليهم، ولقيهم، فقتلوه (١٤٤/٨) ووضعوا السيف في أهل البصرة، وهرب الناس إلى الكلأ وحاربوا القرامطة عشرة أيام، فظفر بهم القرامطة، وقتلوا خلقاً كثيراً وطرح الناس أنفسهم في الماء، فغرق أكثرهم.

وأقام أبو طاهر سبعة عشر يوماً يحمل منها ما يقدر عليه من المال والأمتعة، والنساء والصبيان، فعاد إلى بلده؛ واستعمل المقتدر على البصرة محمد بن عبد اللّه الفارقي، فانحدر إليها وقد سار الهجري عنها.

ذكر استيلاء ابن أبي الساج على الرَّي

في هذه السنة سار يوسف بن أبي الساج من أذربيجان إلى الرَّي، فحاربه أحمد بن علي أخو صعلوك، فانهزم أصحاب أحمد وقُتل هو في المعركة، وأُنفذ رأسه إلى بغداد؛ وكان أحمد بن علي قد فارق أخاه صعلوكاً، وسار إلى المقتدر فأُقطع الري كما ذكرناه، ثم عصى، وهادن ماكان بن كالي وأولاد الحسين بن عليّ الأطروش، وهم بطبرستان وجُرجان وفارق طاعة المقتدر وعصى عليه؛ ووصل رأسه إلى بغداد.

وكان ابن الفرات يقع في نصر الحاجب، ويقول للمقتدر إنه هو الذي أمر أحمد بن علي بالعصيان لمودّة بينهما. (١٤٥/٨)

وكان قتلُ أحمد بن علي آخر ذي القعدة، واستولى ابن أبي الساج على الرَّي، ودخلها في ذي الحجة من السنة، ثم سار عنها في أول سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة إلى همذان، واستخلف بالري غلامه مُفلحاً، فأخرجه أهل الري عنهم، فلحق يوسف، وعاد يوسف إلى الري في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة واستولى عليها.

ذكر عدة حوادث

وفيها غزا مؤنس المظفّر بلاد الروم، فغنم وفتح حصوناً؛ وغزا ثمل أيضاً في البحر، فغنم من السبي ألف رأس، ومن الدواب ثمانية آلاف رأس، ومن الغنم مائتي ألف رأس، ومن الذهب والفضة شيئاً كثيراً.

وفيها ظهر جراد كثير بالعراق، فأضر بالغلات والشجر وعظم.

وفيها استعمل بني بن نفيس على حرب أصبهان.

وفيها توفي بدر المعتضدي بفارس، وهو أميرها، ووليَ ابنه محمد مكانه.

وفيها توفي أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريري الصوفي، وهو من مشاهير مشايخهم (الجُريري بضم الجيم)؛ وأبو إسحاق إبراهيم بن السرّيّ الزجّاج النحوي، صاحب كتاب معاني القرآن. (١٤٦/٨)

سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة

ذكر حادثة غريبة

في هذه السنة ظهر في دار كان يسكنها المقتدر باللّه إنسان أعجمي، وعليه ثياب فاخرة، وتحتها مما يلي بدنه قميص صوف، ومعه مِقْدحة، وكبريت، ومُحبرة، وأقلام، وسكين، وكاغد، وفي كيس سَويق، وسكر، وحبل طويل من قُنّب، يقال إنه دخل مع الصُنّاع، فبقي هناك، فعطش، فخرج يطلب الماء فأُخذ، فأحضروه عند ابن الفرات، فسأله عن حاله، فقال: لا أخبر إلا صاحب الدار، فرفق به، فلم يخبره بشيء، وقال: لا أخبر إلا صاحب الدار، فضربوه ليقرّروه، فقال: بسم اللّه بدأتم بالشر؟ ولزم هذه اللفظة، ثم جعل يقول بالفارسية: ندانم معناه لا أدري، فأمر به فأُحرق.

وأنكر ابن الفرات على نصر الحاجب هذه الحال حيث هو الحاجب، وعظّم الأمر بين يدي المقتدر، ونسبه إلى أنه أخفاه ليقتل المقتدر، فقال نصر: لِمَ أقتل أمير المؤمنين وقد رفعني من الثرى إلى الثريا؟ إنما يسعى في قتله من صادره، وأخذ أمواله، وأطال حبسه هذه السنين، وأخذ ضياعه؛ وصار لابن الفرات بسبب هذا حديث في معنى نصر. (١٤٧/٨)

ذكر أخذ الحاج

في هذه السنة سار أبو طاهر القرمطي إلى الهَبير في عسكر عظيم ليلقى الحاج سنة إحدى عشرة وثلاثمائة في رجوعهم من مكة، فأوقع بقافلة تقدمت معظم الحاج، وكان فيها خلق كثير من أهل بغداد وغيرهم، فنهبهم؛ واتصل الخبر بباقي الحاج وهي بفَيد، فأقاموا بها حتى فني زادهم، فارتحلوا مسرعين.

وكان أبو الهيجاء بن حمدان قد أشار عليهم بالعود إلى وادي القرى، وأنهم لا يقيمون بفيد، فاستطالوا الطريق، ولم يقبلوا منه، وكان إلى أبي الهيجاء طريق الكوفة وكثير الحاج، فلما فني زادهم ساروا على طريق الكوفة، فأوقع بهم القرامطة، وأخذوهم، وأسروا أبا الهيجاء، وأحمد بن كشمرد، ونحرير، وأحمد بن بدر عمّ والدة المقتدر، وأخذ أبو طاهر جمال الحجاج جميعها، وما أراد من الأمتعة، والأموال، والنساء، والصبيان، وعاد إلى هَجَر وترك الحاج في مواضعهم، فمات أكثرهم جوعاً، وعطشاً، ومن حرّ الشمس.

وكان عُمرُ أبي طاهر حينئذ سبع عشرة سنة، وانقلبت بغداد، واجتمع حُرَم المأخوذين إلى حُرم المنكوبين الذين نكبهم ابن الفرات، وجعلن ينادين: القُرمطي الصغير أبو طاهر قتل المسلمين في طريق مكة، والقرمطي الكبير ابن الفرات قد قتل المسلمين ببغداد.

(١٤٨/٨) وكانت صورة فظيعة شنيعة، وكسر العامة منابر الجوامع، وسودوا المحاريب يوم الجمعة لستّ خلون من صفر، وضعفت نفس ابن الفرات، وحضر عند المقتدر ليأخذ أمره فيما يفعله، وحضر نصر الحاجب المشورة، فانبسط لسانه على ابن الفرات، وقال له: الساعة تقول أي شيء نصنع، وما هو الرأي بعد أن زعزعتَ أركان الدولة، وعرّضتها للزوال في الباطن بالميل مع كل عدو يظهر ومكاتبته، ومهادنته، وفي الظاهر بإبعادك مؤنساً ومَن معه إلى الرَّقة، وهم سيوف الدولة، فمن يدفع الآن هذا الرجل إن قصد الحضرة، أنت أو ولدك؟ وقد ظهر الآن أن مقصودك بإبعاد مؤنس وبالقبض عليّ وعلى غيري أن تستضعف الدولة وتقوي أعداءها لتشفي غيظ قلبك ممن صادرك وأخذ أموالك، ومن الذي سلّم الناس إلى القرمطي غيرك لما يجمع بينكما من التشيع والرفض؟ وقد ظهر أيضاً أن ذلك الرجل العجمي كان من أصحاب القرمطي، وأنت أوصلته.

فحلف ابن الفرات أنه ما كاتب القرمطي، ولا هاداه، ولا رأى ذلك الأعجمي إلا تلك الساعة؛ والمقتدر معرض عنه، وأشار نصر على المقتدر أن يحضر مؤنساً ومَن معه، ففعل لك، وكتب إليه بالحضور فسار إلى ذلك، ونهض ابن الفرات، فركب في طيارة فرجمه العامة حتى كاد يغرق.

(١٤٩/٨) وتقدّم المقتدر إلى ياقوت بالمسير إلى الكوفة ليمنعها من القرامطة، فخرج في جمع كثير، ومعه ولداه المظفّر ومحمد، فخرج على ذلك العسكر مال عظيم، وورد الخبر بعود القرامطة، فعطل مسير ياقوت.

ووصل مؤنس بالمظفّر إلى بغداد، ولما رأى المحسن ابن

الوزير ابن الفرات انحلال أمورهم، أخذ كل مَن كان محبوساً عنده من المصادرين، فقتلهم لأنه كان قد أخذ منهم أموالاً جليلة، ولم يوصلها إلى المقتدر، فخاف أن يقرّوا عليه.

ذكر القبض على الوزير ابن الفرات وولده المحسن

ثم إن الإرجاف كثر على ابن الفرات، فكتب إلى المقتدر يعرّفه ذلك، وأن الناس إنما عادوه لنصحه وشفقته، وأخذ حقوقه منهم، فأنفذ المقتدر إليه يسكّنه، ويطيّب قلبه، فركب هو وولده إلى المقتدر، فأدخلهما إليه، فطيّب قلوبهما فخرجا من عنده فمنعهما نصر الحاجب من الخروج ووكّل بهما، فدخل مُفلح على المقتدر، وأشار عليه بتأخير عزله، فأمر بإطلاقهما، فخرج هو وابنه المحسن، فأما المحسن فإنه اختفى، وأما الوزير فإنه جلس عامة نهاره يمضي الأشغال إلى الليل، ثم بات (١٥٠/٨) مفكراً، فلما أصبح سمعه بعض خدمه ينشد:

وأصبحَ لا يدري، وإن كان حازماً، أقُدّامه خيرٌ له أم وراءهُ

فلما أصبح الغد، وهو الثامن من ربيع الأول، وارتفع النهار أتاه نازوك، وبليق في عدة من الجند، فدخلوا إلى الوزير، وهو عند الحرم، فأخرجوه حافياً مكشوف الرأس، وأُخذ إلى دجلة، فألقى عليه بليق طيلساناً غطى به رأسه، وحُمل إلى طيار فيه مؤنس المظفّر، ومعه هلال بن بدر، فاعتذر إليه ابن الفرات، والآن كلامه، فقال له: أنا الآن الأستاذ، وكنتُ بالأمس الخائن الساعي في فساد الدولة، وأخرجتني والمطر على رأسي ورؤوس أصحابي، ولم تمهلني.

ثم سُلّم إلى شفيع اللؤلؤي، فحُبس عنده، وكانت مدة وزارته هذه عشرة أشهر وثمانية عشر يوماً، وأُخذ أصحابه وأولاده ولم ينج منهم إلا المحسن، فإنه اختفى؛ وصودر ابن الفرات على جملة من المال مبلغها ألف ألف دينار.

ذكر وزارة أبي القاسم الخاقاني

ولما تغير حال ابن الفرات سعى عبد اللّه بن محمد بن عبيد اللّه بن يحيى بن خاقان أبو القاسم بن أبي علي الخاقاني في الوزارة، وكتب خطّه أنه يتكفّل ابن الفرات وأصحابه بمصادرة ألفي ألف دينار، وسعى له مؤنس الخادم، (١٥١/٨) وهارون بن غريب الخال، ونصر الحاجب.

وكان أبو علي الخاقاني، والد أبي القاسم، مريضاً شديد المرض، وقد تغير عليه لكبر سنه، فلم يعلم بشيء من حال ولده؛ وتولى أبو القاسم الوزارة تاسع ربيع الأول، وكان المقتدر يكرهه، فلما سمع ابن الفرات، وهو محبوس، بولايته قال: الخليفة هو الذي نُكِبَ لا أنا، يعني أن الوزير عاجز لا يعرف أمر الوزارة.

ولما وَزر الخاقاني شفع إليه مؤنس الخادم في إعادة علي بن عيسى من صنعاء إلى مكة، فكتب إلى جعفر عامل اليمن في الإذن لعلي بن عيسى في العود إلى مكة، ففعل ذلك، وأذن لعلي في الاطلاع على أعمال مصر والشام.

ومات أبو علي الخاقاني في وزارة ولده هذه.

ذكر قتل ابن القرات وولده المحسن

وكان المحسن ابن الوزير ابن الفرات مختفياً، كما ذكرنا، وكان عند حماته حزانة، وهي والدة الفضل بن جعفر بن الفرات، وكانت تأخذه كل يوم إلى المقبرة، وتعود به إلى المنازل التي يثق بأهلها عشاء وهو في زي امرأة، فمضت يوماً إلى مقابر قريش، وأدركها الليل، فبعد عليها الطريق، فأشارت عليها امرأة معها أن تقصد امرأة صالحة تعرفها بالخير، تختفي عندها، فأخذت المحسن وقصدت تلك المرأة وقالت لها: معنا صبيّة بكر نريد بيتاً نكون (١٥٢/٨) فيه؛ فأمرتهم بالدخول إلى دارها، وسلّمت إليهم قبّة في الدار، فأدخلن المحسن إليها، وجلست النساء اللائي معه في صفّة بين يدي باب القبّة، فجاءت جارية سوداء، فرأت المحسن في القبّة، فعادت إلى مولاتها، فأخبرتها أن في الدار رجلاً، فجاءت صاحبتها، فلما رأته عرفته.

وكان المحسن قد أخذ زوجها ليصادره، فلما رأى الناس في داره يُجلدون، ويشقّصون، ويعذبون، مات فجأةً، فلما رأت المرأة المحسن وعرفته ركبت في سفينة، وقصدت دار الخليفة، وصاحت: معي نصيحة لأمير المؤمنين! فأحضرها نصر الحاجب، فأخبرته بخبر المحسن، فانتهى ذلك إلى المقتدر، فأمر نازوك، صاحب الشرطة، أن يسير معها ويحضره، فأخذها معه إلى منزلها، ودخل المنزل، وأخذ المحسن وعاد به إلى المقتدر، فردّه إلى دار الوزير، فعذب أنواع العذاب ليجيب إلى مصادرة يبذلها، فلم يجبهم إلى دينار واحد، وقال: لا أجمع لكم بين نفسي ومالي؛ واشتدّ العذاب عليه بحيث امتنع عن الطعام.

فلما علم ذلك المقتدر أمر بحمله مسع أبيه إلى دار الخلافة، فقال الوزير أبو القاسم لمؤنس، وهارون بن غريب الخال، ونصر الحاجب: إن يُنقل ابن الفرات إلى دار الخلافة بذل أمواله، وأطمع المقتدر في أموالنا، وضمننا منه، وتسلّمنا فأهلكنا؛ فوضعوا القوّاد والجند، حتى قالوا للخليفة: إنه لا بدّ (١٥٣/٨) من قتل ابن الفرات وولده، فإننا لا نأمن على أنفسنا ما داما في الحياة.

وترددت الرسائل في ذلك، وأشار مؤنس، وهارون بن غريب، ونصر الحاجب بموافقتهم وإجابتهم إلى ما طلبوا، فأمر نازوك بقتلهما، فذبحهما كما يذبح الغنم.

وكان ابن الفرات قد أصبح يوم الأحد صائماً، فأُتي بطعام فلم يأكله، فأُتي أيضاً بطعام ليُفطر عليه، فلم يفطر، وقال: رأيتُ أخي العباس في النوم يقول لي: أنت وولدك عندنا يوم الاثنين؛ ولا شك أننا نُقتل؛ فقُتل ابنه المحسن يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر، وحُمل رأسه إلى أبيه، فارتاع لذلك شديداً، ثم عُرض أبوه على السيف فقال: ليس إلا السيف، راجعوا في أمري، فإن عندي أموالاً جمّة، وجواهر كثيرة؛ فقيل له: جلّ الأمر عن ذلك! وقُتل وكان عمره إحدى وسبعين سنة، وعمر ولده المحسن ثلاثاً وثلاثين سنة، فلما قُتلا حُمل رأساهما إلى المقتدر باللّه، فأمر بتغريقهما.

وقد كان أبو الحسن بن الفرات يقول: إن المقتدر باللّه يقتلني، فصح قوله، فمن ذلك أنه عاد من عنده يوماً، وهو مُفكر كثير الهم، فقيل له في ذلك، فقال: كنتُ عند أمير المؤمنين فما خاطبتُه في شيء من الأشياء إلا قال لي نعم، فقلتُ له الشيء وضده، ففي كل ذلك يقول نعم؛ فقيل له: هذا لحُسن ظنّه بك، وثقته بما تقول، واعتماده على شفقتك؛ فقال: لا واللّه، (١٥٤/٨) ولكنه أذن لكل قائل، وما يؤمنّي أن يقال له بقتل الوزير، فيقول نعم؛ واللّه إنه قاتلي!

ولما قُتل ركب هارون بن غريب مسرعاً إلى الوزير الخاقاني، وهنّاه بقتله، فأُغمي عليه، حتى ظن هارون ومَن هناك أنه قد مات، وصرخ أهله وأصحابه عليه، فلما أفاق من غشيته لم يفارقه هارون حتى أخذ منه ألفي دينار.

وأما أولاده سوى المحسن فإن مؤنساً المظفّر شفع في ابنيه عبد اللّه وأبي نصر، فأُطلقا له، فخلع عليهما، ووصلهما بعشرين ألف دينار، وصودر ابنه الحسن على عشرين ألف دينار، وأُطلق إلى منزله.

وكان الوزير أبو الحسن بن الفرات كريماً، ذا رئاسة وكفاية في عمله، حسن السؤال والجواب، ولم يكن له سيئة إلا ولده المحسن.

ومن محاسنه أنه جرى ذكر أصحاب الأدب، وطلبة الحديث، وما هم عليه من الفقر والتعفف، فقال: أنا أحق مَن أعانهم؛ وأطلق لأصحاب الحديث عشرين ألف درهم، وللشعراء عشرين ألف درهم، ولأصحاب الأدب عشرين ألف درهم، وللفقهاء عشرين ألف درهم، وللصوفية عشرين ألف درهم، فذلك مائة ألف درهم.

وكان إذا ولي الوزارة ارتفعت أسعار الثلج، والشمع، والسكر، (١٥٥/٨) والقراطيس، لكثرة ما كان يستعملها ويخرج من داره للناس، ولم يكن فيه ما يعاب به إلا أن أصحابه كانوا يفعلون ما يريدون، ويظلمون، فلا يمنعهم، فمن ذلك أن بعضهم ظلم امرأة في ملك لها، فكتبت إليه تشكو منه غير مرة، وهو لا يرد لها جواباً، فلقيته يوماً، وقالت له: أسألك باللّه أن تسمع مني كلمة! فوقف لها، فقالت: قد كتبتُ إليك في ظُلامتي غير مرة، ولم تُجبني، وقد تركتك وكتبتها إلى اللّه تعالى. فلما كان بعد أيام، ورأى تغير حاله، قال لمن معه من أصحابه: ما أظن إلا جواب رقعة تلك المرأة المظلومة قد خرج؛ فكان كما قال.

ذكر دخول القرامطة الكوفة

وفي هذه السنة دخل أبو طاهر القرمطي إلى الكوفة، وكان سبب ذلك أن أبا طاهر أطلق مَن كان عنده من الأسرى الذين كان أسرهم من الحجاج، وفيهم ابن حمدان وغيره، وأرسل إلى المقتدر يطلب البصرة والأهواز، فلم يجبه إلى ذلك، فسار من هَجَر يريد الحاجّ.

وكان جعفر بن ورقاء الشيباني متقلّداً أعمال الكوفة وطريق مكة، فلما سار (١٥٦/٨) الحُجّاج من بغداد سار جعفر بين أيديهم خوفاً من أبي طاهر، ومعه ألف رجل من بني شيبان، وسار مع الحُجاج من أصحاب السلطان ثَمل صاحب البحر، وجنّيّ الصفواني، وطريف السبكري وغيرهم، في ستة آلاف رجل، فلقي أبو طاهر القرمطي جعفراً الشيباني، فقاتله جعفر.

فبينما هو يقاتله إذا طلع جمع من القرامطة عن يمينه، فانهزم من بين أيديهم، فلقي القافلة الأولى وقد انحدرت من العقبة، فردّهم إلى الكوفة ومعهم عسكر الخليفة، وتبعهم أبو طاهر إلى باب الكوفة، فقاتلهم، فانهزم عسكر الخليفة، وقتل منهم، وأسر جنّيّاً الصفواني، وهرب الباقون والحُجّاج من الكوفة، ودخلها أبو طاهر، وأقام ستة أيام بظاهر الكوفة يدخل البلد نهاراً فيقيم في الجامع إلى الليل، ثم يخرج يبيت في عسكره، وحمل منها ما قدر على حمله من الأموال والثياب وغير ذلك، وعاد إلى هَجَر.

ودخل المنهزمون بغداد، فتقدم المقتدر إلى مؤنس المظفّر بالخروج إلى الكوفة، فسار إليها، فبلغها وقد عاد القرامطة عنها، فاستخلف عليها ياقوتاً، وسار مؤنس إلى واسط خوفاً عليها من أبي طاهر، وخاف أهل بغداد، وانتقل الناس إلى الجانب الشرقي؛ ولم يحجّ في هذه السنة من الناس أحد. (١٥٧/٨)

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة خلع المقتدر على نُجح الطولوني، ووليَ أصبهان.

وفيها ورد رسول ملك الروم بهدايا كثيرة، ومعه أبو عمر بن عبد الباقي، فطلبا من المقتدر الهدنة وتقرير الفداء، فأُجيبا إلى ذلك بعد غزاة الصائفة.

وفي هذه السنة خُلع على جنّيّ الصفواني بعد عوده من ديار مصر.

وفيها استعمل سعيد بن حمدان على المعاون والحرب بنهاوند.

وفيها دخل المسلمون بلاد الروم، فنهبوا، وسبوا، وعادوا.

وفيها ظهر عند الكوفة رجل ادّعى أنه محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو رئيس الإسماعيلية، وجمع جمعاً عظيماً من الأعراب وأهل السواد، واستفحل أمره في شوال، فسُيّر إليه جيش من بغداد، فقاتلوه، فظفروا به وانهزم، وقُتل كثير من أصحابه.

وفيها، في شهر ربيع الأول، توفي محمد بن نصر الحاجب، وقد كان استعمل على الموصل، وتقدّم ذلك.

وفيها توفي شفيع اللؤلؤي وكان على البريد وغيره من الأعمال، فولي ما كان عليه شفيع المقتدري. (١٥٨/٨)

سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة

ذكر عزل الخاقاني عن الوزارة ووزارة الخصيبي

في هذه السنة، في شهر رمضان، عُزل أبو القاسم الخاقاني عن وزارة الخليفة.

وكان سبب ذلك أن أبا العباس الخصيبي علم بمكان امرأة المحسن بن الفرات، فسأل أن يتولى النظر في أمرها، فأذن له المقتدر في ذلك، فاستخلص منها سبع مائة ألف دينار وحملها إلى المقتدر، فصار له معه حديث، فخافه الخاقاني، فوضع مَن وقع عليه وسعى به، فلم يصغ المقتدر إلى ذلك، فلما علم الخصيبي بالحال كتب إلى المقتدر يذكر معايب الخاقاني وابنه عبد الوهاب وعجزهما، وضياع الأموال، وطمع العمّال.

ثم إن الخاقاني مرض مرضاً شديداً، وطال به، فوقفت الأحوال، وطلب الجند أرزاقهم، وشغبوا، فأرسل المقتدر إليه في ذلك، فلم يقدر على شيء، فحينئذ عزله، واستوزر أبا العباس الخصيبي وخلع عليه، وكان يكتب لأم المقتدر، فلما وزر كتب لها بعده أبو يوسف عبد الرحمن بن محمد، وكان قد تزهد وترك عمل السلطان، ولبس الصوف والفوط، فلما أُسند (١٥٩/٨) إليه هذا العمل ترك ماكان عليه من الزهد، فسمّاه الناس المرتد.

فلما وليَ الخصيبي أقرّ علي بن عيسى على الإشراف على أعمال مصر والشام، فكان يتردد من مكة إليها في الأوقات، واستعمل العمال في الأعمال، واستعمل أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي بعد أن صادره بثمانية وخمسين ألف دينار على الإشراف على الموصل وديار ربيعة.

ذكر ما فتحه أهل صقلية

في هذه السنة سار جيش صقلية مع أميرهم سالم بن راشد وأرسل إليهم المهدي جيشاً من إفريقية، فسار إلى أرض انكبردة، ففتحوا غيران وأبرجة، وغنموا غنائم كثيرة، وعاد جيش صقلّية، وساروا إلى أرض قِلُّوريَة، وقصدوا مدينة طارنت، فحصروها وفتحوها بالسيف في شهر رمضان ووصلوا إلى مدينة أدرنت، فحصروها، وخربوا منازلها، فأصاب المسلمين مرض شديد كبير، فعادوا، ولم يزل أهل صقلّية يغيرون على ما بأيدي الروم من جزيرة صقلّية، وقِلُّوريَة، وينهبون ويخربون. (١٦٠/٨)

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة فتح إبراهيم المِسمعي ناحية القُفص، وهي من حدود كَرمان، وأسر منهم خمسة آلاف إنسان وحملهم إلى فارس وباعهم.

وفيها كثرت الأرطاب ببغداد، حتى عملوا منها التمور، وحُملت إلى واسط والبصرة، فنُسب أهل بغداد إلى البغي.

وفيها كتب ملك الروم إلى أهل الثغور يأمرهم بحمل الخراج إليه، فإن فعلوا، وإلا قصدهم فقتل الرجال، وسبى الذرية، وقال: إنني صحّ عندي ضعف ولاتكم؛ فلم يفعلوا ذلك، فسار إليهم، وأخرب البلاد، ودخل مَلَطْيَة في سنة أربع عشرة وثلاثمائة، فأخربوها، وسبوا منها، ونهبوا، وأقام فيها ستة عشر يوماً.

وفيها اعترض القرامطة الحاجّ بزبالة فقاتلهم أصحاب الخليفة، فانهزموا، ووضع القرامطة على الحاج قطيعة، فأخذوها، وكفّوا عنهم، فساروا إلى مكة.

وفيها انقضّ كوكب كبير وقت المغرب، له صوت مثل الرعد الشديد، وضوء عظيم أضاءت له الدنيا.

وفيها توفي محمد بن محمد بن سليمان الباغندي في ذي الحجة، وهو (١٦١/٨) من حفّاظ المحدثين، وأبو العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران السراج النيسابوري وعمره تسع وتسعون سنة، وكان من العلماء الصالحين، وعبد الله بن محمد بن عبد العزيز البَغَوي، توفي ليلة الفِطر، وكان عمره مائة سنة وسنتين، وهو ابن بنت أحمد بن منيع.

وفيها توفي علي بن محمد بن بشار أبو الحسن الزاهد. (١٦٢/٨)

سنة أربع عشرة وثلاثمائة

ذكر مسير ابن أبي الساج إلى واسط

وفي هذه السنة قلد المقتدر يوسف بن أبي الساج نواحي المشرق، وأذن له في أخذ أموالها وصرفها إلى قوّاده وأجناده، وأمره بالقدوم إلى بغداد من أذربيجان، والمسير إلى واسط، ليسير إلى هَجَر لمحاربة أبي طاهر القرمطي، فسار إلى واسط، وكان بها مؤنس المظفّر، فلما قاربها يوسف صعد مؤنس إلى بغداد ليقيم بها، وجعل له أموال الخراج بنواحي همذان، وساوَة، وقُم، وقاشان، وماه البَصرة، وماه الكوفة، وماسَبَذان، لينفقها على مائدته، ويستعين بذلك على محاربة القرامطة؛ وكان هذا كله من تدبير الخصيبي. (١٦٣/٨)

ذكر الحرب بين عبد الله بن حمدان والأكراد والعرب

وفي هذه السنة أفسد الأكراد والعرب بأرض الموصل وطريق خراسان، وكان عبد الله بن حمدان يتولى الجميع وهو ببغداد، وابنه ناصر الدولة بالموصل، فكتب إليه أبوه يأمره بجمع الرجال، والانحدار إلى تكريت ففعل وسار إليها، فوصل إليها في رمضان، واجتمع بأبيه، وأحضر العرب، وطالبهم بما أحدثوا في عمله بعد أن قتل منهم، ونكّل ببعضهم، فردوا على الناس شيئاً كثيراً، ورحل بهم إلى شهرزور، فوطئ الأكراد الجلالية، فقاتلهم، وانضاف إليهم غيرهم، فاشتدت شوكتهم، ثم إنه انقادوا إليه لما رأوا قوته، وكفّوا عن الفساد والشر.

ذكر عزل الخصيبي ووزارة علي بن عيسى

في هذه السنة، في ذي القعدة، عزل المقتدر أبا العباس الخصيبي عن الوزارة.

وكان سبب ذلك أن الخصيبي أضاق إضاقة شديدة، ووقفت أمور السلطان (١٦٤/٨) لذلك، واضطرب أمر الخصيبي.

وكان حين وليَ الوزارة قد اشتغل بالشرب كل ليلة؛ وكان يصبح سكران لا قصد فيه لعمل وسماع حديث؛ وكان يترك الكتب الواردة الدواوين لا يقرأها إلا بعد مدة، ويهمل الأجوبة عنها، فضاعت الأموال، وفاتت المصالح، ثم إنه لضجره وتبرُّمه بها وبغيرها من الأشغال، وكَل الأمور إلى نوابه، وأهمل الاطلاع عليها، فباعوا مصلحته بمصلحة نفوسهم.

فلما صار الأمر إلى هذه الصورة أشار مؤنس المظفّر بعزله، وولاية علي بن عيسى، فقُبض عليه، وكانت وزارته سنة وشهرين، وأُخذ ابنه وأصحابه فحبسوا، وأرسل المقتدر بالله بالغد إلى دمشق يستدعي علي بن عيسى، وكان بها. وأمر المقتدر أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذاني بالنيابة عن علي بن عيسى إلى أن يحضر، فسار علي بن عيسى إلى بغداد، فقدمها أوائل سنة خمس عشرة [وثلاثمائة]، واشتغل بأمور الوزارة، ولازم النظر فيها، فمشت الأمور، واستقامت الأحوال.

وكان من أقوم الأسباب في ذلك أن الخصيبي كان قد اجتمع عنده رقاع المصادرين، وكفالات مَن كفل منهم، وضمانات العمال بما ضمنوا من المال بالسواد، والأهواز، وفارس، والمغرب، فنظر فيها علي، وأرسل في طلب تلك الأموال، فأقبلت إليه شيئاً بعد شيء، فأدى الأرزاق، وأخرج العطاء، (١٦٥/٨) وأسقط من الجند مَن لا يحمل السلاح، ومن أولاد المرتزقة من هو في المهد، فإن آباءهم أثبتوا أسماءهم، ومن أرزاق المغنين، والمساخرة، والندماء، والصفاعنة، وغيرهم، مثل الشيخ الهرم، ومن ليس له سلاح، فإنه أسقطهم وتولّى الأعمال بنفسه ليلاً ونهاراً، واستعمل العمال في الولايات، واختار الكفاة.

وأمر المقتدر بالله بمناظرة أبي العباس الخصيبي، فأحضره، وأحضر الفقهاء والقضاة والكتّاب وغيرهم، وكان علي وقوراً لا يسفه، فسأله عما صح من الأموال من الخراج، والنواحي، والأصقاع والمصادرات والمتكلّفين بها، ومن البواقي القديمة إلى غير ذلك، فقال: لا أعلمه.

وسأله عن الإخراجات، والواصل إلى المخزن، فقال: لا أعرفه؛ وقال له: لِمَ أحضرت يوسف بن أبي الساج، وسلّمت إليه أعمال المشرق، سوى أصبهان، وكيف تعتقد أنه يقدر هو وأصحابه، وهم قد ألفوا البلاد الباردة الكثيرة المياه، على سلوك البرية القفراء، والصبر على حرّ بلاد الإحساء والقطيف، ولِمَ لَم تجعل معه منفقاً يخرج المال على الأجناد؟ فقال: ظننتُ أنه يقدر على قتال القرامطة، وامتنع من أن يكون معه منفق.

فقال له: كيف استجزتَ في الدين والمروءة ضرب حُرَم المصادرين وتسليمهن إلى أصحابك، كامرأة ابن الفرات وغيره، فإن كانوا فعلوا ما لا يجوز ألستَ أنت السبب في ذلك؟

(١٦٦/٨) ثم سأله عن الحاصل له، وعن إخراجاته، فخلّط في ذلك، فقال له: غررت بنفسك، وغررت بأمير المؤمنين، ألا قلت له إنني لا أصلح للوزارة، فقد كان الفرس، إذا أرادوا أن يستوزروا وزيراً، فنظروا في تصرفه لنفسه فإن وجدوه حازماً، ضابطاً، ولّوه، وإلا قالوا: من لا يحسن يدبّر نفسه فهو عن غير ذلك أعجز، وتركوه؛ ثم أعاده إلى محبسه.

ذكر استيلاء السامانية على الرَّي

لما استدعى المقتدر يوسف بن أبي الساج إلى واسط كتب إلى

السعيد نصر بن أحمد السامانى بولاية الرّي، وأمره بقصدها، وأخذها من فاتك، غلام يوسف، فسار نصر بن أحمد إليها، أوائل سنة أربع عشرة وثلاثمائة، فوصل إلى جبل قارن، فمنعه أبو نصر الطبري من العبور، فأقام هناك، فراسله، وبذلك له ثلاثين ألف دينار حتى مكّنه من العبور، فسار حتى قارب الرّي، فخرج فاتك عنها، واستولى نصر بن أحمد عليها في جمادى الآخرة، وأقام بها شهرين، وولى عليها سيمجور الدواتي وعاد عنها.

ثم استعمل عليها محمد بن علي صعلوك، وسار نصر إلى بخارى، ودخل صعلوك الرّي، فأقام بها إلى أوائل شعبان سنة ست عشرة وثلاثمائة فمرض، فكاتب الحسن الدّاعي، وماكان بن كالي في القدوم عليه ليسلّم (١٦٧/٨) الري إليهما، فقدما عليه، فسلم الري إليهما وسار عنها، فلما بلغ الدامغان مات.

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة ضمن أبو الهيجاء عبد اللّه بن حمدان أعمال الخراج والضّياع بالموصل، وقَرْدَى، وبازَبْدَى، وما يجري معها.

وفيها سار ثمل إلى عمله بالثغور، وكان في بغداد.

وفيها، في ربيع الآخر، خرجت الروم إلى مَلَطية وما يليها مع الدُّمُستُق، ومعه مليح الأرمني صاحب الدُّروب، فنزلوا على مَلَطْيَةَ، وحصروها، فصبر أهلها، ففتح الروم أبواباً من الربض، فدخلوا، فقاتلهم أهله، وأخرجوهم منه، ولم يظفروا من المدينة بشيء، وخرّبوا قرى كثيرة من قراها، ونبشوا الموتى، ومثلوا بهم، ورحلوا عنهم؛ وقصد أهل مَلَطية بغداد مستغيثين، في جمادى الأولى، فلم يعانوا، فعادوا بغير فائدة وغزا أهل طَرَسوس صائفة، فغنموا وعادوا.

وفيها جمدت دجلة عند الموصل من بلد إلى الحديثة، حتى عبر عليها الدواب لشدة البرد.

وفيها توفي الوزير أبو القاسم الخاقاني، وهرب ابنه عبد الوهاب، ولم (١٦٨/٨) يحضر غسل أبيه، ولا الصلاة عليه، وكان الوزير قد أُطلق من محبسه قبل موته.

وفيها توجّه أبو طاهر القرمطي نحو مكة، فبلغ خبره إلى أهلها، فنقلوا حُرَمَهم وأموالهم إلى الطائف وغيره خوفاً منه.

وفيها كتب الكلوذاني إلى الوزير الخصيبي، قبل عزله، بأن أبا طالب النُّوبَندَجاني قد صار يجري مجرى أصحاب الأطراف، وأنه قد تغلب على ضياع السلطان، واستغل منها جملة عظيمة، فصودر أبو طالب على مائة ألف دينار. (١٦٩/٨)

سنة خمس عشرة وثلاثمائة

ذكر ابتداء الوحشة بين المقتدر ومؤنس

في هذه السنة هاجت الروم، وقصدوا الثغور، ودخلوا سُمَيساط، وغنموا جميع ما فيها من مال وسلاح وغير ذلك، وضربوا في الجامع بالناقوس أوقات الصلوات.

ثم إن المسلمين خرجوا في أثر الروم، وقاتلوهم، وغنموا منهم غنيمة عظيمة، فأمر المقتدر باللّه بتجهيز العساكر مع مؤنس المظفر، وخلع المقتدر عليه، في ربيع الآخر، ليسير، فلما لم يبق إلا الوداع امتنع مؤنس من دخول دار الخليفة للوداع، واستوحش من المقتدر باللّه وظهر ذلك.

وكان سببه أن خادماً من خدام المقتدر حكى لمؤنس أن المقتدر باللّه أمر خواص خدمه أن يحفروا جُبّاً في دار الشجرة، ويغطوه ببراية وتراب، وذكر أنه يجلس فيه لوداع مؤنس، فإذا حضر وقاربها ألقاه الخدم فيها، وخنقوه، وأظهروه ميتاً، فامتنع مؤنس من دخول دار الخليفة، وركب إليه جميع الأجناد، وفيهم عبد اللّه بن حمدان وإخوته، وخلت دار الخليفة، (١٧٠/٨) وقالوا لمؤنس: نحن نقاتل بين يديك إلى أن تنبت لك لحية، فوجه إليه المقتدر رقعة بخطه يحلف له على بطلان ما بلغه، فصرف مؤنس الجيش، وكتب الجواب أنه العبد المملوك، وأن الذي أبلغه ذلك قد كان وضعه مَن يريد إيحاشه من مولاه، وأنه ما استدعى الجند، وإنما هم حضروا، وقد فرّقهم.

ثم إن مؤنساً قصد دار المقتدر في جمع من القوّاد، ودخل إليه، وقبّل يده، وحلف المقتدر على صفاء نيّته له، وودعه وسار إلى الثغر في العشر الآخر من ربيع الآخر، وخرج لوداعه أبو العباس بن المقتدر، وهو الراضي باللّه، والوزير علي بن عيسى.

ذكر وصول القرامطة إلى العراق وقتل يوسف بن أبي الساج

في هذه السنة وردت الأخبار بمسير أبي طاهر القرمطي من هَجَر نحو الكوفة، ثم وردت الأخبار من البصرة بأنه اجتاز قريباً منهم نحو الكوفة. فكتب المقتدر إلى يوسف بن أبي الساج يعرّفه هذا الخبر، ويأمره بالمبادرة إلى الكوفة، فسار إليها عن واسط، آخر شهر رمضان، وقد أعد له بالكوفة الأنزال له ولعسكره، فلما وصلها أبو طاهر الهجري هرب نواب السلطان عنها، واستولى عليها أبو (١٧١/٨) طاهر، وعلى تلك الأنزال والعلوفات، وكان فيها مائة كر دقيقاً، وألف كر شعيراً، وكان قد فني ما معه من الميرة والعلوفة، فقووا بما أخذوه.

ووصل يوسف إلى الكوفة بعد وصول القرمطي بيوم واحد،

فحال بينه وبينها، وكان وصوله يوم الجمعة ثامن شوال، فلما وصل إليهم أرسل إليهم يدعوهم إلى طاعة المقتدر، فإن أبوا فموعدهم الحرب يوم الأحد؛ فقالوا: لا طاعة علينا إلا لله تعالى، والموعد بيننا للحرب بُكرة غد.

فلما كان الغد ابتدأ أوباش العسكر بالشتم ورمي الحجارة، ورأى يوسف قلة القرامطة، فاحتقرهم، وقال: إن هؤلاء الكلاب بعد ساعة في يدي! وتقدم بأن يكتب كتاب الفتح والبشارة بالظفر قبل اللقاء تهاوناً بهم.

وزحف الناس بعضهم إلى بعض، فسمع أبو طاهر أصوات البوقات والزعقات، فقال لصاحب له: ما هذا؟ فقال: فشل! قال: أجل، لم يزد على هذا. فاقتتلوا من ضحوة النهار، يوم السبت، إلى غروب الشمس، وصبر الفريقان، فلما رأى أبو طاهر ذلك باشر الحرب بنفسه، ومعه جماعة يثق بهم، وحمل بهم، فطحن أصحاب يوسف، ودقّهم، فانهزموا بين يديه، وأسر يوسف وعدداً كثيراً من أصحابه، وكان أسره وقت المغرب، وحملوه إلى عسكرهم، ووكّل به أبو طاهر طبيباً يعالج جراحه.

وورد الخبر إلى بغداد بذلك، فخاف الخاص والعام من القرامطة خوفاً شديداً، وعزموا على الهرب إلى حلوان وهَمَذان، ودخل المنهزمون بغداد، أكثرهم رجّالة، حفاة، عراة، فبرز مؤنس المظفر ليسير إلى الكوفة، فأتاهم الخبر بأن القرامطة قد ساروا إلى عين التمر، فأنفذ من بغداد خمس مائة سُميرية فيها المقاتلة لتمنعهم من عبور الفرات، وسيّر جماعة من (١٧٢/٨) الجيش إلى الأنبار لحفظها، ومنع القرامطة من العبور هنالك.

ثم إن القرامطة قصدوا الأنبار، فقطع أهلها الجسر، ونزل القرامطة غرب الفرات، وأنفذ أبو طاهر أصحابه إلى الحديثة، فأتوه بسفن، ولم يعلم أهل الأنبار بذلك، وعبر فيها ثلاثمائة رجل من القرامطة ، فقاتلوا عسكر الخليفة، فهزموهم، وقتلوا منهم جماعة واستولى القرامطة على مدينة الأنبار، وعقدوا الجسر، وعبر أبو طاهر جريدة وخلّف سواده بالجانب الغربي.

ولما ورد الخبر بعبور أبي طاهر إلى الأنبار، خرج نصر الحاجب في عسكر جرار، فلحق بمؤنس المظفر، فاجتمعا في نيف وأربعين ألف مقاتل، سوى الغلمان ومَن يريد النَّهب، وكان ممن معه أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان، ومن إخوته أبو الوليد، وأبو السرايا في أصحابهم، وساروا حتى بلغوا نهر زبارا، على فرسخين من بغداد، عند عَقَرْقُوف، فأشار أبو الهيجاء بن حمدان بقطع القنطرة التي عليه، فقطعوها، وسار أبو طاهر ومَن معه نحوهم، فبلغوا نهر زبارا، وفي أوائلهم رجل أوسد، فما زال الأسود يدنو من القنطرة، والنشاب يأخذه، ولا يمتنع، حتى أشرف عليها، فرآها مقطوعة، فعاد وهو مثل القنفذ.

وأراد القرامطة العبور فلم يمكنهم لأن النهر لم يكن فيه مخاضة، ولما أشرفوا على عسكر الخليفة هرب منهم خلق كثير إلى بغداد من غير أن يلقوهم، فلما رأى ابن حمدان ذلك قال لمؤنس: كيف رأيت ما أشرت به عليكم؟ فوالله لو عبر القرامطة النهر لانهزم كل مَن معك ولأخذوا بغداد؛ ولما رأى (١٧٣/٨) القرامطة ذلك عادوا إلى الأنبار، وسيّر مؤنس المظفر صاحبه بُليقاً، في ستة آلاف مقاتل، إلى عسكر القرامطة، غربي الفرات، ليغنموه ويخلصوا ابن ابي الساج، فبلغوا إليهم، وقد عبر أبو طاهر الفرات في زورق صياد، وأعطاه ألف دينار، فلما رآه أصحابه قويت قلوبهم، ولما أتاهم عسكر مؤنس كان أبو طاهر عندهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم عسكر الخليفة.

ونظر أبو طاهر إلى ابن أبي الساج وهو قد خرج من الخيمة ينظر ويرجو الخلاص، وقد ناداه أصحابه: أبشر بالفرج! فلما انهزموا أحضره وقتله، وقتل جميع الأسرى من أصحابه. وسلمت بغداد من نهب العيارين، لأن نازوك كان يطوف هو وأصحابه ليلاً ونهاراً، ومَن وجدوه بعد العتمة قتلوه، فامتنع العيارون، واكترى كثير من أهل بغداد سفناً، ونقلوا إليها أموالهم، وربطوها لينحدروا إلى واسط، وفيهم مَن نقل متاعه إلى واسط وإلى حلوان ليسيروا إلى خراسان. وكان عدة القرامطة ألف رجل وخمسمائة رجل منهم سبعمائة فارس وثمانمائة راجل، وقيل كانوا ألفين وسبعمائة.

وقصد القرامطة مدينة هيت، وكان المقتدر قد سيّر إليها سعيد بن حمدان، وهارون بن غريب، فلما بلغها القرامطة رأوا عسكر الخليفة قد سبقهم، فقاتلوهم على السور، فقتلوا من القرامطة جماعة كثيرة، فعادوا عنها.

ولما بلغ أهل بغداد عودهم من هيت سكنت قلوبهم؛ ولما علم المقتدر بعدة عسكره وعسكر القرامطة قال: لعن الله نيّفاً وثمانين ألفاً يعجزون عن ألفين وسبعمائة.

(١٧٤/٨) وجاء إنسان إلى علي بن عيسى، وأخبره أن في جيرانه رجلاً من شيراز على مذهب القرامطة يكاتب أبا طاهر بالأخبار، فأحضره، وسأله واعترف، وقال: ما صحبتُ أبا طاهر إلا لما صح عندي أنه على الحق وأنت وصاحبك كفار تأخذون ما ليس لكم، ولا بد لله من حجة في أرضه، وإمامنا المهدي محمد بن فلان بن فلان بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق المقيم ببلاد المغرب، ولسنا كالرافضة والاثني عشرية الذين يقولون بجهلهم إن لهم إماماً ينتظرونه، ويكذب بعضهم لبعض فيقول: قد رأيته وسمعته وهو يقرأ، ولا ينكرون بجهلهم وغباوتهم أنه لا يجوز أن يعطى من العمر ما يظنونه، فقال له: قد خالطت عسكرنا

وعرفتهم، فمن فيهم على مذهبك؟ فقال: وأنت بهذا العقل تدبر الوزارة، كيف تطمع مني أنني أسلم قوماً مؤمنين إلى قوم كافرين يقتلونهم؟ لا أفعل ذلك. فأمر به فضُرب ضرباً شديداً، ومُنع الطعام والشراب فمات بعد ثلاثة أيام.

وقد كان ابن أبي الساج قبل قتاله القرامطة قد قبض على وزيره محمد ابن خلف النِّيرماني وجعل مكانه أبا علي الحسن بن هارون، وصادر محمداً على خمسمائة ألف دينار، وكان سبب ذلك أن النِّيرماني عظم شأنه، وكثر ماله، فحدّث نفسه بوزارة الخليفة، فكتب إلى نصر الحاجب يخطب الوزارة، ويسعى بابن أبي الساج، ويقول له: إنه قرمطي يعتقد إمامة العلوي الذي (١٧٥/٨) بإفريقية، وإنني ناظرته على ذلك، فلم يرجع عنه، وإنه لا يسير إلى قتال أبي طاهر القرمطي، وإنما يأخذ المال بهذا السبب، ويقوى به على قصد حضرة السلطان، وإزالة الخلافة عن بني العباس؛ وطوّل في ذلك وعرّض.

وكان لمحمد بن خلف أعداء قد أساء إليهم من أصحاب ابن أبي الساج فسعوا به، فأعلموا يوسف بن أبي الساج ذلك، وأروه كتباً جاءته من بغداد في المعنى من نصر الحاجب، وفيها رموز إلى قواعد قد تقدمت وتقررت، وفيها الوعد له بالوزارة، وعزل علي بن عيسى الوزير، فلما علم ذلك ابن أبي الساج قبض عليه، فلما أُسر ابن أبي الساج تخلص من الحبس؛ وكان ابن أبي الساج يسمى الشيخ الكريم لما جمع الله فيه من خلال الكمال والكرم.

ذكر استيلاء أسفار على جرجان

في هذه السنة استولى أسفار بن شيرويه الديلمي على جُرجان، وكان ابتداء أمره أنه كان من أصحاب ماكان بن كالي الديلمي، وكان سيِّئ الخلق والعشرة، فأخرجه ماكان من عسكره، فاتصل ببكر بن محمد بن ألِيسَع، وهو بنيسابور، وخدمه، فسيّره بكر بن محمد إلى جُرجان ليفتحها.

وكان ماكان بن كالي، ذلك الوقت، بطبرستان، وأخوه أبو الحسن بن كالي بجُرجان، وقد اعتقل أبا علي بن أبي الحسين الأطروش العلوي (١٧٦/٨) عنده، فشرب أبو الحسن بن كالي ليلة ومعه أصحابه ففرقهم، وبقي في بيت هو والعلوي، فقام إلى العلوي ليقتله، فظفر به العلوي وقتله، وخرج من الدار واختفى، فلما أصبح أرسل إلى جماعة من القوّاد يعرّفهم الحال، ففرحوا بقتل أبي الحسن بن كالي، وأخرجوا العلوي، وألبسوه القَلَنسوة وبايعوه، فأمسى أسيراً، وأصبح أميراً، وجعل مقدم جيشه علي بن خرشيد، ورضي به الجيش، وكاتبوا أسفار بن شيرويه، وعرفوه الحال، واستقدموه إليهم، فاستأذن بكر بن محمد وسار إلى جُرجان، واتفق مع علي بن خرشيد، وضبطوا تلك الناحية، فسار إليهم ماكان بن كالي، من طبرستان، في جيشه، فحاربوه وهزموه وأخرجوه عن طبرستان، وأقاموا بها ومعهم العلوي، فلعب يوماً بالكرة، فسقط عن دابته فمات.

ثم مات علي بن خرشيد صاحب الجيش، وعاد ماكان بن كالي إلى أسفار، فحاربه، فانهزم أسفار منه، ورجع إلى بكر بن محمد بن ألِيسَع، وهو بجُرجان، وأقام بها إلى أن توفي بكر بها، فولاها الأمير السعيد نصر بن أحمد أسفار بن شيرويه، وذلك سنة خمس عشرة وثلاثمائة، وأرسل أسفار إلى مَرداويج بن زيار الجيلي يستدعيه، فحضر عنده، وجعله أمير الجيش، وأحسن إليه، وقصدوا طبرستان واستولوا عليها.

ونحن نذكر حال ابتداء مرداويج وكيف تقلّبت به الأحوال. (١٧٧/٨)

ذكر الحرب بين المسلمين والروم

في هذه السنة خرجت سرية من طرسوس إلى بلاد الروم، فوقع عليها العدو، فاقتتلوا فاستظهر الروم وأسروا من المسلمين أربعمائة رجل، فقتلوا صبراً.

وفيها سار الدُّمُستُق في جيش عظيم من الروم إلى مدينة دَبيل، وفيها نصر السَّبُكي في عسكر يحميها، وكان مع الدُّمُستُق دبابات ومجانيق ومعه مِزراق يزرق بالنار عدة اثني عشر رجلاً، فلا يقر بين يديه أحد من شدة ناره واتصاله، فكان من أشد شيء على المسلمين.

وكان الرامي به، مباشر القتال، من أشجعهم، فرماه رجل من المسلمين بسهم فقتله، وأراح الله المسلمين من شره.

وكان الدمستق يجلس على كرسي عال يشرف على البلد وعلى عسكره، فأمرهم بالقتال على ما يراه، فصبر له أهل البلد، وهو ملازم القتال، حتى (١٧٨/٨) وصلوا إلى سور المدينة، فنقبوا فيه نقوباً كثيرة، ودخلوا المدينة، فقاتلهم أهلها ومَن فيها من العسكر قتالاً شديداً، فانتصر المسلمون، وأخرجوا الروم منها، وقتلوا منهم نحو عشرة آلاف رجل.

وفيها، في ذي القعدة، عاد ثمل إلى طرسوس من الغزاة الصائفة سالماً هو ومَن معه فلقوا جمعاً كثيراً من الروم، فاقتتلوا فانتصر المسلمون عليهم وقتلوا من الروم كثيراً، وغنموا ما لا يحصى.

وكان من جملة ما غنموا أنهم ذبحوا من الغنم في بلاد الروم ثلاثمائة ألف رأس، سوى ما سلم معهم، ولقيهم رجل يُعرف بابن الضحاك، وهو من رؤساء الأكراد، وكان له حصن يُعرف بالجعفري، فارتد عن الإسلام وصار إلى ملك الروم فأجزل له العطية، وأمره بالعود إلى حصنه، فلقيه المسلمون، فقاتلوه، فأسروه، وقتلوا كل مَن معه. (١٧٩/٨)

ذكر مسير جيش المهدي إلى المغرب

في هذه السنة سيّر المهدي العلوي، صاحب إفريقية، ابنه أبا القاسم من المهدية إلى المغرب في جيش كثير، في صفر، لسبب محمد بن خرز الزناتي، وذلك أنه ظفر بعسكر من كُتامة، فقتل منهم خلقاً كثيراً، فعظم ذلك على المهدي، فسير ولده، فلما خرج تفرّق الأعداء، وسار حتى وصل إلى ما وراء تاهرت، فلما عاد من سفرته هذه خط برمحه في الأرض صفة مدينة وسماها المحمدية، وهي المسيلة.

وكانت خطته لبني كملان، فأخرجهم منها، ونقلهم إلى فحص القيروان، كالمتوقّع منهم أمراً، فلذلك أحب أن يكونوا قريباً منه، وهم كانوا أصحاب أبي يزيد الخارجي، وانتقل خلق كثير إلى المحمدية، وأمر عاملها أن يكثر من الطعام ويخزنه ويحتفظ به ففعل ذلك، فلم يزل مخزوناً إلى أن خرج أبو يزيد ولقيه المنصور، ومن المحمدية كان يمتار ما يريد إذ ليس بالموضع مدينة سواها.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة مات إبراهيم بن المِسمعي من حمّى حادة، وكان موته بالنُوبَنْدَجان، فاستعمل المقتدر مكانه على فارس ياقوتاً، واستعمل عوضه (١٨٠/٨) على كرمان أبا طاهر محمد بن عبد الصمد، وخلع عليهما.

وفيها شغب الفرسان ببغداد، وخرجوا إلى المصلى، ونهبوا القصر المعروف بالثريا، وذبحوا ما كان فيه من الوحش، فخرج إليهم مؤنس، وضمن لهم أرزاقهم، فرجعوا إلى منازلهم.

وفيها ظفر عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللّه الناصر لدين اللّه الأموي، صاحب الأندلس، بأهل طُليطُلة وكان قد حصرها مدة لخلاف كان عليه فيها، فلما ظفر بهم أخرب كثيراً من عماراتها وشعّثها، وكانت حينئذ دار إسلام.

وفيها قصد الأعراب سواد الكوفة فنهبوه وخرّبوه، ودخلوا الحيرة فنهبوها، فسير إليهم الخليفة جيشاً فدفعوهم عن البلاد.

وفيها، في ربيع الأول، انقض كوكب عظيم، وصار له صوت شديد على ساعتين بقيتا من النهار.

وفيها، في جمادى الآخرة، احترق كثير من الرُصافة ووصيف الجوهري ومُرَبّعة الخُرسي ببغداد.

وفيها توفي أبو بكر محمد بن السري، المعروف بابن السرّاج النحوي، صاحب كتاب الأصول في النحو وقيل توفي سنة ست عشرة [وثلاثمائة].

وفيها، في شعبان، توفي أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش فجأة. (١٨١/٨)

سنة سِت عشرة وثلاثمائة

ذكر أخبار القرامطة

لما سار القرامطة من الأنبار عاد مؤنس الخادم إلى بغداد، فدخلها ثالث المحرّم، وسار أبو طاهر القرمطي إلى الدالية من طريق الفرات، فلم يجد فيها شيئاً، فقتل من أهلها جماعة، ثم سار إلى الرحبة، فدخلها ثامن المحرّم، بعد أن حاربه أهلها، فوضع فيهم السيف بعد أن ظفر بهم، فأمر مؤنس المظفّر بالمسير إلى الرُقّة، فسار إليها في صفر، وجعل طريقه على الموصل، فوصل إليها في ربيع الأول، ونزل بها، وأرسل أهل قَرقِيسِيا يطلبون من أبي طاهر الأمان، فأمنهم وأمرهم أن لا يظهر أحد منهم بالنهار، فأجابوه إلى ذلك.

وسيّر أبو طاهر سريّة إلى الأعراب بالجزيرة، فنهبوهم، وأخذوا أموالهم، فخافه الأعراب خوفاً شديداً وهربوا من بين يديه، وقرر عليهم إتاوة على كل رأس دينار يحملونه إلى هَجَر، ثم أصعد أبو طاهر من الرُحبة إلى الرُقّة، فدخل أصحابه الربض وقتلوا منهم ثلاثين رجلاً، وأعان أهل الرقة أهل الربض، وقتلوا من القرامطة جماعة، فقاتلهم ثلاثة أيام، ثم انصرفوا آخر ربيع الآخر.

(١٨٢/٨) وبثّت القرامطة سريّة إلى رأس عين، وكفرتوثا، فطلب أهلها الأمان، فأمنوهم، وساروا أيضاً إلى سنجار، فنهبوا الجبال، ونازلوا سِنجار، فطلب أهلها الأمان، فأمنوهم.

وكان مؤنس قد وصل إلى الموصل، فبلغه قصد القرامطة إلى الرّقة فجد السير إليها، فسار أبو طاهر عنها، وعاد إلى الرحبة، ووصل مؤنس إلى الرقة بعد انصراف القرامطة عنها، ثم إن القرامطة ساروا إلى هيت، وكان أهلها قد أحكموا سورها، فقاتلوه، فعاد عنهم إلى الكوفة؛ فبلغ الخبر إلى بغداد، فأُخرج هارون بن غريب، وبنّي بن نفيس ونصر الحاجب إليها، ووصلت خيل القرمطي إلى قصر ابن هبيرة، فقتلوا منه جماعة.

ثم إن نصراً الحاجب حُمّ في طريقه حمىّ حادة، فتجلّد وسار، فلما قاربهم القرمطي لم يكن في نصر قوة على النهوض والمحاربة، فاستخلف أحمد بن كَيْغَلَغ، واشتد مرض نصر، وأمسك لسانه لشدة مرضه، فردّوه إلى بغداد، فمات في الطريق أواخر شهر رمضان، فجعل مكانه على الجيش هارون بن غريب، ورتب ابنه أحمد بن نصر في الحجبة للمقتدر مكان أبيه، فانصرف القرامطة إلى البرية، وعاد هارون إلى بغداد في الجيش، فدخلها

لثمان بقين من شوال. (١٨٣/٨)

ذكر عزل علي بن عيسى ووزارة أبي علي بن مقلة

في هذه السنة عزل علي بن عيسى عن وزارة الخليفة، ورتّب فيها أبو علي بن مقلة.

وكان سبب ذلك أن علياً لما رأى نقص الارتفاع، واختلال الأعمال بوزارة الخاقاني والخصيبي، وزيادة النفقات، وأن الجند لما عادوا من الأنبار زادهم المقتدر في أرزاقهم مائتي ألف وأربعين ألف دينار في السنة، ورأى أيضاً كثرة النفقات للخدم والحُرم، لا سيما والدة المقتدر، هاله ذلك، وعظم عليه.

ثم إنه رأى نصراً الحاجب يقصده، وينحرف عنه لميل مؤنس إليه، فإن نصراً كان يخالف مؤنساً في جميع ما يشير به، فلما تبين له ذلك استعفى من الوزارة، واحتج بالشيخوخة وقلّة النهضة، فأمره المقتدر بالصبر، وقال له: أنت عندي بمنزلة والدي المعتضد؛ فألحّ عليه في الاستعفاء، فشاور مؤنساً في ذلك، وأعلمه أنه قد سُمي للوزارة ثلاثة نفر: الفضل بن جعفر بن الفرات الذي أمّه حيرانة، وأخته زوجة المحسن بن الفرات، وأبو علي بن مقلة، ومحمد بن خلف النِّيرَماني الذي كان وزير ابن أبي الساج؛ فقال مؤنس: أما الفضل فقد قتلنا عمه الوزير أبا الحسن، وابن عمه زوج أخته المحسن بن الوزير، وصادرنا أخته فلا نأمنه؛ وأما ابن مقلة فحدَثٌ غِرٌّ لا تجربَة له بالوزارة، ولا يصلح لها؛ وأما محمد بن خلف فجاهل متهور لا يُحسن شيئاً، والصواب مداراة علي بن عيسى.

ثم لقي مؤنس علي بن عيسى، وسكّنه، فقال علي: لو كنتَ مقيماً (١٨٤/٨) لاستعنتُ بك، ولكنك سائرٌ إلى الرقة ثم إلى الشام.

وبلغ الخبر أبا علي بن مقلة، فجد في السعي، وضمن على نفسه الضمانات، وشاور المقتدر نصراً الحاجب في هؤلاء الثلاثة، فقال: أما الفضل بن الفرات فلا يُدفع عن صناعة الكتابة، والمعرفة، والكفاية، ولكنك بالأمس قتلتَ عمه وابن عمه وصهره، وصادرت أخته وأمه؛ ثم إن بني الفرات يدينون بالرفض، ويُعرفون بولاء آل علي وولده، وأما أبو علي بن مقلة فلا هيبة له في قلوب الناس، ولا يُرجع إلى كفاية، ولا تجربة؛ وأشار بمحمد بن خلف لمودّة كانت بينهما، فنفر المقتدر من محمد بن خلف لما علمه من جهله وتهوره، وواصل ابن مقلة بالهدية إلى نصر الحاجب، فأشار على المقتدر به، فاستوزره.

وكان ابن مقلة لما قرب الهَجَري من الأنبار قد أنفذ صاحباً له معه خمسون طائراً، وأمره بالمقام بالأنبار، وإرسال الأخبار إليه وقتاً بوقت، ففعل ذلك، فكانت الأخبار ترد من جهته إلى الخليفة على يد نصر الحاجب، فقال نصر: هذا فعله فيما لا يلزمه، فكيف يكون إذا اصطنعته! فكان ذلك من أقوى الأسباب في وزارته.

وتقدّم المقتدر في منتصف ربيع الأول بالقبض على الوزير علي بن عيسى، وأخيه عبد الرحمن، وخلع على أبي علي بن مقلة، وتولى الوزارة، وأعانه عليها أبو عبد اللّه البريدي لمودة كانت بينهما. (١٨٥/٨)

ذكر ابتداء حال أبي عبد اللّه البريدي وإخوته

لمّا وليَ علي بن عيسى الوزارة كان أبو عبد اللّه بن البريدي قد ضمن الخاصة، وكان أخوه أبو يوسف على سُرّق، فلما استعمل علي بن عيسى العمال، ورتّبهم في الأعمال، قال أبو عبد اللّه: تُقلّد مثل هؤلاء على هذه الأعمال الجليلة، وتقتصر بي على ضمان الخاصة بالأهواز، وبأخي أبي يوسف على سُرّق! لعن اللّه مَن يقنع بهذا منك، فإن لطبلي صوتاً سوف يُسمع بعد أيام.

فلما بلغه اضطراب أمر علي بن عيسى أرسل أخاه أبا الحسين إلى بغداد وأمره أن يخطب له أعمال الأهواز وما يجري معها إذا تجددت وزارة لمن يأخذ الرّشى، ويرتفق؛ فلما وزّر أبو علي بن مقلة بذل له عشرين ألف دينار على ذلك، فقلّد أبا عبد اللّه الأهواز جميعها، سوى السُّوس وجُنْدَيْسابور، وقلّد أخاه أبا الحسين الفراتية، وقلّد أخاهما أبا يوسف الخاصة والأسافل، على أن يكون المال في ذمة أبي أيوب السمسار إلى أن يتصرفوا في الأعمال.

وكتب أبو علي بن مقلة إلى أبي عبد اللّه في القبض على ابن أبي السلاسل، فسار بنفسه فقبض عليه بتُستَر، وأخذ منه عشرة آلاف دينار ولم يوصلها، وكان متهوراً لا يفكر في عاقبة أمر، وسيرد من أخباره ما يُعلم به دهاؤه، (١٨٦/٨) ومكره، وقلة دينه، وتهوره.

ثم إن أبا علي بن مقلة جعل أبا محمد الحسين بن أحمد المارداني مشرفاً على أبي عبد اللّه، فلم يلتفت إليه.

(البريديُّ بالباء الموحدة والراء المهملة منسوب إلى البَريد، هكذا ذكره الأمير ابن ماكولا، وقد ذكره ابن مِسكويه بالياء المعجمة باثنتين من تحت، والزاي، وقال: كان جده يخدم يزيد بن منصور الحميري، فنُسب إليه، والأول أصح، وما ذكرنا قول ابن مِسكويه إلا حتى لا يظن ظان أننا لم نقف عليه، وأخطأنا الصواب.)

ذكر من ظهر بسواد العراق من القرامطة

لما كان من أمر أبي طاهر القرمطي ما ذكرناه، اجتمع من كان بالسواد ممن يعتقد مذهب القرامطة فيكتم اعتقاده خوفاً، فأظهروا

اعتقادهم، فاجتمع منهم بسواد واسط أكثر من عشرة آلاف رجل، وولوا أمرهم رجلاً يُعرف بحُرَيث بن مسعود، واجتمع طائفة أخرى بعين التمر ونواحيها في جمع كثير، وولوا أمرهم إنساناً يسمى عيسى بن موسى، وكانوا يدعون إلى المهدي.

وسار عيسى إلى الكوفة، ونزل بظاهرها، وجبى الخراج، وصرف العمال عن السواد.

(١٨٧/٨) وسار حُريث بن مسعود إلى عمال الموفقي وبنى بها داراً سمّاها دار الهجرة، واستولى على تلك الناحية، فكانوا ينهبون، ويسبون، ويقتلون، وكان يتقلّد الحرب بواسط بنّيّ بن نفيس، فقاتلهم، فهزموه فسيّر المقتدر بالله إلى حُريث ابن مسعود ومَن معه هارون بن غريب، وإلى عيسى بن موسى ومَن معه بالكوفة صافياً البصري، فأوقع بهم هارون، وأوقع صافي بمن سار إليهم، فانهزمت القرامطة، وأُسر منهم كثير، وقُتل أكثر ممن أُسر، وأُخذت أعلامهم، وكانت بيضاً، وعليها مكتوب: ﴿ونُرِيدُ أنْ نَمُنَّ على الَّذينَ اسْتُضْعِفُوا في الأرضِ ونَجعَلَهُمْ أئِمَّةً ونَجعَلَهُمُ الوارِثينَ﴾[القصص: ٥] فأُدخلت بغداد منكوسة، واضمحل أمر من بالسواد منهم، وكفى الله الناس شرهم.

ذكر الحرب بين نازوك وهارون بن غريب

وفيها وقعت الفتنة بين نازوك، صاحب الشرطة، وهارون بن غريب.

وسبب ذلك أن ساسة دواب هارون بن غريب وساسة نازوك تغايروا على غلام أمرد، وتضاربوا بالعصي، فحبس نازوك ساسة دواب (١٨٨/٨) هارون، بعد أن ضربهم، فسار أصحاب هارون إلى محبس الشرطة، ووثبوا على نائب نازوك به، وانتزعوا أصحابهم من الحبس، فركب نازوك، وشكا إلى المقتدر، فقال: كلاكما عزيز علي، ولست أدخل بينكما؛ فعاد وجمع رجاله، وجمع هارون رجاله، وزحف أصحاب نازوك إلى دار هارون، فأغلق بابه، وبقي بعض أصحابه خارج الدار، فقتل منهم أصحاب نازوك، وجرحوا، ففتح هارون الباب، وخرج أصحابه، فوضعوا السلاح في أصحاب نازوك فقتلوا منهم، وجرحوا، واشتبكت الحرب بينهم، فكفّ نازوك أصحابه.

وأرسل الخليفة إليهما ينكر عليهما ذلك، فكفّا، وسكنت الفتنة، واستوحش نازوك، واستدل بذلك على تغيّر المقتدر، ثم ركب إليه هارون وصالحه، وخرج بأصحابه، ونزل بالبستان النجمي ليبعد عن نازوك، فأكثر الناس الأراجيف وقالوا: قد صار هارون أمير الأمراء؛ فعظم ذلك على أصحاب مؤنس، وكتبوا إليه بذلك، وهو بالرّقّة، فأسرع العود إلى بغداد فنزل بالشّمّاسيّة في أعلى بغداد، ولم يلق المقتدر، فصعد إليه الأمير أبو العباس ابن المقتدر، والوزير ابن مقلة، فأبلغاه سلام المقتدر واستيحاشه له، وعاد فاستشعر كل واحد من المقتدر ومؤنس من صاحبه، وأحضر المقتدر هارون بن غريب، وهو ابن خاله، فجعله معه في داره، فلما علم مؤنس بذلك ازداد نفوراً واستيحاشاً، وأقبل أبو الهيجاء بن حمدان من بلاد الجبل، فنزل عند مؤنس ومعه عسكر كبير، وصارت المراسلات بين الخليفة ومؤنس تتردد، والأمراء يخرجون إلى مؤنس، وانقضت السنة وهم على ذلك. (١٨٩/٨)

ذكر قتل الحسن بن القاسم الداعي

في هذه السنة قُتل الحسن بن القاسم الداعي العلوي، وقد ذكرنا استيلاء أسفار بن شيرويه الدَّيلمي على طَبَرستان، ومعه مرداويج، فلما استولوا عليها كان الحسن بن القاسم بالرَّي، واستولى عليها، وأخرج منها أصحاب السعيد نصر بن أحمد، واستولى على قزوين، وزنجان، وأبهر، وقُمّ، وكان معه ماكان بن كالي الديلمي، فسار نحو طبرستان، والتقوا هم وأسفار عند سارية، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم الحسن وماكان بن كالي، فلُحق الحسن فقُتل،وكان انهزام معظم أصحاب الحسن على تعمُّدٍ منهم للهزيمة.

وسبب ذلك أنه كان يأمر أصحابه بالاستقامة، ومنعهم عن ظلم الرعية، وشرب الخمور، وكانوا يبغضونه لذلك، ثم اتفقوا على أن يستقدموا هروسندان وهو أحد رؤساء الجيل، وكان خال مرداويج ووشمكير، ليقدّموه عليهم، ويقبضوا على الحسن الداعي، وينصّبوا أبا الحسين بن الأطروش، ويخطبوا له.

وكان هروسندان مع أحمد الطويل بالدَّامَغان بعد موت صعلوك، فوقف أحمد على ذلك، فكتب إلى الحسن الداعي يعلمه، فأخذ حذره، فلما قدم هروسندان لقيه مع القوّاد، وأخذهم إلى قصره بجرجان ليأكلوا طعاماً، ولم يعلموا أنه قد اطلع على ما عزموا عليه، وكان قد وافق خواصّ أصحابه على (١٩٠/٨) قتلهم، وأمرهم بمنع أصحاب أولئك القوّاد من الدخول؛ فلما دخلوا داره قابلهم على ما يريدون [أن] يفعلوه، وما أقدموا عليه من المنكرات التي أحلت له دماءهم، ثم أمر بقتلهم عن آخرهم، وأخبر أصحابهم الذين ببابه بقتلهم، وأمرهم بنهب أموالهم، فاشتغلوا بالنهب، وتركوا أصحابهم، وعظم قتلهم على أقربائهم ونفروا عنه، فلما كانت هذه الحادثة تخلّوا عنه حتى قُتل.

ولما قُتل استولى أسفار على بلاد طبرستان، والرَّي، وجُرجان، وقزوين، وزنجان، وأبهر، وقُم، والكَرْخ، ودعا لصاحب خُراسان، وهو السعيد نصر بن أحمد، وأقام بسارية، واستعمل على آمل هارون بن بَهرام، وكان هارون يحتاج [أن] يُخطب فيها لأبي جعفر العلوي، وخاف أسفار ناحية أبي جعفر أن يجدد له فتنة وحرباً، فاستدعى هارون إليه، وأمره أن يتزوّج إلى أحد أعيان آمل، ويُحضر

عرسه أبا جعفر وغيره من رؤساء العلويين، ففعل ذلك في يوم ذكره أسفار، ثم سار أسفار من سارية مجداً فوافى آمل وقت الموعد، وهجم [على] دار هارون على حين غفلة، وقبض على أبي جعفر وغيره من أعيان العلويين، وحملهم إلى بخارى، فاعتُقلوا بها إلى أن خلصوا أيام فتنة أبي زكريا، على ما نذكره.

ولما فرغ أسفار من أمر طبرستان سار إلى الري، وبها ماكان بن كالي، فأخذها منه، واستولى عليها، وسار ماكان إلى طبرستان، فأقام هناك.

وأحبّ أسفار أن يستولي على قلعة ألَمُوت، وهي قلعة على جبل شاهق من (١٩١/٨) حدود الديلم، وكانت لسياه جشم بن مالك الدّيلمي، ومعناه الأسود العين لأنه كان على إحدى عينيه شامة سوداء، فراسله أسفار وهنأه، فقدم عليه، فسأله أن يجعل عياله في قلعة ألَمُوت، وولاه قزوين، فأجابه إلى ذلك، فنقلهم إليها، ثم كان يرسل إليهم من يثق به من أصحابه، فلما حصل فيها مائة رجل استدعاه من قزوين، فلما حضر عنده قبض عليه، وقتله بعد أيام.

وكان أسفار لما اجتاز بسُمنان استأمن إليه ابن أمير كان صاحب جبل دنباوند، وامتنع محمد بن جعفر السُّمناني من النزول إليه، وامتنع بحصن بقرية رأس الكلب، فحقدها عليه أسفار، فلما استولى على الري أنفذ إليه جيشاً يحصرونه، وعليهم إنسان يقال له عبد الملك الديلمي، فحصروه، ولم يمكنهم الوصول إليه، فوضع عليه عبد الملك مَن يشير عليه بمصالحته، ففعل، وأجابه عبد الملك إلى المسألة، ثم وضع عليه من يحسّن له أن يضيف عبد الملك، فأضافه، فحضر في جماعة من شجعان أصحابه، فتركهم تحت الحصن، وصعد وحده إلى محمد بن جعفر، فتحادثا ساعة، ثم استخلاه عبد الملك ليشير إليه شيئاً، ففعل ذلك، ولم يبق عندهما أحد غير غلام صغير، فوثب عليه عبد الملك فقتله، وكان محمد منقرساً زمناً، وأخرج حبل إبريسَم كان قد أعده فشده في نافذة في تلك الغرفة ونزل وتخلّص.

(١٩٢/٨) واستغاث ذلك الغلام، فجاء أصحاب محمد بن جعفر وكسروا الباب، وكان عبد الملك قد أغلقه، فلما دخلوا رأوه مقتولاً، فقتلوا به كل من عندهم من الديلم، وحفظوا نفوسهم.

وعظمت جيوش أسفار، وجل قدره، فتجبّر وعصى على الأمير السعيد، صاحب خراسان، وأراد أن يجعل على رأسه تاجاً وينصب بالرّي سرير ذهب للسلطنة، ويحارب الخليفة، وصاحب خراسان، فسير المقتدر إليه هارون بن غريب في عسكر نحو قزوين، فحاربه أصحاب أسفار بها، فانهزم هارون، وقُتل من أصحابه جمع كثير بباب قزوين، وكان أهل قزوين قد ساعدوا أصحاب هارون، فحقدها عليهم أسفار.

ثم إن الأمير السعيد، صاحب خراسان، سار من بخارى قاصداً نحو أسفار ليأخذ بلاده، فبلغ نيسابور، فجمع أسفار عسكره وأشار على أسفار وزيره مُطَرِّف بن محمد الجُرجاني بمراسلة صاحب خراسان، والدخول في طاعته، وبذل المال له، فإن أجاب، وإلا فالحرب بين يديه.

وكان في عسكره جماعة من أتراك صاحب خراسان قد ساروا معه، فخوّفه وزيره منهم، فرجع إلى رأيه وراسله، فأبى أن يجيبه إلى ذلك، وعزم على المسير إليه، فأشار عليه أصحابه أن يقبل الأموال، وإقامة الخطبة له، وخوّفوه الحرب وأنه لا يدري لمن النصر، فرجع إلى قولهم، وأجاب أسفار إلى ما طلب، وشرط عليه شروطاً من حمل الأموال وغير ذلك، واتفقا، فشرع أسفار بعد إتمام الصلح، وقسّط على الري وأعمالها، على كل رجل ديناراً، سواء كان من أهل البلاد أم من المجتازين، فحصل له مال عظيم أرضى صاحب خراسان ببعضه، ورجع عنه.

(١٩٣/٨) فعظم أمر أسفار خلاف ما كان، وزاد تجبُّره، وقصد قزوين لما في نفسه على أهلها، فأوقع بهم وقعة عظيمة أخذ فيها أموالهم، وعذبهم، وقتل كثيراً منهم، وعسفهم عسفاً شديداً، وسلّط الديلم عليهم، فضاقت الأرض عليهم، وبلغت القلوب الحناجر، وسمع مؤذن الجامع يؤذن، فأمر به فأُلقي من المنارة إلى الأرض، فاستغاث الناس من شره وظلمه، وخرج أهل قزوين إلى الصحراء: الرجال، والنساء، والولدان يتضرعون ويدعون عليه ويسألون اللّه كشف ما هم فيه، فبلغه ذلك، فضحك منهم، وشتمهم استهزاء بالدعاء، فلما كان الغد انهزم على ما نذكره.

ذكر قتل أسفار

كان في أصحاب أسفار قائد من أكبر قوّاده يقال له مَرداويج بن زيار الديلمي، فأرسله إلى سلار صاحب شميران الطرم يدعوه إلى طاعته، وسلار هذا هو الذي صار ولده فيما بعد صاحب أذربيجان وغيرها، فلما وصل مرداويج إليه تشاكيا ما كان الناس فيه من الجهد والبلاء، فتحالفا، وتعاقدا على قصده، والتساعد على حربه.

وكان أسفار قد وصل إلى قزوين، وهو ينتظر وصول مرداويج بجوابه، فكتب مرداويج إلى جماعة من القوّاد يثق بهم يعرّفهم ما اتفق هو وسلار عليه، فأجابوه إلى ذلك؛ وكان الجند قد سئموا أسفار لسوء سيرته، وظلمه، وجوره، وكان في جملة من أجاب إلى مساعدة مرداويج مطرّف بن محمد، (١٩٤/٨) وزير أسفار، وسار مرداويج وسلار نحو أسفار، وبلغه الخبر، وأن أصحابه قد بايعوا مرداويج، فأحسّ بالشر، وكان ذلك عقيب حادثته مع أهل قزوين ودعائهم، وثار الجند بأسفار، فهرب منهم في جماعة من غلمانه

وورد الري، فأراد أن يأخذ من مال كان عند نائبه بها شيئاً، فلم يعطه غير خمسة آلاف دينار، وقال له: أنت أمير ولا يعوزك مال؛ فتركه وانصرف إلى خراسان، فأقام بناحية بَيهق.

وأما مرداويج فإنه عاد من قزوين نحو الري، وكتب إلى ماكان بن كالي، وهو بطبرستان، يستدعيه ليتساعدا ويتعاضدا، فسرى ماكان بن كالي إلى أسفار، وكان قد عسف أهل الناحية التي هو بها، فلما أحس بماكان سار إلى بُست، وركب المفازة نحو الري ليقصد قلعة ألَمُوت التي بها أهله وأمواله، فانقطع عنه بعض أصحابه، وقصد مرداويج فأعلمه خبره، فخرج مرداويج من ساعته في أثره، وقدّم بعض قوّاده بين يديه، فلحقه ذلك القائد وقد نزل يستريح، فسلّم عليه بالإمرة، فقال له أسفار: لعلكم اتصل بكم خبري وبُعثتَ في طلبي؟ قال: نعم! فبكى أصحابه، فأنكر عليهم أسفار ذلك، وقال: بمثل هذه القلوب تتجندون! أما علمتم أن الولايات مقرون بالبليّات.

ثم أقبل على ذلك القائد وهو يضحك، وسأله عن قوّاده الذين أسلموه (١٩٥/٨) وخذلوه، فأخبره أن مرداويج قتلهم، فتهلل وجهه وقال: كانت حياة هؤلاء غصّة في حلقي، وقد طابت الآن نفسي، فامض في ما أُمرتَ به، وظن أنه أمر بقتله، فقال: ما أُمرتُ فيك بسوء؛ وحمله إلى مرداويج، فسلّمه إلى جماعة أصحابه ليحمله إلى الري، فقال له بعض أصحابه: إن أكثر مَن معك كانوا أصحاب هذا، فانحرفوا عنه إليك، وقد أوحشتَ أكثرهم بقتل قوّادهم فما يؤمنك أن يرجعوا إليه غداً ويقبضوا عليك؟ فحينئذ أمر بقتله وانصرف إلى الري.

وقيل في قتله: إنه لما عاد نحو قلعة ألَمُوت نزل في وادٍ هناك يستريح، فاتفق أن مرداويج خرج يتصيد، ويسأل عن أخباره، فرأى خيلاً يسيرة في وادٍ هناك، فأرسل بعض أصحابه ليأخذ خبرها، فرأوا أسفار بن شيرويه في عدة يسيرة من أصحابه، يريد الحصن ليأخذ ما له فيه ويستعين به على جمع الجيوش، ويعود إلى محاربة مرداويج، فأخذوه ومن معه، وحملوه إلى مرداويج، فلما رآه نزل إليه فذبحه.

واستقر أمر مرداويج في البلاد، وعاد إلى قزوين بعد قتل أسفار، فأحسن إلى أهلها، ووعدهم الجميل.

وقيل: بل دخل أسفار إلى رحى، وقد نال منه الجوع، فطلب من الطحّان شيئاً يأكله، فقدّم له خبزاً ولبناً، فأكل منه هو وغلام له ليس معه غيره، (١٩٦/٨) فأقبل مرداويج إلى تلك الناحية، فأشرف على الرحى فرأى أثر حوافر الدواب، فسأل عنها، فقيل له: قد دخل فارسان إلى هذه الرحى؛ فكبس مرداويج الرحى، فرآه وقتله.

ذكر ملك مرداويج

ولما انهزم أسفار من مرداويج ابتدأ في ملك البلاد، ثم إنه ظفر بأسفار فقتله فتمكّن ملكه وثبت، وتنقّل في البلاد يملكها مدينةً مدينةً، وولايةً ولايةً، فملك قزوين، ووعدهم الجميل فأحبوه، ثم سار إلى الرّي فملكها، وملك همذان، وكَنكُور، والدِّينَور، وبُروجَرد، وقُم، وقاشان، وأصبهان، وجرباذقان وغيرها.

ثم إنه أساء السيرة في أهل أصبهان خاصةً، وأخذ الأموال، وهتك المحارم، وطغى، وعمل له سريراً من ذهب يجلس عليه، وسريراً من فضة يجلس عليه أكابر قوّاده، وإذا جلس على السرير يقف عسكره صفوفاً بالبعد منه، ولا يخاطبه أحد إلا الحجّاب الذين رتّبهم لذلك، وخافه الناس خوفاً شديداً. (١٩٧/٨)

ذكر ملك مرداويج طبرستان

قد ذكرنا اتفاق ماكان بن كالي مع مرداويج، ومساعدته على أسفار، فلما استقر ملك مرداويج، وقوي أمره، وكثرت أمواله وعساكره، طمع في جُرجان، وطبرستان، وكانتا مع ماكان بن كالي، فجمع عساكره وسار إلى طبرستان، فثبت له ماكان، فاستظهر عليه مرداويج، واستولى على طبرستان ورتّب فيها بلقاسم بن بانجين، وهو اسفهسلار، عسكره، وكان حازماً، شجاعاً، جيد الرأي.

ثم سار مرداويج نحو جُرجان، وكان بها من قبل ماكان شيرزيل بن سلار، وأبو علي بن تركي، فهربا من مرداويج، وملكها مرداويج، ورتب فيها سرخاب بن باوس، خال ولد بلقاسم بن بانجين، خليفة عن بلقاسم، فجمع بلقاسم جُرجان، وطبرستان، وعاد مرداويج إلى أصبهان ظافراً غانماً.

وسار ماكان إلى الديلم واستنجد أبا الفضل الثائر بها، فأكرمه، وسار معه إلى طبرستان فلقيهما بلقاسم، وتحاربوا، فانهزم ماكان والثائر، فأما (١٩٨/٨) الثائر فقصد الديلم، وأما ماكان فسار إلى نيسابور، فدخل في طاعة السعيد نصر، واستنجده، فأمده بأكثر جيشه، وبالغ في تقويته، ووصل إليه ماكان وأبو علي، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم أبو علي وماكان وعادا إلى نيسابور، ثم عاد ماكان بن كالي إلى الدّامَغان ليتملكها، فسار نحوه بلقاسم فصده عنها، فعاد إلى خراسان، وسنذكر باقي أخبار ماكان فيما بعد.

ذكر عدة حوادث

فيها كان ابتداء أمر أبي يزيد الخارجي بالمغرب، وسنذكر أمره سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة مستقصى.

وفيها ظهر بسِجستان خارجي، وسار في جمع إلى بلاد فارس يريد التغلب عليها، فقتله أصحابه قبل الوصول إليها، وتفرقوا.

وفيها صُرف أحمد بن نصر العشوري عن حجبة الخليفة وقلّدها ياقوت، وكان يتولى الحرب بفارس، وهو بها، فاستخلف على الحجبة ابنه أبا الفتح المظفر.

وفيها وصل الدُّمُستُق في جيش كثير من الروم إلى أرمينية، فحصروا خلاط، فصالحه أهلها، ورحل عنهم بعد أن أخرج المنبر من الجامع وجعل مكانه صليباً، وفعل بَبَدْليس كذلك، وخافه أهل أرْزَن (١٩٩/٨) وغيرهم، ففارقوا بلادهم، وانحدر أعيانهم إلى بغداد، واستغاثوا إلى الخليفة، فلم يُغاثوا.

وفيها وصل سبعمائة رجل من الروم والأرمن إلى مَلَطية ومعهم الفؤوس والمعاول، وأظهروا أنهم يتكسّبون بالعمل، ثم ظهر أن مليحاً الأرمني، صاحب الدروب، وضعهم ليكونوا بها، فإذا حصرها سلموها إليه، فعلم بهم أهل مَلَطية، فقتلوهم وأخذوا ما معهم.

وفيها، في منتصف ربيع الأول، قُلّد مؤنس المؤنسي الموصل وأعمالها.

وفيها مات أبو بكر بن أبي داود السِّجستاني، وأبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الإسفرايني، وله مسند مخرج على صحيح مسلم.

وفيها توفي أبو بكر محمد بن السري النحوي المعروف بابن السرّاج، صاحب كتاب الأصول في النحو. (٢٠٠/٨)

سنة سبع عشرة وثلاثمائة

ذكر خلع المقتدر

في هذه السنة خُلع المقتدر باللّه من الخلافة، وبويع أخوه القاهر باللّه محمد بن المعتضد، فبقي يومين ثم أعيد المقتدر.

وكان سبب ذلك ما ذكرنا في السنة التي قبلها من استيحاش مؤنس ونزوله بالشَّمّاسيّة، وخرج إليه نازوك، صاحب الشرطة، في عسكره، وحضر عنده أبو الهيجاء بن حمدان في عسكره من بلد الجبل، وبنّي بن نفيس، وكان المقتدر قد أخذ منه الدِّينَور، فأعادها إليه مؤنس عند مجيئه إليه.

وجمع المقتدر عنده، في داره، هارون بن غريب، وأحمد بن كَيْغَلَغ، والغلمان الحجرية، والرجّالة المصافيّة، وغيرهم، فلما كان آخر النهار ذلك اليوم انفضّ أكثر مَن عند المقتدر،وخرجوا إلى مؤنس، وكان ذلك أوائل المحرم.

ثم كتب مؤنس إلى المقتدر رقعة يذكر فيها أن الجيش عاتبٌ منكرٌ للسرف فيما يُطلق باسم الخدم والحُرَم من الأموال والضِّياع، ولدخولهم في الرأي وتدبير المملكة، ويطالبون بإخراجهم من الدار، وأخذ ما في أيديهم من الأموال والأملاك، وإخراج هارون بن غريب من الدار.

(٢٠١/٨) فأجابه المقتدر أنه يفعل من ذلك ما يمكنه فعله، ويقتصر على ما لا بد له منه، واستعطفهم، وذكّرهم بيعته في أعناقهم مرة بعد أخرى، وخوّفهم عاقبة النكث،وأمر هارون بالخروج من بغداد، وأقطعه الثغور الشامية والجزرية، وخرج من بغداد تاسع المحرم من هذه السنة، وراسلهم المقتدر، وذكّرهم نعمه عليهم وإحسانه إليهم، وحذرهم كفر إحسانه، والسعي في الشر والفتنة.

فلما أجابهم إلى ذلك دخل مؤنس وابن حمدان ونازوك إلى بغداد، وأرجف الناس بأن مؤنساً ومن معه قد عزموا على خلع المقتدر وتولية غيره، فلما كان الثاني عشر من المحرم خرج مؤنس والجيش إلى باب الشَّمّاسيّة، فتشاوروا ساعة، ثم رجعوا إلى دار الخليفة بأسرهم، فلما زحفوا إليها، وقربوا منها، هرب المظفر بن ياقوت، وسائر الحجّاب والخدم وغيرهم، والفراشون، وكل مَن في الدار؛ وكان الوزير أبو علي بن مقلة حاضراً، فهرب ودخل مؤنس والجيش دار الخليفة، وأخرج المقتدر، ووالدته، وخالته، وخواص جواريه، وأولاده، من دار الخلافة، وحملوا إلى دار مؤنس، فاعتُقلوا بها.

وبلغ الخبر هارون بن غريب، وهو بُقُطْرُبُّل، فدخل بغداد واستتر، ومضى ابن حمدان إلى دار ابن طاهر، فأحضر محمد بن المعتضد، وبايعوه بالخلافة، ولقّبوه القاهر باللّه، وأحضروا القاضي أبا عمر عند المقتدر ليشهد عليه بالخلع، وعنده مؤنس، ونازوك، وابن حمدان، وبنّي بن نفيس، (٢٠٢/٨) فقال مؤنس للمقتدر ليخلع نفسه من الخلافة، فأشهد عليه القاضي بالخلع، فقام ابن حمدان وقال للمقتدر: يا سيدي يعز علي أن أراك على هذه الحال، وقد كنتُ أخافها عليك، وأحذرها، وأنصح لك، وأحذرك عاقبة القبول من الخدم، والنساء، فتؤثر أقوالهم على قولي، وكأني كنتُ أرى هذا، وبعد، فنحن عبيدك وخدمك.

ودمعت عيناه وعينا المقتدر، وشهد الجماعة على المقتدر بالخلع، وأودعوا الكتاب بذلك عند القاضي أبي عمر، فكتمه ولم يُظهر عليه أحداً، فلما عاد المقتدر إلى الخلافة سلمه إليه، وأعلمه أنه لم يطلع عليه غيره، فاستحسن ذلك منه، وولاه قضاء القضاة.

ولما استقر الأمر للقاهر أخرج مؤنس المظفر علي بن عيسى من الحبس، ورتب أبا علي بن مقلة في الوزارة، وأضاف إلى نازوك مع الشرطة حجبة الخليفة، وكتب إلى البلاد بذلك، وأقطع ابن حمدان، مضافاً إلى ما بيده من أعمال طريق خراسان، حُلوان،

والدِّينور، وهمذان، وكنكور، وكرمان، وشاهان، والرّاذانات، ودقوقا، وخانيجار، ونهاوند، والصّيمرة، والسِّيروان، والماسَبَذان وغيرها، ونُهبت دار الخليفة، ومضى بنّي بن نفيس إلى تربة لوالدة المقتدر، فأخرج من قبر فيها ستمائة ألف دينار، وحملها إلى دار الخليفة.

وكان خلع المقتدر النصف من المحرم، ثم سكن النهب، وانقطعت الفتنة؛ ولما تقلّد نازوك حجبة الخليفة أمر الرجّالة المصافيّة بقلع خيامهم من دار الخليفة، وأمر رجاله وأصحابه أن يقيموا بمكان المصافيّة، فعظم ذلك عليهم، وتقدّم (٢٠٣/٨) إلى خلفاء الحجّاب أن لا يمكنوا أحداً من الدخول إلى دار الخليفة، إلا من له مرتبة، فاضطربت الحجبة من ذلك.

ذكر عود المقتدر إلى الخلافة

لما كان يوم الاثنين سابع عشر المحرم بكّر الناس إلى دار الخليفة لأنه يوم موكب دولة جديدة، فامتلأت الممرات، والمراحات، والرِّحاب، وشاطئ دجلة من الناس، وحضر الرجّالة المصافيّة في السلاح الشاكّ، يطالبون بحق البيعة، ورزق سنة، وهم حنقون بما فعل بهم نازوك، ولم يحضر مؤنس المظفر ذلك اليوم.

وارتفعت زعقات الرجّالة، فسمع بها نازوك، فأشفق أن يجري بينهم وبين أصحابه فتنة وقتال، فتقدّم إلى أصحابه، وأمرهم أن لا يعرضوا لهم، ولا يقاتلوهم، وزاد شغب الرجالة، وهجموا يريدون الصحن التسعيني، فلم يمنعهم أصحاب نازوك، ودخل من كان على الشط بالسلاح، وقربت زعقاتهم من مجلس القاهر باللّه، وعنده أبو علي بن مقلة الوزير، ونازوك، وأبو الهيجاء بن حمدان، فقال القاهر لنازوك: اخرج إليهم فسكّنهم، (٢٠٤/٨) وطيب قلوبهم! فخرج إليهم نازوك وهو مخمور، قد شرب طول ليلته، فلما رآه الرجالة تقدموا إليه ليشكوا حالهم إليه في معنى أرزاقهم، فلما رآهم بأيديهم السيوف يقصدونه خافهم على نفسه فهرب، فطمعوا فيه، فتبعوه، فانتهى به الهرب إلى باب كان هو سده أمس، فأدركوه عنده، فقتلوه عند ذلك الباب، وقتلوا قبله خادمه عجيباً، وصاحوا: يا مقتدر، يا منصور! فهرب كل مَن كان في الدار من الوزير، والحجّاب، وسائر الطبقات وبقيت الدار فارغة، وصلبوا نازوك وعجيباً بحيث يراهما مَن على شاطئ دجلة.

ثم صار الرجالة إلى دار مؤنس يصيحون، ويطالبونه بالمقتدر، وبادر الخدم فأغلقوا أبواب دار الخليفة، وكانوا جميعهم خدم المقتدر، ومماليكه، وصنائعه، وأراد أبو الهيجاء بن حمدان أن يخرج من الدار، فتعلّق به القاهر وقال: أنا في ذمامك؛ فقال:واللّه لا أسلّمك أبداً؛ وأخذ بيد القاهر وقال: قم بنا نخرج جميعاً، وأدعو أصحابي وعشيرتي فيقاتلون معك ودونك.

فقاما ليخرجا، فوجدا الأبواب مغلقة، فتبعهما فائق وجه القصعة يمشي معهما، فأشرف القاهر من سطح، فرأى كثرة الجمع، فنزل هو وابن حمدان وفائق، فقال ابن حمدان للقاهر: قف حتى أعود إليك؛ ونزع سواده وثيابه، وأخذ جبّة صوف لغلام هناك، فلبسها ومشى نحو باب النوبي، فرآه مغلقاً والناس من ورائه، فعاد إلى القاهر، وتأخر عنهما وجه القصعة ومَن معه من الخدم، فأمرهم وجه القصعة بقتلهما أخذاً بثأر المقتدر وما صنعا به، فعاد إليهما عشرة من الخدم بالسلاح، فعاد إليهم أبو الهيجاء وسيفه بيده، ونزع الجبّة الصوف، وأخذها بيده الأخرى، وحمل عليهم، (٢٠٥/٨) فانجفلوا بين يديه، وغشيهم، فرموه بالنشاب ضرورة، فعاد عنهم، وانفرد عنه القاهر ومشى إلى آخر البستان فاختفى فيه.

ودخل أبو الهيجاء إلى بيت من ساج، وتقدم الخدم إلى ذلك البيت، فخرج إليهم أبو الهيجاء، فولّوا هاربين، ودخل إليهم بعض أكابر الغلمان الحجرية، ومعه أسودان بسلاح، فقصدوا أبا الهيجاء، فخرج إليهم فرُمي بالسهام فسقط، فقصده بعضهم فضربه بالسيف فقطع يده اليمنى، وأخذ رأسه فحمله بعضهم ومشى وهو معه.

وأما الرجّالة فإنهم لما انتهوا إلى دار مؤنس وسمع زعقاتهم قال: ما الذي تريدون؟ فقيل له: نريد المقتدر؛ فأمر بتسليمه إليهم، فلما قيل للمقتدر ليخرج خاف على نفسه أن تكون حيلة عليه، فامتنع، وحُمل وأُخرج إليهم، فحمله الرجّالة على رقابهم حتى أدخلوه دار الخلافة، فلما حصل في الصحن التسعيني اطمأن وقعد، فسأل عن أخيه القاهر، وعن ابن حمدان، فقيل: هما حيّان؛ فكتب لهما أماناً بخطه، وأمر خادماً بالسُّرعة بكتاب الأمان لئلاّ يحدث عن أبي الهيجاء حادث، فمضى بالخط إليه، فلقيه الخادم الآخر ومعه رأسه، فعاد معه، فلما رآه المقتدر، وأخبره بقتله، قال: إنا للّه وإنا إليه راجعون! مَن قتله؟ فقال الخدم: ما نعرف قاتله؛ وعظم عليه قتله، وقال: ما كان يدخل عليّ ويسليني، ويُذهب عني الغم هذه الأيام غيره.

(٢٠٦/٨) ثم أُخذ القاهر وأُحضر عند المقتدر، فاستدناه، فأجلسه عنده وقبّل جبينه وقال له: يا أخي قد علمتُ أنه لا ذنب لك، وأنك قُهرتَ، ولو لقّبوك بالمقهور لكان أولى من القاهر؛ والقاهر يبكي ويقول: يا أمير المؤمنين! نفسي، نفسي، اذكر الرّحم التي بيني وبينك! فقال له المقتدر: وحق رسول اللّه لا جرى عليك سوءٌ مني أبداً، ولا وصل أحد إلى مكروهك وأنا حي! فسكن، وأُخرج رأس نازوك، ورأس أبي الهيجاء، وشُهرا، ونودي عليهما: هذا جزاء من عصى مولاه.

وأما بنّي بن نفيس فإنه كان من أشد القوم على المقتدر، فأتاه الخبر برجوعه إلى الخلافة، فركب جواداً وهرب عن بغداد، وغيّر

زيّه، وسار حتى بلغ الموصل، وسار منها إلى أرمينية، وسار حتى دخل القسطنطينية وتنصر.

وهرب أبو السّرايا نصر بن حمدان أخو أبي الهيجاء إلى الموصل، وسكنت الفتنة، وأحضر المقتدر أبا علي بن مقلة، وأعاده إلى وزارته، وكتب إلى البلاد بما تجدد له، وأطلق للجند أرزاقهم وزادهم، وباع ما في الخزائن من الأمتعة والجواهر، وأذن في بيع الأملاك من الناس، فبيع ذلك بأرخص الأثمان، ليتم أعطيات الجند.

وقد قيل إن مؤنساً المظفر لم يكن مؤثراً لما جرى على المقتدر من الخلع، وإنما وافق الجماعة مغلوباً على رأيه، ولعلمه أنه إن خالفهم لم يتفع به المقتدر، (٢٠٧/٨) ووافقهم ليؤمنوه، وسعى مع الغلمان المصافيّة والحجريّة، ووضع قوّادهم على أن عملوا ما عملوا، وأعادوا المقتدر إلى الخلافة، وكان هو قد قال للمقتدر، لما كان في داره: ما تريدون أن نصنع؟ فلهذا أمنه المقتدر، ولما حملوه إلى دارالخلافة من دار مؤنس ورأى فيها كثرة الخلق والاختلاف عاد الى دار مؤنس لثقته به، واعتماده عليه، ولولا هوى مؤنس مع المقتدر لكان حضر عند القاهر مع الجماعة، فإنه لم يكن معهم كما ذكرناه، ولكان أيضاً قتل المقتدر لما طُلب من داره ليعاد إلى الخلافة.

وأما القاهر فإن المقتدر حبسه عند والدته، فأحسنت إليه، وأكرمته، ووسعت عليه النفقة، واشترت له السراري والجواري للخدمة، وبالغت في إكرامه والإحسان إليه بكل طريق.

ذكر مسير القرامطة إلى مكة وما فعلوه بأهلها وبالحجاج وأخذهم الحجر الأسود

حجّ بالناس في هذه السنة منصور الديلمي، وسار بهم من بغداد إلى مكة، فسلموا في الطريق، فوافاهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية، فنهب هو وأصحابه أموال الحجاج، وقتلوهم حتى في المسجد الحرام وفي البيت نفسه، وقلع الحجر الأسود ونفّذه إلى هَجَر، فخرج إليه ابن محلب، أمير مكة، في جماعة من الأشراف، فسألوه في أموالهم، فلم يشفّعهم، فقاتلوه، (٢٠٨/٨) فقتلهم أجمعين، وقلع باب البيت، وأصعد رجلاً ليقلع الميزاب فسقط فمات، وطرح القتلى في بئر زمزم ودفن الباقين في المسجد الحرام حيث قُتلوا بغير كفن، ولا غسل، ولا صُلّي على أحد منهم، وأخذ كسوة البيت فقسمها بين أصحابه، ونهب دور أهل مكة.

فلما بلغ ذلك المهدي أبا محمد عبيد اللّه العلوي بإفريقية كتب إليه ينكر عليه ذلك، ويلومه، ويلعنه، ويقيم عليه القيامة، ويقول: قد حققتَ على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والإلحاد بما فعلتَ، وإن لم ترد على أهل مكة وعلى الحجّاج وغيرهم ما أخذتَ منهم، وترد الحجر الأسود إلى مكانه، وترد كسوة الكعبة، فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة.

فلما وصله هذا الكتاب أعاد الحجر الأسود على ما نذكره، واستعاد ما أمكنه من الأموال من أهل مكة، فرده، وقال: إن الناس اقتسموا كسوة الكعبة وأموال الحُجّاج، ولا أقدر على منعهم.

ذكر خروج أبي زكريا وإخوته بخراسان

في هذه السنة خرج أبو زكريا يحيى، وأبو صالح منصور، وأبو إسحاق إبراهيم، أولاد أحمد بن إسماعيل السامانى، على أخيهم السعيد نصر بن أحمد، وقيل كان ذلك سنة ثماني عشرة [وثلاثمائة] وهو الصحيح.(٢٠٩/٨)

وكان سبب ذلك أن أخاهم نصراً كان قد حبسهم في القَهندز ببخارى، ووكّل بهم مَن يحفظهم، فتخلصوا منه؛ وكان سبب خلاصهم أن رجلاً يُعرف بأبي بكر الخبّاز الأصبهاني كان يقول إذا جرى ذكر السعيد نصر بن أحمد: إن له مني يوماً طويل البلاء والعناء، فكان الناس يضحكون منه، فخرج السعيد إلى نيسابور، واستخلف ببخارى أبا العباس الكوسج، وكانت وظيفة إخوته تُحمل إليهم من عند أبي بكر الخباز هذا وهم في السجن، فسعى لهم أبو بكر مع جماعة من أهل العسكر ليخرجوهم، فأجابوه إلى ذلك وأعلمهم ما سعى لهم فيه.

فلما سار السعيد عن بخارى تواعد هؤلاء للاجتماع بباب القَهندز يوم جمعة، وكان الرسم أن لا يفتح باب القهندز أيام الجمع إلا بعد العصر، فلما كان الخميس دخل أبو بكر الخباز إلى القهندز قبل الجمعة التي اتّعدوا الاجتماع فيها بيوم، فبات فيه، فلما كان الغد، وهو الجمعة، جاء الخباز إلى باب القهندز، وأظهر للبواب زهداً وديناً، وأعطاه خمسة دنانير ليفتح له الباب ليخرجه لئلا تفوته الصلاة، ففتح له الباب، فصاح أبو بكر الخباز بمن وافقه على إخراجهم، وكانوا على الباب، فأجابوه، وقبضوا على البواب، ودخلوا وأخرجوا يحيى، ومنصوراً، وإبراهيم بني أحمد بن إسماعيل من الحبس، مع جميع مَن فيه من الديلم، والعلويين والعيارين، فاجتمعوا، واجتمع إليهم من كان وافقهم من العسكر، ورأسهم شروين الجيلي وغيره من القواد.

(٢١٠/٨) ثم إنهم عظمت شوكتهم، ونهبوا خزائن السعيد نصر بن أحمد ودوره وقصوره، واختص يحيى بن أحمد أبا بكر الخباز وقدمه وقوّده، وكان السعيد إذ ذاك بنيسابور، وكان أبو بكر محمد بن المظفر، صاحب جيش خراسان، بجُرجان، فلما خرج يحيى وبلغ خبره السعيد، عاد من نيسابور إلى بخارى، وبلغ الخبر إلى محمد بن المظفر، فراسل ماكان بن كالي، وصاهره، وولاه نيسابور، وأمره بمنعها ممن يقصدها، فسار ماكان إليها، وكان

السعيد قد سار من نيسابور إلى بخارى، وكان يحيى وكّل بالنهر أبا بكر الخباز، فأخذه السعيد أسيراً، وعبر النهر إلى بخارى فبالغ في تعذيب الخباز، ثم ألقاه في التنّور الذي كان يخبز فيه، فاحترق.

وسار يحيى من بخارى إلى سمرقند، ثم خرج منها واجتاز بنواحي الصُّغانيان وبها أبو علي بن أبي بكر محمد بن المظفر، وسار يحيى إلى تِرمِذ، فعبر النهر إلى بَلخ وبها قراتكين، فوافقه قراتكين، وخرجا إلى مرو، ولما ورد محمد بن المظفر بنيسابور كاتبه يحيى، واستماله، فأظهر له محمد الميل إليه، ووعده المسير نحوه، ثم سار عن نيسابور، واستخلف بها ماكان بن كالي، وأظهر أنه يريد مرو، ثم عدل عن الطريق نحو بوشنج وهراة مسرعاً في سيره واستولى عليهما.

وسار محمد عن هراة نحو الصُّغانيان على طريق غَرشِستان، فبلغ خبره يحيى فسيّر إلى طريقه عسكراً فلقيهم محمد فهزمهم وسار عن غَرشِستان، واستمد ابنه أبا علي من الصغانيان، فأمده بجيش، وسار محمد بن المظفر إلى بلخ، وبها منصور بن قراتكين، فالتقيا، واقتتلا قتالاً شديداً، (٢١١/٨) فانهزم منصور إلى الجَوزَجان، وسار محمد إلى الصغانيان، فاجتمع بولده، وكتب إلى السعيد بخبره، فسرّه ذلك وولاه بلخ، وطُخارستان واستقدمه، فولاهما محمدٌ ابنه أبا علي أحمد، وأنفذه إليهما، ولحق محمد بالسعيد، فاجتمع به ببلخ رستاق، وهو في أثر يحيى وهو بهراة.

وكان يحيى قد سار إلى نيسابور، وبها ماكان بن كالي، فمنعه عنها، ونزلوا عليها، فلم يظفروا بها، وكان مع يحيى محمد بن إلياس، فاستأمن إلى ماكان، واستأمن منصور وإبراهيم أخو يحيى إلى السعيد نصر، فما قارب السعيد هراة، وبها يحيى وقراتكين، سارا عن هراة إلى بلخ، فاحتال قراتكين ليصرف السعيد عن نفسه، فأنفذ يحيى من بلخ إلى بخارى، وأقام هو ببلخ، فعطف السعيد إلى بخارى، فلما عبر النهر هرب يحيى من بخارى إلى سمرقند، ثم عاد من سمرقند ثانياً، فلم يعاونه قراتكين، فسار إلى نيسابور، وبها محمد بن إلياس قد قوي أمره، وسار عنها ماكان إلى جُرجان، ووافقه محمد بن إلياس، وخطب له، وأقاموا بنيسابور.

وكان السعيد في أثر يحيى لا يمكنه من الاستقرار، فلما بلغهم خبر مجيء السعيد إلى نيسابور تفرّقوا، فخرج ابن إلياس إلى كَرمان وأقام بها، وخرج قراتكين ومعه يحيى إلى بُست والرُّخّج، فأقاما بها، ووصل نصر بن أحمد نيسابور في سنة عشرين وثلاثمائة، فأنفذ إلى قراتكين، (٢١٢/٨) وولاه بلخ، وبذل الأمان ليحيى، فجاء إليه، وزالت الفتنة، وانقطع الشر وكان قد دام هذه المدّة كلها.

وأقام السعيد بنيسابور إلى أن حضر عنده يحيى، فأكرمه، وأحسن إليه، ثم مضى بها لسبيله هو وأخوه أبو صالح منصور، فلما رأى أخوهما إبراهيم ذلك هرب من عند السعيد إلى بغداد، ثم منها إلى الموصل، وسيأتي خبره إن شاء اللّه تعالى.

وأما قراتكين فإنه مات ببُست، ونُقل إلى اسبيجاب، فدفن بها في رباطه المعروف برباط قراتكين، ولم يملك ضيعة قط، وكان يقول: ينبغي للجندي أن يصحبه كل ما ملك أين سار، حتى لا يعتقله شيء.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة، منتصف المحرم، وقعت فتنة بالموصل بين أصحاب الطعام وبين أهل المربّعة والبزّازين، فظهر أصحاب الطعام عليهم أول النهار، فانضم الأساكفة إلى أهل المربعّة والبزازين فاستظهروا بهم، وقهروا أصحاب الطعام وهزموهم وأحرقوا أسواقهم.

وتتابعت الفتنة بعد هذه الحادثة واجترأ أهل الشر، وتعاقد أصحاب الخلقان والأساكفة على أصحاب الطعام واقتتلوا قتالاً شديداً دام بينهم (٢١٣/٨) ثم ظفر أصحاب الطعام فهزموا الأساكفة ومن معهم، وأحرقوا سوقهم، وقتلوا منهم، وركب أمير الموصل وهو الحسن بن عبد اللّه بن حمدان الذي لُقب بعد بناصر الدولة ليسكن الناس فلم يسكنوا ولا كفوا، ثم دخل بينهم ناس من العلماء وأهل الدين، فأصلحوا بينهم.

وفيها وقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المَرْوَزيّ الحنبليّ وبين غيرهم من العامة، ودخل كثير من الجند فيها؛ وسبب ذلك أن أصحاب المَرْوَزيّ قالوا في تفسير قوله تعالى ﴿عسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْموداً﴾[الإسراء: ٧٩]؛ هو أن اللّه سبحانه يُقعد النبيَّ ﷺ، معه على العرش؛ وقالت الطائفة الأخرى: إنّما هو الشفاعة، فوقعت الفتنة واقتتلوا، فقُتل بينهم قتلى كثيرة.

وفيها ضعفت الثغور الجزرية عن دفع الروم عنهم، منها مَلَطية وميافارقين وآمد وأرزن وغيرها، وعزموا على طاعة ملك الروم والتسليم إليه لعجز الخليفة المقتدر باللّه عن نصرهم، وأرسلوا إلى بغداد يستأذنون في التسليم، ويذكرون عجزهم، ويستمدون العساكر لتمنع عنهم، فلم يحصلوا على فائدة، فعادوا.

وفيها قلّد القاضي أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن حماد بن زيد قضاء القضاة.

وفيها قلّد ابنا رائق شرطة بغداد مكان نازوك.

(٢١٤/٨) وفيها مات أحمد بن منيع، وكان مولده سنة أربع عشرة ومائتين.

وفيها أقرّ المقتدر باللّه ناصر الدولة الحسن بن أبي الهيجاء

عبد اللّه بن حمدان على ما بيده من أعمال قَرْدى وبازَبْدَى، وعلى أقطاع أبيه وضياعه.

وفيها قلّد تحرير الصغير أعمال الموصل، فسار إليها، فمات بها في هذه السنة، ووليها بعده ناصر الدولة الحسن بن عبد اللّه بن حمدان المحرّم من سنة ثماني عشرة وثلاثمائة.

وفيها سار حاج العراق إلى مكة على طريق الشام فوصلوا إلى الموصل أول شهر رمضان، ثم منها إلى الشام، لانقطاع الطريق بسبب القُرمطي، وكانت كسوة الكعبة مع ابن عبدوس الجهشياري لأنه كان من أصحاب الوزير.

وفيها، في شعبان، ظهر بالموصل خارجي يُعرف بابن مطر، وقصد نصيبين، فسار إليها ناصر الدولة بن حمدان فقاتله فأسره. وظهر فيها أيضاً خارجي اسمه محمد بن صالح بالبوازيج، فسار إليه أبو السرايا نصر بن حمدان، فأخذه أيضاً.

وفيها التقى مفلح الساجي والدُّمُستُق، فاقتتلا، فانهزم الدمستق ودخل مفلح وراءه إلى بلاد الروم.

وفيها، آخر ذي القعدة، انقض كوكب عظيم، وصار له ضوء عظيم جداً.

وفيها هبت ريح شديدة، وحملت رملاً أحمر شديد الحمرة، فعمّ (٢١٥/٨) جانبي بغداد، وامتلأت منه البيوت والدروب؛ يشبه رمل طريق مكة.

وفيها توفّي أبو بكر أحمد بن الحسن بن الفرج بن سقير النحويّ، كان عالماً بمذهب الكوفيّين، وله فيها تصانيف.(٢١٦/٨)

سنة ثماني عشرة وثلاثمائة

ذكر هلاك الرجالة المصافية

في هذه السنة، في المحرم هلك الرجالة المصافية، وأخرجوا من بغداد بعد ما عظم شرّهم وقوي أمرهم.

وكان سبب ذلك أنهم لما أعادوا المقتدر إلى الخلافة، على ما ذكرناه، زاد إدلالهم واستطالتهم، وصاروا يقولون أشياء لا يحتملها الخلفاء، منها أنهم يقولون: من أعان ظالماً سلّطه اللّه عليه، ومن يُصعد الحمار إلى السطح يقدر يحطه، وإن لم يفعل المقتدر معنا ما نستحقه، قاتلناه بما يستحق، إلى غير ذلك.

وكثر شغبهم ومطالبتهم، وأدخلوا في الأرزاق أولادهم، وأهليهم، ومعارفهم، وأثبتوا أسماءهم فصار لهم في الشهر مائة ألف وثلاثون ألف دينار.

واتفق أن شغب الفرسان في طلب أرزاقهم، فقيل لهم: إن بيت المال فارغ وقد انصرفت الأموال إلى الرجّالة، فثار بهم الفرسان، فاقتتلوا، فقُتل من الفرسان جماعة، واحتجّ المقتدر بقتلهم على الرجالة، وأمر محمد بن ياقوت فركب، وكان قد استعمل على الشرطة، فطرد الرجالة عن دار المقتدر، ونودي فيهم بخروجهم عن بغداد، ومن أقام قُبض عليه وحُبس؛ وهُدمت دور زعمائهم، وقُبضت أملاكهم، وظفر، بعد النداء، بجماعة منهم، (٢١٧/٨) فضربهم، وحلق لحاهم، وشهر بهم.

وهاج السودان تعصباً للرجالة، فركب محمد أيضاً في الحجرية، وأوقع بهم، وأحرق منازلهم، فاحترق فيها جماعة كثيرة منهم، ومن أولادهم، ومن نسائهم، فخرجوا إلى واسط، فاجتمع بها منهم جمع كثير، وتغلبوا عليها، وطرحوا عامل الخليفة، فسار إليهم مؤنس، فأوقع بهم، وأكثر القتل فيهم، فلم تقم لهم بعدها راية.

ذكر عزل ناصر الدولة بن حمدان عن الموصل وولاية عمّيه سعيد ونصر

في هذه السنة، في ربيع الأول، عزل ناصر الدولة الحسن بن عبد اللّه بن حمدان عن الموصل، ووليها عمّاه سعيد ونصر ابنا حمدان، وولي ناصر الدولة ديار ربيعة، ونصيبين، وسِنجار، والخابور، ورأس عين، ومعها، من ديار بكر، ميّافارقين وأرزن، ضمن ذلك بمال مبلغه معلوم، فسار إليها، ووصل سعيد إلى الموصل في ربيع الآخر. (٢١٨/٨)

ذكر عزل ابن مقلة ووزارة سليمان بن الحسن

وفي هذه السنة عُزل الوزير أبو علي محمد بن مقلة من وزارة الخليفة.

وكان سبب عزله أن المقتدر كان يتهمه بالميل إلى مؤنس المظفر، وكان المقتدر مستوحشاً من مؤنس، ويُظهر له الجميل، فاتفق أن مؤنساً خرج إلى أوانا، وعُكبرا، فركب ابن مقلة إلى دار المقتدر آخر جمادى الأولى، فقُبض عليه.

وكان بين محمد بن ياقوت وبين ابن مقلة عداوة، فأنفذ إلى داره، بعد أن قبض عليه، وأحرقها ليلاً.

وأراد المقتدر أن يستوزر الحسين بن القاسم بن عبد اللّه، وكان مؤنس قد عاد فأنفذ إلى المقتدر مع علي بن عيسى يسأل أن يُعاد ابن مقلة، فلم يجب المقتدر إلى ذلك، وأراد قتل ابن مقلة، فرده عن ذلك، فسأل مؤنس أن لا يستوزر الحسين، فتركه، واستوزر سليمان بن الحسن منتصف جمادى الأولى، وأمر المقتدر باللّه علي بن عيسى بالاطلاع على الدواوين، وأن لا ينفرد سليمان

عنه بشيء، وصودر أبو علي بن مقلة بمائتي ألف دينار، وكانت مدة وزارته سَنَتَيْن وأربعة أشهر وثلاثة أيام. (٢١٩/٨)

ذكر القبض على أولاد البريدي

كان أولاد البريدي، وهم أبو عبد اللّه، وأبو يوسف، وأبو الحسين، قد ضمنوا الأهواز، كما تقدم، فلما عُزل الوزير ابن مقلة كتب المقتدر بخط يده إلى أحمد بن نصر القشوري الحاجب يأمره بالقبض عليهم، ففعل، وأودعهم عنده في داره. ففي بعض الأيام سمع ضجة عظيمة، وأصواتاً هائلة، فسأل: ما الخبر؟ فقيل: إن الوزير قد كتب بإطلاق بني البريدي، وأنفذ إليه أبو عبد اللّه كتاباً مزوّراً يأمر فيه بإطلاقهم، وإعادتهم إلى أعمالهم، فقال لهم أحمد: هذا كتاب الخليفة بخطه، يقول فيه: لا تطلقهم حتى يأتيك كتاب آخر بخطي.

ثم ظهر أن الكتاب مزوّر، ثم أنفذ المقتدر فاستحضرهم إلى بغداد، وصودروا على أربعمائة ألف دينار، وكان لا يطمع فيها منهم، وإنما طلب منهم هذا القدر ليجيبوا إلى بعضه، فأجابوا إليه جميعه ليتخلصوا ويعودوا إلى عملهم. (٢٢٠/٨)

ذكر خروج صالح والأغر

وفي هذه السنة، في جمادى الأولى، خرج خارجيٌّ من بجيلة، من أهل البوازيج، اسمه صالح بن محمود، وعبر إلى البريّة، واجتمع إليه جماعة من بني مالك، وسار إلى سِنجار فأخذ من أهلها مالاً، فلقيه قوافل، فأخذ عُشرها، وخطب بسنجار، فذكّر بأمر اللّه، وحذر، وأطال في هذا، ثم قال: نتولى الشيخين، ونبرأ من الخبيثَين، ولا نرى المسح على الخفّين.

وسار منها إلى الشجاجية، من أرض الموصل، فطالب أهلها وأهل أعمال الفَرَج بالعشر، وأقام أياماً، وانحدر إلى الحديثة، تحت الموصل، فطالب المسلمين بزكاة أموالهم، والنصارى بجزية رؤوسهم، فجرى بينهم حرب، فقتل من أصحابه جماعة، ومنعوه من دخولها، فأحرق لهم ست عروب، وعبر إلى الجانب الغربي، وأسر أهل الحديثة ابناً لصالح اسمه محمد، فأخذه نصر بن حمدان بن حمدون، وهو الأمير بالموصل، فأدخله إليها، ثم سار صالح إلى السن، فصالحه أهلها على مال أخذه منهم، وانصرف إلى البوازيج، وسار منها إلى تل خوسا، قرية من أعمال الموصل عند (٢٢١/٨) الزاب الأعلى، وكاتب أهل الموصل في أمر ولده، وتهددهم إن لم يردوه إليه، ثم رحل إلى السلاميّة، فسار إليه نصر بن حمدان لخمس خلون من شعبان من هذه السنة، ففارقها صالح إلى البروازيج، فطلبه نصر، فأدركه بها، فحاربه حرباً شديدة قُتل فيها من رجال صالح نحو مائة رجل، وقُتل من أصحاب نصر جماعة، وأُسر صالح ومعه ابنان له، وأُدخلوا إلى الموصل، وحملوا إلى بغداد فأُدخلوا مشهورين.

وفيها، في شعبان، خرج بأرض الموصل خارجيٌّ اسمه الأغر بن مطرة الثعلبي، وكان يذكر أنه من ولد عتاب بن كلثوم الثعلبي أخي عمرو بن كلثوم الشاعر، وكان خروجه بنواحي رأس العين، وقصد كفرتوثا وقد اجتمع معه نحو ألفي رجل، فدخلها ونهبها وقتل فيها.

وسار إلى نَصيبين، فنزل بالقرب منها، فخرج إليه وإليها ومعه جمع من الجند ومن العامة، فقاتلوه، فقتل الشاري منهم مائة رجل، وأسر ألف رجل، فباعهم نفوسهم، وصالحه أهل نصيبين على أربعمائة ألف درهم.

وبلغ خبره ناصر الدولة بن حمدان، وهو أمير ديار ربيعة، فسير إليه جيشاً، فقاتلوه، فظفروا به وأسروه، وسيّره ناصر الدولة إلى بغداد. (٢٢٢/٨)

ذكر مخالفة جعفر بن أبي جعفر وعوده

كان جعفر بن أبي جعفر بن أبي داود مقيماً بالخَتّل، والياً عليها للسامانية، فبدت منه أمور نُسب بسببها إلى الاستعصاء، فكوتب أبو علي أحمد بن محمد بن المظفر بقصده، فسار إليه، وحاربه، فقبض عليه، وحمله إلى بخارى، وذلك قبل مخالفة أبي زكريا يحيى فلمّا حمل الى بخاري حُبس فيها، فلماّ خالف أبو زكريا يحيى أخرجه من الحبس وصحبه، ثم استأذنه في العود إلى ولاية الخَتّل وجمع الجيوش له بها، فأذن له فسار إليها، وأقام بها، وتمسك بطاعة السعيد نصر بن أحمد، فصلح حاله، وذلك سنة ثماني عشرة وثلاثمائة.

(الخَتّل بالخاء المعجمة والتاء فوقها نقطتان والخاء مضمومة والتاء مشددة مفتوحة).

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة شغب الفرسان، وتهددوا بخلع الطاعة، فأحضر المقتدر قوّادهم بين يديه، ووعدهم الجميل، وأن يطلق أرزاقهم في الشهر المقبل، (٢٢٣/٨) فسكنوا ثم شغب الرجالة، فأطلقت أرزاقهم.

وفيها خلع المقتدر على ابنه هارون، وركب معه الوزير، والجيش، وأعطاه ولاية فارس وكرمان وسِجستان ومكران.

وفيها أيضاً خلع على ابنه أبي العباس، وأقطعه بلاد الغرب، ومصر، والشام، وجعل مؤنساً المظفر يخلفه فيها.

وفيها صُرف ابنا رائق عن الشرطة، وقلدها أبو بكر محمد بن ياقوت.

وفيها وقعت فتنة بنصيبين بين أهل باب الروم والباب الشرقي، واقتتلوا قتالاً شديداً، وأدخلوا إليهم قوماً من العرب والسواد، فقتل بينهم جماعة، وأحرقت المنازل والحوانيت، ونُهبت الأموال، ونزل بهم قافلة عظيمة تريد الشام، فنهبوها.

وفيها توفي يحيى بن محمد بن صاعد البغدادي وكان عمره تسعين سنة، وهو من فضلاء المحدثين، والقاضي أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي الفقيه الحنفي، وكان عالماً بالأدب ونحو الكوفيين، وله شعر حسن. (٢٢٤/٨)

سنة تسع عشرة وثلاثمائة

ذكر تجدد الوحشة بين مؤنس والمقتدر

في هذه السنة تجددت الوحشة بين مؤنس المظفر وبين المقتدر بالله.

وكان سببها أن محمد بن ياقوت كان منحرفاً على الوزير سليمان، ومائلاً إلى الحسين بن القاسم، وكان مؤنس يميل إلى سليمان، بسبب علي بن عيسى، وثقتهم به، وقوي أمر محمد بن ياقوت، وقلد، مع الشرطة، الحسبة، وضم إليهم رجالاً، فقوي بهم، فعظم ذلك على مؤنس، وسأل المقتدر صرف محمد عن الحسبة، وقال: هذا شغل لا يجوز أن يتولاه غير القضاة والعدول؛ فأجابه المقتدر.

وجمع مؤنس إليه أصحابه، فلما فعل ذلك جمع ياقوت وابنه الرجال في دار السلطان، وفي دار محمد بن ياقوت، وقيل لمؤنس: إن محمد بن ياقوت قد عزم على كبس دارك ليلاً؛ ولم يزل به أصحابه حتى أخرجوه إلى باب الشمّاسيّة فضربوا مضاربهم هناك، وطالب المقتدر بصرف ياقوت عن الحسبة وصرف ابنه عن الشرطة، وإبعادهما عن الحضرة، فأُخرجا إلى المدائن. (٢٢٥/٨)

وقلد المقتدر ياقوتاً أعمال فارس وكرمان، وقلد ابنه المظفر بن ياقوت أصبهان، وقلد أبا بكر محمد بن ياقوت سِجستان، وتقلد ابنا رائق إبراهيم ومحمد مكان ياقوت وولده الحسبة والشرطة، وأقام ياقوت بشيراز مدة.

وكان علي بن خلف بن طياب ضامناً أموال الضياع والخراج بها، فتضافرا، وتعاقدا، وقطعا الحمل على المقتدر، إلى أن ملك علي بن بُوَيه الديلمي بلاد فارس سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

ذكر قبض الوزير سليمان ووزارة أبي القاسم الكلوذاني

وفي هذه السنة قبض المقتدر على وزيره سليمان بن الحسن.

وكان سبب ذلك أن سليمان ضاقت الأموال عليه إضاقة شديدة، وكثرت عليه المطالبات، ووقفت وظائف السلطان، واتصلت رقاع مَن يُرشّح نفسه للوزارة بالسعاية به، والضمان بالقيام بالوظائف، وأرزاق الجند، وغير ذلك، فقبض عليه، ونقله إلى داره.

وكان المقتدر كثير الشهوة لتقليد الحسين بن القاسم الوزارة، فامتنع مؤنس من ذلك، وأشار بوزارة أبي القاسم الكلوذاني، فاضطر المقتدر إلى ذلك، فاستوزره لثلاث بقين من رجب، فكانت وزارة سليمان سنة واحدة وشهرين، (٢٢٦/٨) وكانت وزارته غير متمكنة أيضاً، فإنه كان علي بن عيسى معه على الدواوين وسائر الأمور،وأُفرد علي بن عيسى عنه بالنظر في المظالم، واستعمل على ديوان السواد غيره، فانقطعت مواد الوزير، فإنه كان يقيم من قبله من يشتري توقيعات أرزاق جماعة لا يمكنهم مفارقة ما هم عليه بصدده من الخدمة، فكان يعطيهم نصف المبلغ، وكذلك إدرارات الفقهاء وأرباب البيوت إلى غير ذلك.

وكان أبو بكر بن قرابة منتمياً إلى مُفلح الخادم، فأوصله إلى المقتدر، فذكر له أنه يعرف وجوه مرافق الوزراء، فاستعمله عليها ليصلحها للخليفة، فسعى في تحصيل ذلك من العمال، والضُمّان، والتُنّاء وغيرهم، فأخلق بذلك الخلافة، وفضح الديوان، ووقفت أحوال الناس، فإن الوزراء وأرباب الولايات لا يقومون بأشغال الرعايا والتعب معهم إلا لرفق يحصل لهم، وليس لهم من الدين ما يحملهم على النظر في أحوالهم، فإنه بعيد منهم، فإذا منعوا تلك المرافق تركوا الناس يضطربون، ولا يجدون مَن يأخذ بأيديهم، ولا يقضي حوائجهم، فإني قد رأيت هذا عياناً في زماننا هذا، وفات به من المصالح العامة والخاصة ما لا يحصى. (٢٢٧/٨)

ذكر الحرب بين هارون وعسكر مرداويج

قد ذكرنا فيما تقدم قتل أسفار وملك مرداويج، وأنه استولى على بلد الجبل والرّي وغيرهما، وأقبلت الديلم إليه من كل ناحية لبذله وإحسانه إلى جنده، فعظمت جيوشه، وكثرت عساكره، وكثر الخرج عليه، فلم يكفه ما في يده، ففرق نوابه في النواحي المجاورة له.

فكان ممن سيّره إلى همذان ابن أخت له في جيش كثير، وكان بها أبو عبد الله محمد بن خلف في عسكر الخليفة، فتحاربوا حروباً كثيرة، وأعان أهل همذان عسكر الخليفة، فظفروا بالديلم، وقُتل ابن أخت مرداويج، فسار مرداويج من الرّي إلى همذان، فلما سمع أصحاب الخليفة بمسيره انهزموا من همذان، فجاء إلى همذان، ونزل على باب الأسد، فتحصن منه أهلها، فقاتلهم، فظفر بهم وقتل منهم خلقاً كثيراً، وأحرق وسبي، ثم رفع السيف عنهم وأمّن بقيتهم.

فأنفذ المقتدر هارون بن غريب الخال في عساكر كثيرة إلى

محاربته، فالتقوا بنواحي همذان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم هارون وعسكر الخليفة، واستولى مرداويج على بلاد الجبل جميعها، وما وراء همذان، وسيّر قائداً كبيراً من أصحابه يُعرف بابن علاّن القزويني إلى الدِّينور، ففتحها بالسيف، وقتل كثيراً من أهلها، وبلغت عساكره إلى نواحي حُلوان، فغنمت، ونهبت، وقتلت، وسبت الأولاد والنساء، وعادوا إليه. (٢٢٨/٨)

ذكر ما فعله لشكري من المخالفة

كان لشكري الديلمي من أصحاب أسفار، واستأمن إلى الخليفة، فلما انهزم هارون بن غريب من مرداويج سار معه إلى قَرميسين، وأقام هارون بها، واستمد المقتدر ليعاود محاربة مرداويج، وسيّر هارون لشكري هذا إلى نهاوند لحمل مال بها إليه، فلما صار لشكري بنهاوند، ورأى غنى أهلها طمع فيهم، وصادرهم على ثلاثة آلاف ألف درهم، واستخرجها في مدة أسبوع، وجند بها جنداً، ثم مضى إلى أصبهان هارباً من هارون في الجند الذين انضموا عليه في جمادى الآخرة.

وكان الوالي على أصبهان حينئذ أحمد بن كَيغَلغ، وذلك قبل استيلاء مرداويج عليها، فخرج إليه أحمد فحاربه، فانهزم أحمد هزيمة قبيحة، وملك لشكري أصبهان، ودخل أصحابه إليها، فنزلوا في الدور والخانات وغيرها ولم يدخل لشكري معهم؛ ولما انهزم أحمد نجا إلى بعض قرى أصبهان في ثلاثين فارساً، وركب لشكري يطوف بسور أصبهان من ظاهره، فنظر إلى أحمد في جماعته، فسأل عنه فقيل: لا شك أنه من أصحاب أحمد بن كَيغَلغ، فسار فيمن معه من أصحابه نحوهم، وكانوا عدة يسيرة، فلما (٢٢٩/٨) قرب منهم تعارفوا، فاقتتلوا، فقُتل لشكري، قتله أحمد بن كيغلغ، ضربه بالسيف على رأسه، فقد المغفر والخوذة، ونزل السيف حتى خالط دماغه، فسقط ميتاً.

وكان عمر أحمد إذ ذاك قد جاوز السبعين؛ فلما قتل لشكري انهزم مَن معه، فدخلوا أصبهان، وأعلموا أصحابهم، فهربوا على وجوههم، وتركوا أثقالهم وأكثر رحالهم، ودخل أحمد إلى أصبهان، وكان هذا قبل استيلاء مرداويج على أصبهان؛ وكان هذا من الفتح الظريف، وكان جزاؤه أن صُرف عن أصبهان، ووليَ عليها المظفر بن ياقوت.

ذكر ملك مرداويج أصبهان

ثم أنفذ مرداويج طائفة أخرى إلى أصبهان، فملكوها واستولوا عليها، وبنوا له بها مساكن أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلف العجلي، والبساتين، فسار مرداويج إليها فنزلها وهو في أربعين ألفاً، وقيل خمسين ألفاً، وأرسل جمعاً آخر إلى الأهواز، فاستولوا عليها وعلى خوزستان، وجبوا أموال هذه البلاد والنواحي، وقسمها في أصحابه، وجمع منها الكثير فاذخره.

ثم إنه أرسل إلى المقتدر رسولاً يقرر على نفسه مالاً على هذه البلاد كلها، ونزل للمقتدر عن همذان وماه الكوفة، فأجابه المقتدر إلى ذلك، وقوطع على مائتي ألف دينار كل سنة. (٢٣٠/٨)

ذكر عزل الكلوذاني ووزارة الحسين بن القاسم

في هذه السنة عُزل أبو القاسم الكلوذاني عن وزارة الخليفة ووزر الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب.

وكان سبب ذلك أنه كان ببغداد إنسان يُعرف بالدانيالي، وكان زرّاقاً، ذكياً محتالاً، وكان يعتّق الكاغد، ويكتب فيه بخطه ما يشبه الخط العتيق، ويذكر فيه إشارات ورموزاً يودعها أسماء أقوام من أرباب الدولة، فيحصل له بذلك رفق كثير.

فمن جملة ما فعله أنه وضع في جملة كتاب: ميم ميم ميم، يكون منه كذا وكذا، وأحضره عند مفلح، وقال: هذا كناية عنك، فإنك مفلح مولى المقتدر، وذكر له علامات تدل عليه، فأغناه، فتوصل الحسين بن القاسم معه، حتى جعل اسمه في كتاب وضعه، وعتّقه، وذكر فيه علامة وجهه، وما فيه من الآثار، ويقول إنه يزر للخليفة الثامن عشر من خلفاء بني العباس، وتستقيم الأمور على يديه، ويقهر الأعادي، وتتعمر الدنيا في أيامه، وجعل هذا كله في جملة كتاب ذكر فيه حوادث قد وقعت، وأشياء لم تقع بعد، ونسب ذلك إلى دانيال، وعتّق الكتاب وأخذه وقرأه على مفلح، فلما رأى ذلك أخذ الكتاب وأحضره عند المقتدر وقال له: أتعرف في الكتّاب (٢٣١/٨) من هو بهذه الصفة؟ فقال: ما أعرفه إلا الحسين بن القاسم؛ فقال: صدقت وإن قلبي ليميل إليه، فإنجاءك منه رسول برقعة فاعرضها علي، واكتم حاله ولا تطلع على أمره أحداً.

وخرج مفلح إلى الدانيالي فسأله: هل تعرف أحداً من الكتاب بهذه الصفة؟ فقال: لا أعرف أحداً؛ قال: فمن أين وصل إليك هذا الكتاب؟ فقال: من أبي، وهو ورثه من آبائه، وهو من ملاحم دانيال، عليه السلام؛ فأعاد ذلك على المقتدر، فقبله، فعرّف الدانيالي ذلك الحسين بن القاسم، فلما أعلمه كتب رقعة إلى مفلح، فأوصلها إلى المقتدر، ووعده الجميل، وأمره بطلب الوزارة وإصلاح مؤنس الخادم، فكان ذلك من أعظم الأسباب في وزارته مع كثرة الكارهين له.

ثم اتفق أن الكلوذاني عمل حسبةً بما يحتاج إليه من النفقات، وعليها خط أصحاب الديوان، فبقي محتاجاً إلى سبعمائة ألف دينار، وعرضها على المقتدر، وقال: ليس لهذه جهة إلا ما يطلقه أمير المؤمنين لأنفقه؛ فعظم ذلك على المقتدر.

وكتب الحسين بن القاسم لما بلغه ذلك يضمن جميع النفقات، ولا يطالبه بشيء من بيت المال، وضمن أنه يستخرج

سوى ذلك ألف ألف دينار يكون في بيت المال، فعُرضت رقعته على الكلوذاني فاستقال، وأذن في وزارة (٢٣٢/٨) الحسين، ومضى الحسين إلى بُليق، وضمن له مالاً ليصلح له قلب مؤنس، ففعل، فعُزل الكلوذاني في رمضان، وتولى الحسين الوزارة لليلتين بقيتا من رمضان أيضاً، وكانت ولاية الكلوذاني شهرين وثلاثة أيام، واختص بالحسين بنو البريدي وابن قَرابة، وشرط أن لا يطلع معه علي بن عيسى، فأجيب إلى ذلك، وشرع في إخراجه من بغداد، فأجيب إلى ذلك، فأخرج إلى الصافية.

ذكر تأكد الوحشة بين مؤنس والمقتدر

في هذه السنة، في ذي الحجة، تجددت الوحشة بين مؤنس والمقتدر، حتى آل ذلك إلى قتل المقتدر.

وكان سببها ما ذكرنا أولاً في غير موضع، فلما كان الآن بلغ مؤنساً أن الوزير الحسين بن القاسم قد وافق جماعة من القواد في التدبير عليه، فتنكر له مؤنس، وبلغ الحسين أن مؤنساً قد تنكر له، وأنه يريد أن يكبس داره ليلاً ويقبض عليه، فتنقل في عدة مواضع، وكان لا يحضر داره إلا بُكرة، ثم إنه انتقل إلى دار الخلافة، فطلب مؤنس من المقتدر عزل الحسين ومصادرته، فأجاب إلى عزله ولم يصادره، وأمر الحسين بلزوم بيته، فلم يقنع مؤنس بذلك فبقي في وزارته.

وأوقع الحسين عند المقتدر أن مؤنساً يريد أخذ ولده أبي العباس، وهو (٢٣٣/٨) الراضي، من داره بالمحرم، والمسير به إلى الشام، والبيعة له، فرده المقتدر إلى دار الخلافة، فعلم ذلك أبو العباس؛ فلما أفضت الخلافة إليه فعل بالحسين ما نذكر.

وكتب الحسين إلى هارون، وهو بدير العاقول، بعد انهزامه من مرداويج، ليستقدمه إلى بغداد، وكتب إلى محمد بن ياقوت، وهو بالأهواز، يأمره بالإسراع إلى بغداد، فزاد استشعار مؤنس، وصح عنده أن الحسين يسعى في التدبير عليه، وسنذكر تمام أمره سنة عشرين وثلاثمائة.

ذكر الحروب بين المسلمين والروم

في هذه السنة، في ربيع الأول، غزا ثمل والي طرسوس بلاد الروم، فعبر نهراً، ونزل عليهم ثلجٌ إلى صدور الخيل، وأتاهم جمع كثير من الروم، فواقعوهم، فنصر الله المسلمين، فقتلوا من الروم ستمائة، وأسروا نحواً من ثلاثة آلاف، وغنموا من الذهب والفضة والديباج وغيره شيئاً كثيراً.

وفيها في رجب عاد ثمل إلى طرسوس، ودخل بلاد الروم صائفة في جمع كثير من الفارس والراجل، فبلغوا عمّورية، وكان قد تجمّع إليها (٢٣٤/٨) كثير من الروم، ففارقوها لما سمعوا خبر ثمل، ودخلها المسلمون، فوجدوا فيها من الأمتعة والطعام شيئاً كثيراً فأخذوه، وأحرقوا ما كانوا عمّروه منها، وأوغلوا في بلاد الروم ينهبون، ويقتلون، ويخرّبون، حتى بلغوا أنقرة، وهي التي تسمى الآن أنكورية، وعادوا سالمين لم يلقوا كيداً، فبلغت قيمة السبي مائة ألف دينار وستة وثلاثين ألف دينار، وكان وصولهم إلى طرسوس آخر رمضان.

وفيها كاتب ابن الديراني وغيره من الأرمن، وهم بأطراف أرمينية، الروم، وحثوهم على قصد بلاد الإسلام، ووعدوهم النصرة، فسارت الروم في خلق كثير، فخربوا بزكرى وبلاد خلاط وما جاورها، وقُتل من المسلمين خلق كثير، وأسروا كثيراً منهم، فبلغ خبرهم مُفلحاً، غلام يوسف بن أبي الساج، وهو والي أذربيجان، فسار في عسكر كبير، وتبعه كثير من المتطوعة إلى أرمينية، فوصلها في رمضان، وقصد بلد ابن الديراني ومن وافقه لحربه، وقتل أهله، ونهب أموالهم، وتحصن ابن الديراني بقلعة له، وبالغ الناس في كثرة القتلى من الأرمن، حتى قيل إنهم كانوا مائة ألف قتيل، والله أعلم.

وسار عساكر الروم إلى سُمَيساط فحصروها، فاستصرخ أهلها (٢٣٥/٨) بسعيد بن حمدان، وكان المقتدر قد ولاه الموصل وديار ربيعة، وشرط عليه غزو الروم، وأن يستنفذ مَلَطية منهم، وكان أهلها قد ضعفوا، فصالحوا الروم، وسلّموا مفاتيح البلد إليهم، فحكموا على المسلمين، فلما جاء رسول أهل سُميساط إلى سعيد بن حمدان تجهز وسار إليهم مسرعاً، فوصل وقد كاد الروم يفتحونها، فلما قاربهم هربوا منه، وسار منها إلى مَلَطية وبها جمع من الروم ومن عسكر مليح الأرمني ومعهم بنّي بن نفيس، صاحب المقتدر، وكان قد تنصر، وهو مع الروم، فلما أحسوا بإقبال سعيد خرجوا منها، وخافوا أن يأتيهم سعيد في عسكره من خارج المدينة، ويثور أهلها بهم فيهلكوا، ففارقوها.

ودخلها سعيد ثم استخلف عليها أميراً، وعاد عنها، فدخل بلد الروم غازياً في شوال، وقدّم بين يديه سَريّتين فقتلتا من الروم خلقاً كثيراً قبل دخوله إليها.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة، في شوال، جاء إلى تكريت سيل كبير من المطر نزل في البر، فغرق منها أربعمائة دار ودكان، وارتفع الماء في أسواقها أربعة (٢٣٦/٨) عشر شبراً، وغرق خلق كثير من الناس ودفن المسلمون والنصارى مجتمعين لا يُعرف بعضهم من بعض.

وفيها هاجت بالموصل ريح شديدة فيها حمرة شديدة، ثم اسودت حتى لا يعرف الإنسان صاحبه، وظن الناس أن القيامة قد قامت، ثم جاء الله تعالى بمطر فكشف ذلك.

وفيها توفي أبو القاسم عبد اللّه بن أحمد بن محمود البلخي في شعبان، وهو من متكلمي المعتزلة البغداديين. (٢٣٧/٨)

سنة عشرين وثلاثمائة

ذكر مسير مؤنس إلى الموصل

في هذه السنة، في المحرم، سار مؤنس المظفر إلى الموصل مغاضباً للمقتدر.

وسبب مسيره أنه لما صح عنده إرسال الوزير الحسين بن القاسم إلى هارون بن غريب ومحمد بن ياقوت يستحضرهما، زاد استيحاشه، ثم سمع بأن الحسين قد جمع الرجال والغلمان الحجرية في دار الخليفة، وقد اتفق فيهم، وأن هارون بن غريب قد قرب من بغداد، فأظهر الغضب، وسار نحو الموصل ووجّه خادمه بُشرى برسالة إلى المقتدر، فسأله الحسين عن الرسالة، فقال: لا أذكرها إلا لأمير المؤمنين؛ فأنفذ إليه المقتدر يأمره بذكر ما معه من الرسالة للوزير، فامتنع، وقال: ما أمرني صاحبي بهذا؛ فسبّه الوزير، وشتم صاحبه، وأمر بضربه، وصادره بثلاثمائة ألف دينار، وأخذ خطه بها، وحبسه ونهب داره.

فلما بلغ مؤنساً ما جرى على خادمه، وهو ينتظر أن يطيب المقتدر قلبه، (٢٣٨/٨) ويعيده، فلما علم ذلك سار نحو الموصل ومعه جميع قوّاده، فكتب الحسين إلى القواد والغلمان يأمرهم بالرجوع إلى بغداد، فعاد جماعة، وسار مؤنس نحو الموصل في أصحابه ومماليكه، ومعه من الساجية ثماني مائة رجل، وتقدم الوزير بقبض أقطاع مؤنس وأملاكه وأملاك مَن معه، فحصل من ذلك مال عظيم، وزاد ذلك في محل الوزير عند المقتدر، فلقّبه عميد الدولة، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وتمكّن من الوزارة، وولى وعزل.

وكان فيمن تولى أبو يوسف يعقوب بن محمد البريدي، ولاه الوزير البصرة وجميع أعمالها بمبلغ لا يفي بالنفقات على البصرة وما يتعلق بها، بل فضل لأبي يوسف مقدار ثلاثين ألف دينار أحاله الوزير بها، فلما علم ذلك الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات استدرك على أبي يوسف، وأظهر له الغلط في الضمان، وأنه لا يمضيه، فأجاب إلى أن يقوم بنفقات البصرة، ويحمل إلى بيت المال كل سنة ثمانين ألف دينار، وانتهى ذلك إلى المقتدر، فحسن موقعه عنده، فقصده الوزير، فاستتر، وسعى بالوزير إلى المقتدر إلى أن أفسد حاله.

ذكر عزل الحسين عن الوزارة

وفيها عُزل الحسين بن القاسم عن الوزارة. وسبب ذلك أنه ضاقت عليه الأموال، وكثرت الإخراجات، فاستسلف في هذه السنة جملة وافرة أخرجها في سنة تسع عشرة [وثلاثمائة]، فأنهى هارون بن غريب ذلك إلى المقتدر، (٢٣٩/٨) فرتب معه الخصيبي، فلما تولى معه نظر في أعماله، فرآه قد عمل حسبة إلى المقتدر ليس فيها عليه وجه، وموّه وأظهر ذلك للمقتدر، فأمر بجمع الكتّاب وكشف الحال، فحضروا، واعترفوا بصدق الخصيبي بذلك، وقابلوا الوزير بذلك، فقُبض عليه في شهر ربيع الآخر، وكانت وزارته سبعة أشهر، واستوزر المقتدر أبا الفتح الفضل بن جعفر، وسلم إليه الحسين، فلم يؤاخذه بإساءته.

ذكر استيلاء مؤنس على الموصل

قد ذكرنا مسير مؤنس إلى الموصل، فلما سمع الحسين الوزير بمسيره كتب إلى سعيد وداود ابني حمدان، وإلى ابن أخيهما ناصر الدولة الحسن بن عبد اللّه بن حمدان، يأمرهم بمحاربة مؤنس، وصده عن الموصل.

وكان مؤنس كتب في طريقه إلى رؤساء العرب يستدعيهم، ويبذل لهم الأموال والخلع، ويقول لهم: إن الخليفة قد ولاه الموصل وديار ربيعة.

واجتمع بنو حمدان على محاربة مؤنس، إلا داود بن حمدان فإنه امتنع من ذلك لإحسان مؤنس إليه، فإنه كان قد أخذه بعد أبيه، وربّاه في حجره، وأحسن إليه إحساناً عظيماً، فلما امتنع من محاربته لم يزل به إخوته حتى وافقهم على ذلك، وذكروا له إساءة الحسين وأبي الهيجاء ابني حمدان(٢٤٠/٨) إلى المقتدر مرة بعد مرة، وأنهم يريدون أن يغسلوا تلك السيئة، ولما أجابهم قال لهم: واللّه إنكم لتحملونني على البغي وكفران الإحسان، وما آمن أن يجيئني سهم عائر فيقع في نحري فيقتلني؛ فلما التقوا أتاه سهم كما وصف فقتله.

وكان مؤنس إذا قيل له: إن داود عازم على قتالك، ينكره ويقول: كيف يقاتلني وقد أخذته طفلاً وربيته في حجري! ولما قرب مؤنس من الموصل كان في ثمانمائة فارس، واجتمع بنو حمدان في ثلاثين ألفاً، والتقوا واقتتلوا، فانهزم بنو حمدان، ولم يُقتل منهم غير داود، وكان يلقّب بالمجفجف وفيه يقول بعض الشعراء وقد هجا أميراً:

لو كنتَ في ألف ألف كلهم بطلٌ ... مثل المُجفجفِ داود بن حمدانِ
وتحتكَ الريحُ تجري حيث تأمرها، ... وفي يمينك سيف غيرُ خوّانِ
لكنتَ أول فرّارٍ إلى عَدَنٍ ... إذا تحرك سيفٌ من خُراسانِ

وكان داود هذا من أشجع الناس، ودخل مؤنس الموصل ثالث صفر، واستولى على أموال بني حمدان وديارهم، فخرج إليه كثير من العساكر من بغداد، والشام، ومصر، من أصناف الناس لإحسانه

[الذي] كان إليهم، وعاد إليه ناصر الدولة بن حمدان، فصار معه، وأقام بالموصل تسعة أشهر، وعزم على الانحدار إلى بغداد. (٢٤١/٨)

ذكر قتل المقتدر

لما اجتمعت العساكر على مؤنس بالموصل قالوا له: اذهب بنا إلى الخليفة، فإن أنصفنا، وأجرى أرزاقنا، وإلا قاتلناه؛ فانحدر مؤنس من الموصل في شوال، وبلغ خبره جند بغداد، فشغبوا وطلبوا أرزاقهم، ففرق المقتدر فيهم أموالاً كثيرة، إلاّ أنه لم يسعهم، وأنفذ أبا العلاء سعيد بن حمدان وصافياً البصري في خيل عظيمة إلى سُرّ من رأى، وأنفذ أبا بكر محمد بن ياقوت في ألفي فارس، ومعه الغلمان الحجرية، إلى المعشوق.

فلما وصل مؤنس إلى تكريت أنفذ طلائعه، فلما قربوا من المعشوق جعل العسكر الذين مع ابن ياقوت يتسللون ويهربون إلى بغداد، فلما رأى ذلك رجع إلى عُكبرا، وسار مؤنس، فتأخر ابن ياقوت وعسكره، وعادوا إلى بغداد، فنزل مؤنس بباب الشّمّاسيّة ونزل ابن ياقوت وغيره مقابلهم، واجتهد المقتدر بابن خاله هارون بن غريب ليخرج، فلم يفعل، وقال: أخاف من عسكري، فإن بعضهم أصحاب مؤنس، وبعضهم قد انهزم أمس من مرداويج، فأخاف أن يسلموني وينهزموا عني؛ فأنفذ إليه الوزير، فلم يزل به حتى أخرجه، وأشاروا على المقتدر بإخراج المال منه ومن والدته ليرضى الجند، ومتى سمع أصحاب مؤنس بتفريق الأموال تفرقوا عنه واضطر إلى الهرب؛ فقال: لم يبق لي ولا لوالدتي جهة شيء.

وأراد المقتدر أن ينحدر إلى واسط، ويكاتب العساكر من جهة البصرة، (٢٤٢/٨) والأهواز، وفارس، وكرمان، وغيرها، ويترك بغداد لمؤنس إلى أن يجتمع عليه العساكر، ويعود إلى قتاله، فرده ابن ياقوت عن ذلك، وزيّن له اللقاء، وقوى نفسه بأن القوم متى رأوه عادوا بأجمعهم إليه، فرجع إلى قوله وهو كاره.

ثم أشار عليه بحضور الحرب، فخرج وهو كاره، وبين يديه الفقهاء، والقراء معهم المصاحف مشهورة، وعليه البردة، والناس حوله، فوقف على تل عال بعيد عن المعركة، فأرسل قواد أصحابه يسألونه التقدم مرة بعد أخرى، وهو واقف، فلما ألحوا عليه تقدم من موضعه، فانهزم أصحابه قبل وصوله إليهم، وكان قد أمر فنودي: مَن جاء بأسير فله عشرة دنانير، ومَن جاء برأس فله خمسة دنانير، فلما انهزم أصحابه لقيه علي بن بُليق، وهو من أصحاب مؤنس، فترجل وقبّل الأرض وقال له: إلى أين تمضي؟ ارجع، فلعن اللّه من أشار عليك بالحضور! فأراد الرجوع، فلقيه قوم من المغاربة والبربر، فتركه علي معهم وسار عنه، فشهروا عليه سيوفهم، فقال: ويحكم أنا الخليفة! فقالوا: قد عرفناك يا سِفْلَةُ، أنت خليفة إبليس، تبذل في كل رأس خمسة دنانير، وفي كلّ أسير عشرة دنانير! وضربه أحدهم بسيفه على عاتقه فسقط إلى الأرض وذبحه بعضهم، فقيل إن علي بن بليق غمز بعضهم فقتله.

وكان المقتدر ثقيل البدن، عظيم الجثة، فلما قتلوه رفعوا رأسه على خشبة وهم يكبرون ويلعنونه، وأخذوا جميع ما عليه حتى سراويله، وتركوه مكشوف العورة إلى أن مر به رجل من الأكرة، فستره بحشيش، ثم حفر (٢٤٣/٨) له موضعه، ودفن، وعفي قبره.

وكان مؤنس في الراشدية لم يشهد الحرب، فلما حُمل رأس المقتدر إليه بكى، ولطم وجهه ورأسه، وقال: يا مفسدون! ما هكذا أوصيتكم؛ وقال: قتلتموه، وكان هذا آخر أمره، واللّه لنقتلن كلنا، وأقل ما في الأمر أنكم تظهرون أنكم قتلتموه خطأ، ولم تعرفوه.

وتقدم مؤنس إلى الشّمّاسيّة، وأنفذ إلى دار الخليفة مَن يمنعها من النهب، ومضى عبد الواحد بن المقتدر، وهارون بن غريب، ومحمد بن ياقوت، وابنا رائق إلى المدائن، وكان ما فعله مؤنس سبباً لجرأة أصحاب الأطراف على الخلفاء وطمعهم فيما لم يكن يخطر لهم على بال، وانخرقت الهيبة وضعف أمر الخلافة حتى صار الأمر إلى ما نَحكيه.

على أن المقتدر أهمل من أحوال الخلافة كثيراً، وحكّم فيها النساء والخدم، وفرط في الأموال، وعزل من الوزراء وولى مما أوجب طمع أصحاب الأطراف والنواب، وخروجهم عن الطاعة.

وكان جملة ما أخرجه من الأموال، تبذيراً وتضييعاً في غير وجه، نيفاً وسبعين ألف ألف دينار، سوى ما أنفقه في الوجوه الواجبة؛ وإذا اعتبرت أحوال الخلافة في أيامه وأيام أخيه المكتفي ووالده المعتضد، رأيت بينهم تفاوتاً بعيداً، وكانت مدة خلافته أربعاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً (٢٤٤/٨) وستة عشر يوماً؛ وكان عمره ثمانياً وثلاثين سنة ونحواً من شهرين.

ذكر خلافة القاهر باللّه

لما قتل المقتدر باللّه عظم قتله على مؤنس، وقال: الرأي أن ننصب ولده أبا العباس أحمد في الخلافة، فإنه تربيتي، وهو صبي عاقل، وفيه دين وكرم، ووفاء بما يقول، فإذا جلس في الخلافة سمحت نفس جدته، والدة المقتدر، وإخوته، وغلمان أبيه ببذل الأموال، ولم ينتطح في قتل المقتدر عنزان؛ فاعترض عليه أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل النُوبختي وقال: بعد الكد والتعب استرحنا من خليفة له أم، وخالة، وخدم يدبرونه، فنعود إلى تلك الحال! واللّه لا نرضى إلا برجل كامل، يدبر نفسه، ويدبرنا. وما زال حتى رد مؤنساً عن رأيه، وذكر له أبو منصور محمد بن المعتضد، فأجابه مؤنس إلى ذلك، وكان النُوبختي في ذلك كالباحث عن حتفه بظلفه، فإن القاهر قتله، كما نذكره ﴿وعَسَىٰ أنْ تُحِبُّوا شيئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُم﴾.[البقرة: ٢١٦]

وأمر مؤنس بإحضار محمد بن المعتضد، فبايعوه بالخلافة لليلتين بقيتا من شوال، ولقبوه القاهر باللّه، وكان مؤنس كارهاً لخلافته، والبيعة له، (٢٤٥/٨) ويقول: إنني عارف بشره، وسوء نيته، ولكن لا حيلة.

ولما بويع استحلفه مؤنس لنفسه ولحاجبه بُليق، ولعلي بن بليق، وأخذوا خطه بذلك، واستقرت الخلافة له، وبايعه الناس، واستوزر أبا علي بن مقلة، وكان بفارس، فاستقدمه، ووزر له، واستحجب القاهر علي بن بُليق، وتشاغل القاهر بالبحث عمن استتر من أولاد المقتدر وحُرَمه، وبمناظرة والدة المقتدر، وكانت مريضة قد ابتدأ بها الاستسقاء، وقد زاد مرضها بقتل ابنها، ولما سمعت أنه بقي مكشوف العورة جزعت جزعاً شديداً، وامتنعت عن المأكول والمشروب حتى كادت تهلك، فوعظها النساء حتى أكلت شيئاً يسيراً من الخبز والملح.

ثم أحضرها القاهر عنده، وسألها عن مالها، فاعترفت له بما عندها من المصوغ والثياب، ولم تعترف بشيء من المال والجوهر، فضربها أشد ما يكون من الضرب، وعلّقها برجلها، وضرب المواضع الغامضة من بدنها، فحلفت أنها لم تملك غير ما أطلعته عليه، وقالت: لو كان عندي مال لما أسلمتُ ولدي للقتل؛ولم تعترف بشيء.

وصادر جميع حاشية المقتدر وأصحابه، وأخرج القاهر والدة المقتدر لتُشهد على نفسها القضاة والعدول بأنها قد حلّت أوقافها، ووكلت في بيعها، فامتنعت عن ذلك، وقالت: قد أُوقفها على أبواب البر والقرب بمكة والمدينة والثغور، وعلى الضعفى والمساكين، ولا أستحل حلها ولا بيعها وإنما أوكّل على بيع أملاكي.

(٢٤٦/٨) فلما علم القاهر بذلك أحضر القاضي والعدول، وأشهدهم على نفسه أنه قد حل وقوفها جميعها، ووكّل في بيعها، فبيع ذلك جميعه مع غيره، واشتراه الجند من أرزاقهم؛ وتقدم القاهر بكبس الدور التي سُعي إليه أنه اختفى فيها ولد المقتدر، فلم يزل كذلك إلى أن وجدوا منهم أبا العباس الراضي، وهارون، وعلياً، والعباس، وإبراهيم، والفضل، فحملوا إلى دار الخليفة، فصودروا على مال كثير، وسلمهم علي بن بُليق إلى كاتبه الحسن بن هارون، فأحسن صحبتهم.

واستقر أبو علي بن مقلة في الوزارة، وعزل وولى، وقبض على جماعة من العمال، وقبض على بني البريدي، وعزلهم عن أعمالهم وصادرهم.

ذكر وصول وشمكير إلى أخيه مرداويج

وفيها أرسل مرداويج إلى أخيه وشمكير، وهو ببلاد جيلان، يستدعيه إليه، وكان الرسول ابن الجعد، قال: أرسلني مرداويج، وأمرني بالتلطف لإخراج أخيه وشمكير إليه، فلما وصلتُ سألت عنه، فدللتُ عليه، فإذا هو مع جماعة يزرعون الأرز، فلما رأوني قصدوني وهم حفاة عراة، عليهم سراويلات ملونة الخرق، وأكسية ممزقة، فسلمتُ عليه، وأبلغته رسالة أخيه وأعلمتُه بما ملك من البلاد والأموال وغيرها فضرط بفمه في لحية أخيه وقال: إنه لبس السواد، وخدم المسوِّدة، يعني الخلفاء من بني العباس.

فلم أزل أمنّيه وأطعمه حتى خرج معي، فلما بلغنا قزوين اجتهدتُ به (٢٤٧/٨) ليلبس السواد، فامتنع ثم لبس بعد الجهد. قال: فرأيت من جهله أشياء أستحيي من ذكرها، ثم أعطته السعادة ما كان له في الغيب، فصار من أعرف الملوك بتدبير الممالك وسياسة الرعايا.

ذكر عدة حوادث

فيها توفي القاضي أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل ابن حمّاد بن زيد، وكان عالماً فاضلاً حليماً، وأبو علي الحسين بن صالح بن خيرُران الفقيه الشافعي، وكان عابداً ورعاً، أُريد على القضاء، فلم يفعل.

وفيها توفي أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي الفقيه الشافعي الجرجاني، المعروف بالاستراباذي. (٢٤٨/٨)

سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة

ذكر حال عبد الواحد بن المقتدر ومن معه

قد ذكرنا هرب عبد الواحد بن المقتدر، وهارون بن غريب، ومفلح، ومحمد بن ياقوت، وابني رائق، بعد قتل المقتدر، إلى المدائن، ثم إنهم انحدروا منها إلى واسط، وأقاموا بها، وخافهم الناس؛ فابتدأ هارون بن غريب وكتب إلى بغداد يطلب الأمان، ويبذل مصادرة ثلاثمائة ألف دينار على أن يطلق له أملاكه، وينزل عن الأملاك التي استأجرها، ويؤدي من أملاكه حقوق بيت المال القديمة؛ فأجابه القاهر ومؤنس إلى ذلك، وكتبا له كتاب أمان وقُلّدَ أعمال ماه الكوفة، وماسبذان، ومهرجان قذَق، وسار إلى بغداد.

وخرج عبد الواحد بن المقتدر من واسط فيمن بقي معه، ومضوا إلى السُّوس وسوق الأهواز، وجبوا المال، وطردوا العمال، وأقاموا بالأهواز، فجهز مؤنس إليهم جيشاً كثيفاً، وجعل عليهم بُليقاً.

وكان الذي حرضهم على إنفاذ الجيش أبو عبد اللّه البريدي،

فإنه كان قد (٢٤٩/٨) خرج من الحبس فخوفهم عاقبة إهمال عبد الواحد ومَن معه، وبذل مساعدة معجلة خمسين ألف دينار على أن يتولى الأهواز، وعند استقراره بتلك البلاد يعجل باقي المال، وأمر مؤنس بالتجهز، وأنفق ذلك المال، وسار العسكر وفيهم أبو عبد اللّه.

وكان محمد بن ياقوت قد استبد بالأموال والأمر، فنفرت لذلك قلوب مَن معه من القواد والجند، فلما قرب العسكر من واسط أظهر مَن معه من القواد ما في نفوسهم، فارقوه، ولما وصل بُليق إلى السُّوس فارق عبد الواحد ومحمد بن ياقوت الأهواز وسارا إلى تُستَر، فعمل القراريطي، وكان مع العسكر، بأهل الأهواز ما لم يفعله أحد: نهب أموالهم، وصادرهم جميعهم، ولم يسلم منهم أحد.

ونزل عبد الواحد وابن ياقوت بتُستر، وفارقهما من معهما من القواد إلى بُليق بأمان، وبقي مفلح وسرور الخادم مع عبد الواحد، فقالا لمحمد بن ياقوت: أنت معتصم بهذه المدينة، وبمالك ورجالك، ونحن فلا مال معنا، ولا رجال، ومقامنا معك يضرك ولا ينفعك، وقد عزمنا على أخذ الأمان لنا ولعبد الواحد بن المقتدر؛ فأذن لهما في ذلك، فكتبا إلى بُليق فأمنهم، فعبروا إليه، وبقي محمد بن ياقوت منفرداً، فضعفت نفسه، وتحيّر، فتراسل هو وبليق، واستقر بينهما أنه يخرج إلى بُليق على شرط أنه يؤمّنه، ويضمن له أمان مؤنس والقاهر، ففعل ذلك وحلف له، وخرج محمد بن ياقوت معه إلى بغداد، واستولى أبو عبد اللّه البريدي على البلاد، وعسف أهلها، (٢٥٠/٨) وأخذ أموال التجار، وعمل بأهل البلاد ما لا يعمله الفرنج، ولم يمنعه أحد عما يريد؛ ولم يكن عنده من الدين ما يزعه عن ذلك، وعاد إخوته إلى أعمالهم؛ ولما عاد عبد الواحد ومحمد بن ياقوت وفى لهم القاهر، وأطلق لعبد الواحد أملاكه، وترك لوالدته المصادرة التي صادرها بها.

ذكر استيحاش مؤنس وأصحابه من القاهر

في هذه السنة استوحش مؤنس المظفر وبُليق الحاجب وولده علي والوزير أبو علي بن مقلة من القاهر، وضيقوا عليه وعلى أسبابه.

وكان سبب ذلك أن محمد بن ياقوت تقدم عند القاهر، وعلت منزلته، وصار يخلو به ويشاوره، فغلظ ذلك على ابن مقلة لعداوة كانت بينه وبين محمد، فألقى إلى مؤنس أن محمداً يسعى به عند القاهر، وأن عيسى الطبيب يسفر بينهما في التدبير عليه، فوجه مؤنس علي بن بُليق لإحضار عيسى الطبيب، فوجده بين يدي القاهر، فأخذه وأحضره عند مؤنس، فسيّره من ساعته إلى الموصل، واجتمعوا على الإيقاع بمحمد بن ياقوت، وكان في الخيام، فركب علي بن بُليق في جنده ليكبسه، فوجده قد اختفى، فنهب أصحابه واستتر محمد بن ياقوت.

(٢٥١/٨) ووكّل علي بن بُليق على دار الخليفة أحمد بن زيرك، وأمره بالتضييق على القاهر، وتفتيش كل من يدخل الدار ويخرج منها، وأن يكشف وجوه النساء المنقّبات، وإن وجد مع أحد رقعة دفعها إلى مؤنس، ففعل ذلك، وزاد عليه، حتى إنه حمل إلى دار الخليفة لَبَن، فأدخل يده فيه لئلا يكون فيه رقعة، ونقل بُليق من كان بدار القاهر محبوساً إلى داره كوالدة المقتدر وغيرها، وقطع أرزاق حاشيته.

فأما والدة المقتدر فإنها كانت قد اشتدت علتها لشدة الضرب الذي ضربها القاهر، فأكرمها علي بن بُليق وتركها عند والدته، فماتت في جمادى الآخرة، وكانت مكرمة مرفهة، ودفنت بتربتها بالرُّصافة.

وضيق علي بن بُليق على القاهر، فعلم القاهر أن العتاب لا يفيد، وأن ذلك برأي مؤنس وابن مقلة، فأخذ في الحيلة والتدبير على جماعتهم.

وكان قد عرف فساد قلب طريف السبكري وبشرى خادم مؤنس لبليق وولده علي، وحسدهما على مراتبهما، فشرع في إغرائهما ببليق وابنه.

وعلم أيضاً أن مؤنساً وبُليقاً أكثر اعتمادهما على الساجية، أصحاب يوسف بن أبي الساج وغلمانه والمنتقلين إليهما بعده، وكانا قد وعدا الساجية بالموصل مواعيد أخلفاها، فأرسل القاهر إليهم يغريهم بمؤنس وبُليق، ويحلف لهم على الوفاء بما أخلفاهم، فتغيرت قلوب الساجية، ثم إنه راسل أبا جعفر (٢٥٢/٨) محمد بن القاسم بن عُبيد اللّه، وكان من أصحاب ابن مقلة وصاحب مشورته، ووعده الوزارة، فكان يطالعه بالأخبار، وبلغ ابن مقلة أن القاهر قد تغير عليه، وأنه مجتهد في التدبير عليه وعلى مؤنس، وبليق، وابنه علي، والحسن بن هارون، فأخبرهم ابن مقلة بذلك.

ذكر القبض على مؤنس وبُليق

في هذه السنة، أول شعبان، قبض القاهر باللّه على بُليق وابنه، ومؤنس المظفر.

وسبب ذلك أنه لما ذكر ابن مقلة لمؤنس وبُليق ما هو عليه القاهر من التدبير في استئصالهم خافوه، وحملهم الخوف على الجد في خلعه، واتفق رأيهم على استخلاف أبي أحمد بن المكتفي وعقدوا له الأمر سرّاً، وحلف له بُليق وابنه علي، والوزير أبو علي بن مقلة، والحسن بن هارون، وبايعوه، ثم كشفوا الأمر لمؤنس فقال لهم: لستُ أشك في شر القاهر وخبثه، ولقد كنتُ كارهاً

لخلافته، وأشرتُ بابن المقتدر، فخالفتم وقد بالغتم الآن في الاستهانة به، وما صبر على الهوان إلا من خبث طويّته ليدبر عليكم، فلاتعجلوا على أمر حتى تؤنسوه وينبسط إليكم، ثم فتشوا لتعرفوا من واطأه من القواد ومن الساجية والحجرية، ثم اعملوا على ذلك؛ فقال علي بن بُليق، والحسن بن (٢٥٣/٨) هارون: ما يحتاج إلى هذا التطويل، فإن الحجبة لنا، والدار في أيدينا، وما يحتاج أن نستعين في القبض عليه بأحدٍ لأنه بمنزلة طائر في قفص.

وعملوا على معاجلته، فاتفق أن سقط بُليق من الدابة، فاعتلّ ولزم منزله، واتفق ابنه علي وأبو علي بن مقلة وزيّنا لمؤنس خلع القاهر، وهوّنا عليه الأمر، فأذن لهما، فاتفق رأيهما على أن يُظهروا أن أبا طاهر القرمطي قد ورد الكوفة في خلق كثير، وأن علي بن بُليق سائر إليه في الجيش ليمنعه عن بغداد، فإذا دخل على القاهر ليودعه ويأخذ أمره فيما يفعل قبض عليه.

فلما اتفقا على ذلك جلس ابن مقلة، وعنده الناس، فقال لأبي بكر ابن قرابة: أعلمتَ أن القرمطي قد دخل الكوفة في ستة آلاف مقاتل بالسلاح التام؟ قال: لا! قال ابن مقلة: قد وصلنا كتب النواب بها بذلك؛ فقال ابن قرابة: هذا كذب ومحال، فإن في جوارنا إنساناً من الكوفة، وقد أتاه اليوم كتاب على جَناح طائر تاريخه اليوم يخبر فيه بسلامته، فقال له ابن مقلة: سبحان اللّه، أنتم أعرف منا بالأخبار؟ فسكت ابن قرابة، وكتب ابن مقلة إلى الخليفة يعرّفه ذلك، ويقول له: إني قد جهزت جيشاً مع علي بن بُليق ليسير يومنا هذا، والعصر يحضر إلى الخدمة ليأمره مولانا بما يراه؛ فكتب القاهر في جوابه يشكره، ويأذن له في حضور ابن بُليق، فجاءت رقعة القاهر وابن مقلة نائم، فتركوها ولم يوصلوها إليه، فلما استيقظ عاد وكتب (٢٥٤/٨) رقعة أخرى في المعنى، فأنكر القاهر الحال، حيث قد كتب جوابه، وخاف أن يكون هناك مكرٌ.

وهو في هذا إذا وصلت رقعة طريف السبكري يذكر أن عنده نصيحة، وأنه قد حضر في زي امرأة لينهيها إليه، فاجتمع به القاهر، فذكر له جميع ما قد عزموا عليه، وما فعلوه من التدبير ليقبض ابن بليق عليه إذا اجتمع به، وأنّهم قد بايعوا أبا أحمد بن المكتفي، فلما سمع القاهر ذلك أخذ حذره، وأنفذ إلى الساجية فأحضرهم متفرقين، وكمّنهم في الدهاليز، والممرات، والرواقات، وحضر علي بن بليق بعد العصر، وفي رأسه نبيذ، ومعه عدد يسير من غلمانه بسلاح خفيف، في طيارة، وأمر جماعة من عسكره بالركوب إلى أبواب دار الخليفة، وصعد من الطيارة، وطلب الإذن، فلم يأذن له القاهر، فغضب وأساء أدبه، وقال: لا بد من لقائه شاء أو أبى.

وكان القاهر قد أحضر الساجية، كما ذكرنا، وهم عنده في الدار، فأمرهم القاهر برده، فخرجوا إليه وشتموه وشتموا أباه، وشهروا سلاحهم وتقدموا إليه جميعهم، ففر أصحابه عنه، وألقى نفسه في الطيارة وعبر إلى الجانب الغربي واختفى من ساعته، فبلغ ابن مقلة الخبر، فاستتر واستتر الحسن بن هارون أيضاً.

فلما سمع طريف الخبر ركب في أصحابه، وعليهم السلاح، وحضروا (٢٥٥/٨) دار الخليفة، ووقف القاهر، فعظم الأمر حينئذٍ على ابن بليق وجماعتهم، وأنكر بليق ما جرى على ابنه، وسب الساجية، وقال: لا بد من المضي إلى دار الخليفة، فإن كان الساجية فعلوا هذا بغير تقدُّم قابلتُهم بما يستحقونه، وإن كان بتقدم سألته عن سبب ذلك.

فحضر دار الخليفة ومعه جميع القواد الذين بدار مؤنس، فلم يوصله القاهر إليه، وأمر بالقبض عليه وحبسه، وأمر بالقبض على أحمد بن زيرك، صاحب الشرطة، وحصل الجيش كلهم في الدار، فأنفذ القاهر وطيب نفوسهم، ووعدهم الزيادة، وأنه يوقف هؤلاء على ذنوبهم ثم يطلقهم ويحسن إليهم، فعادوا، وراسل القاهر مؤنساً يسأله الحضور عنده ليعرض عليه ما رفع عليهم ليفعل ما يراه، وقال: إنه عندي بمنزلة الوالد، وما أُحبُّ أن أعمل شيئاً إلا عن رأيه؛ فاعتذر مؤنس عن الحركة، ونهاه أصحابه عن الحضور عنده.

فلما كان الغد أحضر القاهر طريفاً السبكري وناوله خاتمه وقال له: قد فوضت إلى ولدي عبد الصمد ما كان المقتدر فوّضه إلى ابنه محمد، وقلدتُك خلافته، ورئاسة الجيش، وإمارة الأمراء، وبيوت الأموال، كما كان ذلك إلى مؤنس، ويجب أن تمضي إليه وتحمله إلى الدار، فإنه ما دام في منزله يجتمع إليه من يريد الشر ولا يأمن [أن] يولد شغل، فيكون هاهنا مرفهاً، ومعه من أصحابه من يخدمه على عادته.

فمضى إلى دار مؤنس، وعنده أصحابه في السلاح، وهو قد استولى عليه الكبر والضعف، فسأله أصحاب مؤنس عن الحال، فذكر سوء صنيع بُليق وابنه، فكلهم سبّهما، وعرّفهم ما أخذ لهم من الأمان والعهود، فسكتوا، (٢٥٦/٨) ودخل إلى مؤنس وأشار عليه بالحضور عند القاهر، وحمله عليه، وقال له: إن تأخرت طمع، ولو رآك نائماً ما تجاسر أن يوقظك؛ وكان موافقاً على مؤنس وأصحابه لما نذكره، فسار مؤنس إليه، فلما دخل الدار قبض القاهر عليه وحبسه ولم يره.

قال طريف: لما أعلمتُ القاهر بمجيء مؤنس ارتعد، وتغيرت أحواله، وزحف من صدر فراشه، فخفته أن أكلمه في معناه، وعلمتُ أنني قد أخطأت، وندمتُ، وتيقنت أنني لاحق بالقوم عن قريب، وذكرتُ قول مؤنس فيه إنه يعرفه بالهوج، والشر، والإقدام، والجهل؛ وكان أمر اللّه قدراً مقدوراً؛وكانت وزارة ابن مقلة هذه تسعة أشهر وثلاثة أيام.

واستوزر القاهر أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد اللّه، مستهل شعبان، وخلع عليه، وأنفذ القاهر وختم على دور مؤنس، وبليق وابنه علي، وابن مقلة، وأحمد بن زيرك، والحسن بن هارون، ونقل دوابهم، ووكّل بحرمهم، وأنفذ فاستقدم عيسى المتطبب من الموصل، وأمر بنقل ما في دار ابن مقلة وإحراقها، فنهبت وأحرقت، ونهبت دور المتعلّقين بهم، وظهر محمد بن ياقوت وقام الحجبة، ثم رأى كراهية طريف السبكري والساجية له، فاختفى وهرب إلى أبيه الفارس، فكاتبه القاهر يلومه على عجلته بالهرب، وقلده كور الأهواز.

وكان السبب في ميل طريف السبكري، والساجية، والحجرية، إلى القاهر، ومواطأتهم على مؤنس وبُليق وابنه ما نذكره، وهو أن طريفاً كان قد أخذ قواد مؤنس وأعلاهم منزلة، وكان بُليق وابنه ممن يقبّل يده ويخدمه، (٢٥٧/٨) فلما استخلف القاهر باللّه تقدم بُليق وابنه، وحكما في الدولة كما ذكرناه، وأهمل ابن بُليق جانب طريف، وقصده وعطله من أكثر أعماله، فلما طالت عطلته استحيا منه بُليق، وخاف جانبه، فعزم على استعماله على ديار مصر ليقضي حقه، ويبعده، ومعه أعيان رفقائه ليأمنهم، وقال ذلك للوزير أبي علي بن مقلة، فرآه صواباً، فاعتذر بُليق إلى طريف لسبب عُطلته، وأعلمه بحديث مصر، فشكره، وشكر الوزير أيضاً، فمنع علي بن بُليق من إتمامه، وتولى هو العمل، وأرسل إليه من يخلفه فيه، فصار طريف عدواً يتربّص بهم الدوائر.

وأما الساجية فإنهم كانوا عُدة مؤنس وعضده، وساروا معه إلى الموصل، وعادوا معه إلى قتال المقتدر، ووعدهم مؤنس المظفّر بالزيادة؛ فلما قُتل المقتدر لم يروا لميعاده وفاء، ثناه عنه ابن بُليق، واطّرحهم ابن بُليق أيضاً، وأعرض عنهم.

وكان من جملتهم خادم أسود اسمه صندل، وكان من أعيانهم، وكان له خادم اسمه مؤتَمَن، فباعه، فاتصل بالقاهر قبل خلافته، فلما استخلف قدّمه وجعله لرسائله، فلما بُلي القاهر بابن بُليق وسوء معاملته كان كالغريق يتمسك بكل شيء، وكان خبيراً بالدهاء والمكر، فأمر مؤتمناً أن يقصد صندلاً الساجي الذي باعه، ويشكو من القاهر، فإن رأى منه رداً لما يقوله أعلمه بحال القاهر وما يقاسي من ابن بُليق وابنه، وإن رأى منه خلاف ذلك سكت، فجاء إليه وفعل ما أمره.

فلما شكا قال له صندل: وفي أي شيء هو الخليفة حتى يعطيك، ويوسّع (٢٥٨/٨) عليك؟ إن فرّج اللّه عنه من هذا المفسد احتجتُ أنا وغيري عليك، ولله عليّ صوم وصدقة إن ملك الخليفة أمره، واستراح، وأراحنا من هذا الملعون، فأعاد المؤتمن الحديث على القاهر، فأرسل على يده هدية جميلة من طيب وغيره إلى زوجة صندل، وقال له: تحمله إليها، وزوجها غائب عنها، وتقول لها: إن الخليفة قسم فينا شيئاً، وهذا من نصيبي أهديته إليكم؛ ففعل هذا، فقبلته، ثم عاد إليها من الغد وقال: أي شيء قال صندل لما رأى انبساطي عليكم؟ فقالت: اجتمع هو وفلان وفلان، وذكرت ستة نفر من أعيانهم، ورأوا ما أهديتَ إلينا فاستعملوا منه ودعوا للخليفة.

فبينما هو عندها إذ حضر زوجها، فشكر مؤتمناً، وسأله عن أحوال الخليفة، فأثنى عليه، ووصفه بالكرم، وحُسن الأخلاق، وصلابته في الدين، فقال صندل إن ابن بليق نسبه إلى قلّة الدين، ويرميه بأشياء قبيحة، فحلف مؤتمن على بُطلان ذلك، وأن جميعه كذبٌ.

ثم أمر القاهر مؤتمناً أن يقصد زوجة صندل، ويستدعيها إلى قهرمانة القاهرة، فتحضر متنكّرة على أنها قابلة يأنس بها مَن عند القاهر، لما كانوا بدار ابن طاهر، وقد حضرت لحاجة بعض أهل الدار إليها، ففعلت ذلك، ودخلت الدار وباتت عندهم، فحمّلها القاهر رسالة إلى زوجها ورفقائه، وكتب إليهم رقعة بخطه يعدهم الزيادة في الأقطاع والجاري، وأعطاها لنفسها مالاً، فعادت إلى زوجها وأخبرته بما كان جميعه، فوصل الخبر إلى ابن بُليق أن امرأة من دار ابن طاهر دخلت إلى دار الخليفة، فلهذا منع ابن بُليق من دخول امرأة (٢٥٩/٨) حتى تُبصَر وتُعرف.

وكان للساجية قائد كبير اسمه سيما، وكلّهم يرجعون إلى قوله، فاتفق صندل ومَن معه على إعلام سيما بذلك إذ لا بد لهم منه، وأعلموه برسالة القاهر إليهم، فقال: هذا صواب، والعاقبة فيه جميلة، ولكن لا بد من أن يُدخلوا في الأمر بعض هؤلاء القوم، يعني أصحاب بُليق ومؤنس، وليكن من أكابرهم، فاتفقوا على طريف السبكري، وقالوا: هو أيضاً متسخّط؛ فحضروا عنده وشكوا إليه ما هم فيه، وقالوا: لو كان الأستاذ، يعنون مؤنساً، يملك أمره لبلغنا مرادنا، ولكن قد عجز وضعف، واستبدّ عليه ابن بُليق بالأمور؛ فوجدوا عنده من كراهتهم أضعاف ما أرادوا، فأعلموه حينئذ حالهم، فأجابهم إلى موافقتهم، واستحلفهم أنه لا يلحق مؤنساً وبُليقاً وابنه مكروه وأذى في أنفسهم وأبدانهم وأموالهم، وإنما يلزم بُليق وابنه بيوتهم، ويكون مؤنس على مرتبته لا يتغيّر، فحلفوا على ذلك، وحلف لهم على الموافقة، وطلب خط القاهر بما طلب، فأرسلوا إلى القاهر بما كان، فكتب إليهم بما أرادوا، وزاد بأن قال: إنه يصلّي بالناس، ويخطب أيام الجمع، ويحج بهم، ويغزو معهم، ويقعد للناس، ويكشف مظالمهم إلى غير ذلك من حُسن السيرة.

ثم إن طريفاً اجتمع بجماعة من رؤساء الحجرية، وكان ابن

بُليق قد أبعدهم عن الدار وأقام بها أصحابه، فهم حنقون عليه، فلما أعلمهم طريف الأمر أجابوه إليه، فظهر شيء من هذا الحديث إلى ابن مقلة وابن بليق، ولم يعلموا تفصيله، فاتفقوا على أن يقبضوا على جماعة من قوّاد الساجية (٢٦٠/٨) والحجرية، فلم يقدموا عليهم خوف الفتنة.

وكان القاهر قد أظهر مرضاً من دماميل وغيرها، فاحتجب عن الناس خوفاً منهم، فلم يكن يراه أحدٌ إلا خواص خدمه من الأوقات النادرة، فتعذّر على ابن مقلة وابن بليق الاجتماع به ليبلغوا منه ما يريدون، فوضعا ما ذكرناه من أخبار القرامطة ليظهر لهم ويفعلوا به ما أرادوا؛ ولما قبض القاهر على مؤنس وجماعته استعمل القاهر على الحجبة سلامة الطولوني، وعلى الشرطة أبا العباس أحمد بن خاقان، واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد اللّه، وأمر بالنداء على المستترين، وإباحة مال من أخفاهم وهدم داره، وجدّ في طلب أحمد بن المكتفي، فظفر به، فبنى عليه حائطاً وهو حي فمات، وظفر بعلي بن بليق فقتله.

ذكر قتل مؤنس وبُليق وولده علي والنوبختي

وفيها، في شعبان، قتل القاهر مؤنساً المظفر، وبُليقاً، وعلي بن بُليق.

وكان سبب قتلهم أن أصحاب مؤنس شغبوا وثاروا، وتبعهم سائر الجند، وأحرقوا روشَن دار الوزير أبي جعفر، ونادوا بشعار مؤنس، وقالوا: لا نرضى إلا بإطلاق مؤنس.

وكان القاهر قد ظفر بعلي بن بليق، وأفرد كل واحد منهم في منزل، فلما شغب الجند دخل القاهر إلى علي بن بليق، فأمر به فذُبح واحتُزّ (٢٦١/٨) رأسه، فوضعوه في طشت، ثم مضى القاهر والطشت يُحمَل بين يديه حتى دخل على بليق فوضع الطشت بين يديه، وفيه رأس ابنه، فلما رآه بكى، وأخذه يقبّله ويترشّفه، فأمر به القاهر فذبح أيضاً، وجُعل رأسه في طشت، وحُمل بين يدي القاهر، ومضى حتى دخل على مؤنس فوضعهما بين يديه، فلما رأى الرأسين تشهد واسترجع، ولعن قاتلهما؛ فقال القاهر: جروا برجل الكلب الملعون! فجروه وذبحوه وجعلوا رأسه في طشت، وأمر فطيف بالرؤوس في جانبي بغداد، ونودي عليها: هذا جزاء من يخون الإمام، ويسعى في فساد دولته؛ ثم أعيدت ونُظفت وجعلت في خزانة الرؤوس، كما جرت العادة.

وقيل إنه قتل بليقاً وابنه مستخف، ثم ظفر بابنه بعد ذلك، فأمر به فضرب، فأقبل ابن بليق على القاهر، وسبّه أقبح سبّ، وأعظم شتم، فأمر به القاهر فقتل، وطيف برأسه في جانبي بغداد، ثم أرسل إلى ابن يعقوب النوبختي، وهو في مجلس وزيره محمد بن القاسم، فأخذه وحبسه؛ ورأى الناس من شدة القاهر ما علموا معه أنهم لا يسلمون من يده، وندم كل من أعانه من سُبُك، والساجية، والحجرية، حيث لم ينفعهم الندم.(٢٦٢/٨)

ذكر وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم للخليفة وعزله ووزارة الخصيبي

لما قبض القاهر باللّه على مؤنس وبليق وابنه سأل عمّن يصلح للوزارة، فدل على أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبيد اللّه، فاستوزره، فبقي وزيراً إلى يوم الثلاثاء ثالث عشر ذي القعدة من السنة، فأرسل القاهر فقبض عليه،، وعلى أولاده، وعلى أخيه عبيد اللّه، وحرمه، وكان مريضاً بقولَنج، فبقي محبوساً ثمانية عشر يوماً، ومات، فحمل إلى منزله، وأطلق أولاده، واستوزر أبا العباس أحمد بن عبيد اللّه بن سليمان الخصيبي، وكانت وزارة أبي جعفر ثلاثة أشهر واثني عشر يوماً.

ذكر القبض على طريف السبكري

لما تمكن القاهر، وقبض على مؤنس وأصحابه، وقتلهم، لم يقف على اليمين والأمان اللذين كتبهما لطريف، وكان القاهر يسمع طريفاً ما يكره، ويستخف به، ويعرض له بالأذى، فلما رأى ذلك خافه وتيقّن القبض عليه والقتل، فوصى وفرغ من جميع ما يريده.

(٢٦٣/٨)واشتغل القاهر عنه يقبض من قبض عليه من وزير وغيره، ثم أحضره بعد أن قبض على وزيره أبي جعفر، فقبض عليه، فتيقن القتل أسوة بمن قتل من أصحابه ورفقائه، فبقي محبوساً يتوقع القتل صباحاً ومساء إلى أن خُلع القاهر.

ذكر أخبار خراسان

في هذه السنة سار مرداويج من الرّي إلى جرجان، وبها أبو بكر محمد بن المظفر مريضاً فلما قصده مرداويج عاد إلى نيسابور، وكان السعيد نصر بن أحمد بنيسابور، فلما بلغها محمد بن المظفر سار السعيد نحو جرجان، وكاتب محمد بن عبيد اللّه البلغمي مطرف بن محمد وزير مرداويج، واستماله، فمال إليه، فانتهى الخبر بذلك إلى مرداويج، فقبض على مطرف وقتله.

وأرسل محمد بن عبيد اللّه البغمي إلى مرداويج يقول له: أنا أعلم أنك لا تستحسن كفر ما يفعله معك الأمير السعيد، وأنك إنما حملك على قصد جرجان وزيرك مطرف ليرى أهلها محله منك، كما فعله أحمد بن أبي ربيعة كاتب عمرو بن الليث، حمل عَمراً على قصد بلْخ ليشاهد أهلها منزلته من عمرو، فكان منه ما بلغك وأنا لا أرى لك مناصبة ملك يطيف به مائة ألف رجل من غلمانه ومواليه وموالي أبيهن والصواب أنك تترك جرجان له، وتبذل عن الري مالاً تصالحه عليه؛ ففعل مرداويج ذلك وعاد عن جرجان،

وبذلك عن الري مالاً، وعاد إليها وصالحه السعيد عليها.(٢٦٤/٨)

ذكر ولاية محمد بن المظفر على خراسان

ولما فرغ السعيد من أمر جرجان، وأحكمه، استعمل أبا بكر محمّد بن المظفّر بن محتاج على جيوش خرسان، ورد إليه تدبير الأموي بنواحي خراسان جميعها، وعاد إلى بخارى مقر عزّه، وكرسي ملكه.

وكان سبب تقدم محمد بن المظفر أنه كان يوماً عند السعيد، وهو يحادثه في بعض مهماته خالياً، فلسعته عقرب في إحدى رجليه عدة لسعات، فلم يتحرك ولم يظهر عليه أثر ذلك، فلما فرغ من حديثه، وعاد محمد إلى منزله، نزع خفه فرأى العقرب فأخذها.

فانتهى خبر ذلك إلى السعيد، فأُعجب به وقال: ما عجبت إلا من فراغ بالك لتدبير ما قلته لك، فهلا قمت وأزلتها! فقال: ما كنت لأقطع حديث الأمير بسبب عقرب، وإذا لم أصبر بين يديك على لسعة عقرب فكيف أصبر، وأنا بعيد منك، على حد سيوف أعداء دولتك إذا دفعتهم عن مملكتك؟ فعظم محله عنده وأعطاه مائتي ألف درهم.

ذكر ابتداء دولة بني بوَيه

وهم عماد الدولة أبو الحسن علي، وركن الدولة أبو علي الحسن، ومعزّ الدولة أبو الحسن أحمد، أولاد أبي شجاع بويه بن فناخسرو بن تمام بن(٢٦٥/٨) كوهي بن شرزيل الأصغر بن شير كنده بن شيرزيل الأكبر بن شيران شاه ابن شيرويه بن سشتان شاه بن سيس فيروز بن شيروزيل بن سنباد بن بهرام جور الملك ابن يزدجرد الملك ابن هرمز الملك ابن شابور الملك ابن شابور ذي الأكتاف، وباقي النسب قد تقدم في أول الكتاب عند ذكر ملوك الفرس؛ هكذا ساق نسبهم الأمير أبو نصر بن ماكولا، رحمه اللّه.

وأما ابن مسكويه فإنه قال إنهم يزعمون أنهم من ولد يزدجرد بن شهريار، آخر ملوك الفرس، إلاّ ان النفس أكثر ثقة بنقل ابن ماكولا لأنه الإمام العالم بهذه الأمور، وهذا نسب عريق في الفرس، ولا شك أنهم نسبوا إلى الديلم حيث طال مقامهم ببلادهم.

وأما ابتداء أمرهم فإن والدهم أبا شجاع بويه كان متوسط الحال فماتت زوجته وخلّفت له ثلاثة بنين، وقد تقدم ذكرهم، فلما ماتت اشتد حزنه عليها، فحكى شهريار بن رستم الديلمي قال: كنت صديقاً لأبي شجاع بويه، فدخلتُ إليه يوماً فعذلتُه على كثره حزنه وقلت له: أنت رجلٌ يحتملُ الحزن، وهؤلاء المساكين أولادك يهلكهم الحزن، وربما مات أحدهم، فيجدد ذلك من الأحزان ما ينسيك المرأة؛ وسليته بجهدي، وأخذته (٢٦٦/٨) ففرّجته وأدخلته ومعه أولاده إلى منزلي ليأكلوا طعاماً، وشغلته عن حزنه.

فبينما هم كذلك اجتاز بنا رجل يقول عن نفسه: إنه منجّم، ومعزّم، ومعبر للمنامات، ويكتب الرقى والطلسمات، وغير ذلك، فأحضره أبو شجاع وقال له: رأيت في منامي كأنني أبول، فخرج من ذكري نار عظيمة استطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء، ثم انفجرت فصارت ثلاث شعب، وتولّد من تلك الشعب عدة شعب، فأضاءت الدنيا بتلك النيران، ورأيت البلاد والعباد خاضعين لتلك النيران.

فقال المنجم: هذا منام عظيم لا أفسره إلا بخلعة، وفرس، ومركب؛ فقال أبو شجاع: واللّه ما أملك إلا الثياب التي على جسدي، فإن أخذتها بقيت عرياناً؛ قال المنجم: فعشرة دنانير؛ قال: واللّه ما أملك ديناراً فكيف عشرة! فأعطاه شيئاً فقال المنجم: أعلم أنه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الأرض ومن عليها، ويعلو ذكرهم في الآفاق كما علت تلك النار، ويولد لهم جماعة ملوك بقدر ما رأيت من تلك الشعب

فقال أبو شجاع: أما تستحي تسخر منا؟ أنا رجل فقير وأولادي هؤلاء فقراء مساكين كيف يصيرون ملوكاً؟

فقال المنجم: أخبرني بوقت ميلادهم؛ فأخبره، فجعل يحسب ثم قبض على يد أبي الحسن علي فقبّلها وقال: هذا واللّه الذي يملك البلاد (٢٦٧/٨) ثم هذا من بعده، وقبض على يد أخيه أبي علي الحسن، فاغتاظ منه أبو شجاع، وقال لأولاده: اصفعوا هذا الحكيم، فقد أفرط في السخرية بنا! فصفعوه، وهو يستغيث، ونحن نضحك منه، ثم أمسكوا فقال لهم: اذكروا لي هذا إذا قصدتكم وأنتم ملوك؛ فضحكنا منه وأعطاه أبو شجاع عشرة دراهم.

ثم خرج من بلاد الديلم جماعة تقدم ذكرهم ليملك البلاد منهم ماكان بن كالي، وليلى بن النعمان، وأسفار بن شيرويه، ومرداويج بن زيار، وخرج مع كل واحد منهم خلق كثير من الديلم، وخرج أولاد أبي شجاع في جملة من خرج، وكانوا من جملة قواد ماكان بن كالي، فلما كان من أمر ماكان ما ذكرناه من الاتفاق ثم الاختلاف، بعد قتل أسفار، واستيلاء مرداويج على ما كان بيد ماكان من طبرستان وجرجان، وعود ماكان مرة أخرى إلى جرجان والدامغان، وعوده إلى نيسابور مهزوماً.

فلما رأى أولاد بويه ضعفه وعجزه قال له عماد الدولة وركن الدولة: نحن في جماعة وقد صرنا ثقلاً عليك وعيالاً، وأنت مضيق، والأصلح لك أن نفارقك لتخفف عنك مؤونتنا، فإذا صلح أمرنا عدنا إليك؛ فأذن لهما، فسارا إلى مرداويج، واقتدى بهما جماعة من قواد ماكان وتبعوهما، فلما صاروا إليه قبلهم أحسن

قبول، وخلع على ابني بويه، وأكرمهما، وقلّد كل واحد من قواد ماكان الواصلين إليه ناحية من نواحي الجبل، فأما علي بن بويه فإنه قلده كرج. (٢٦٨/٨)

ذكر سبب تقدم علي بن بويه

كان السبب في ارتفاع علي بن بويه من بينهم، بعد الأقدار، أنه كان سمحاً، حليماً، شجاعاً، فلما قلده مرداويج كَرَج، وقلد جماعة القواد المستأمنة معه الأعمال، وكتب لهم العهود، ساروا إلى الري، وبها وشمكير بن زيار أخو مرداويج، ومعه الحسين بن محمد الملقب بالعميد، وهو والد أبي الفضل الذي وزر لركن الدولة بن بويه، وكان العميد يومئذ وزير مرداويج.

وكان مع عماد الدولة بغلة شهباء من أحسن ما يكون، فعرضها للبيع، فبلغ ثمنها مائتي دينار، فعُرضت على العميد فأخذها وأنفذ ثمنها، فلما حمل الثمن إلى عماد الدولة أخذ منه عشرة دنانير ورد الباقي، وجعل معه هدية جميلة.

ثم إن مرداويج ندم على ما فعل من تولية أولئك القواد البلاد، فكتب إلى أخيه وشمكير وإلى العميد يأمرهما بمنعهم من المسير إلى أعمالهم، وإن كان بعضهم قد خرج فيرد.

وكانت الكتب تصل إلى العميد قبل وشمكير، فيقرأها ثم يعرضها على وشمكير، فلما وقف العميد على هذا الكتاب أنفذ إلى عماد الدولة يأمره بالمسير من ساعته إلى عمله، ويطوي المنازل، فسار من وقته، وكان المغرب، وأما العميد فلما أصبح عرض الكتاب على وشمكير، فمنع سائر القواد من (٢٦٩/٨) الخروج من الري، واستعاد التوقيعات التي معهم بالبلاد، وأراد وشمكير أن يُنفذ خلف عماد الدولة من يردّه، فقال العميد: إنه لا يرجع طوعاً، وربما قاتل من يقصده وخرج عن طاعتنا؛ فتركه.

وسار عماد الدولة إلى كَرَج، وأحسن إلى الناس، ولطف بعمال البلاد، فكتبوا إلى مرداويج يشكرونه، ويصفون ضبطه البلد، وسياسته، وافتتح قلاعاً كانت للخُرَّميّة، وظفر منها بذخائر كثيرة صرفها جميعها إلى استمالة الرجال، والصلات، والهبات، فشاع ذكره، وقصده الناس وأحبوه.

وكان مرداويج ذلك الوقت بطبرستان، فلما عاد إلى الري أطلق مالاً لجماعة من قوّاده على كَرَج، فاستمالهم عماد الدولة، ووصلهم، وأحسن إليهم، حتى مالوا إليه، وأحبوا طاعته.

وبلغ ذلك مرداويج، فاستوحش وندم على إنفاذ أولئك القواد إلى الكرج، فكتب إلى عماد الدولة وأولئك يستدعيهم إليه، وتلطف بهم، فدافعه عماد الدولة، واشتغل بأخذ العهود عليهم، وخوّفهم من سطوة مرداويج، فأجابوه جميعهم، فجبى مال كرج، واستأمن إليه شيرزاد، وهو من أعيان قواد الديلم، فقويت نفسه بذلك، وسار بهم عن كرج إلى أصبهان، وبها المظفر بن ياقوت، في نحو من عشرة آلاف مقاتل، وعلى خراجها أبو علي بن رستم، فأرسل عماد الدولة إليهما يستعطفهما، ويستأذنهما في الانحياز إليهما، والدخول في طاعة الخليفة، ليمضي إلى الحضرة ببغداد، فلم يجيباه إلى ذلك، وكان أبو علي أشدهما كراهة، فاتفق للسعادة أن أبا علي مات في تلك الأيام، وبرز (٢٧٠/٨) ابن ياقوت عن أصبهان ثلاثة فراسخ، وكان في أصحابه جيل وديلم مقدار ستمائة رجل، فاستأمنوا إلى عماد الدولة لما بلغهم من كرمه، فضعف قلب ابن ياقوت، وقوي جنان عماد الدولة، فواقعه، واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم ابن ياقوت، واستولى عماد الدولة على أصبهان، وعظم في عيون الناس لأنه كان في تسعمائة رجل هزم بهم ما يقارب عشرة آلاف رجل، وبلغ ذلك الخليفة فاستعظمه، وبلغ خبر هذه الوقعة مرداويج فأقلقه، وخاف على ما بيده من البلاد واغتمّ لذلك غمّاً شديداً.

ذكر استيلاء ابن بُويه على أرّجان وغيرها وملك مرداويج أصبهان

لما بلغ خبر الوقعة إلى مرداويج خاف عماد الدولة بن بويه، فشرع في إعمال الحيلة، فراسله يعاتبه ويستميله، ويطلب منه أن يُظهر طاعته حتى يمده بالعساكر الكثيرة ليفتح بها البلاد، ولا يكلّفه سوى الخطبة له في البلاد التي يستولي عليها.

فلما سار الرسول جهّز مرداويج أخاه وشمكير في جيش كثيف ليكبس ابن بويه، وهو مطمئن إلى الرسالة التي تقدمت، فعلم ابن بويه بذلك، فرحل عن أصبهان بعد أن جباها شهرين، وتوجه إلى أرّجان، وبها أبو بكر بن ياقوت، فانهزم أبو بكر من غير قتال، وقصد رامهرمُز، واستولى ابن بويه على أرّجان في ذي الحجة؛ ولما سار عن أصبهان دخلها وشمكير وعسكر (٢٧١/٨) أخيه مرداويج وملكوها، فلما سمع القاهر أرسل إلى مرداويج قبل خلعه ليمنع أخاه عن أصبهان ويسلّمها إلى محمد بن ياقوت، ففعل ذلك ووليها محمد.

وأما ابن بويه فإنه لما ملك أرّجان استخرج منها أموالاً فقوي بها، ووردت عليه كتب أبي طالب زيد بن علي النوبندجاني يستدعيه، ويشير عليه بالمسير إلى شيراز، ويهون عليه أمر ياقوت وأصحابه، ويعرفه تهوره، واشتغاله بجباية الأموال، وكثرة مؤونته ومؤونة أصحابه، وثقل وطأتهم على الناس، مع فشلهم وجُبنهم، فخاف ابن بويه أن يقصد ياقوتاً مع كثرة عساكره وأمواله، ويحصل بين ياقوت وولده، فلم يقبل مشورته، ولم يبرح من مكانه، فعاد أبو طالب وكتب إليه يشجعه، ويعلمه أن مرداويج قد كتب إلى ياقوت يطلب مصالحته، فإن تم ذلك اجتمعا على محاربته، ولم يكن له

بهما طاقة، ويقول له إن الرأي لمن كان في مثل حاله أن يعاجل مَن بين يديه، ولا ينتظر بهم الاجتماع والكثرة وأن يحدقوا به من كل جانب، فإنه إذا هزم مَن بين يديه خافه الباقون ولم يقدموا عليه.

ولم يزل أبو طالب يراسله إلى أن سار نحو النُّوبَندجان في ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وقد سبقه إليهما مقدمة ياقوت في نحو ألفي فارس من شجعان أصحابه، فلما وافاهم ابن بويه لم يثبتوا له لما لقيهم، وانهزموا إلى كركان، وجاءهم ياقوت في جميع أصحابه إلى هذا الموضع، وتقدم أبو طالب إلى وكلائه بالنُّوبندجان بخدمة ابن بويه، والقيام بما يحتاج إليه، (٢٧٢/٨) وتنحى هو عن البلد إلى بعض القرى، حتى لا يعتقد فيه المواطأة له، فكان مبلغ ما خسر عليه في أربعين يوماً مقدار مائتي ألف دينار.

وأنفذ عماد الدولة أخاه ركن الدولة الحسن إلى كازرون وغيرها من أعمال فارس، فاستخرج منها أموالاً جليلة، فأنفذ ياقوت عسكراً إلى كازرون، فواقعهم ركن الدولة، فهزمهم وهو في نفر يسير، وعاد غانماً سالماً إلى أخيه.

ثم إن عماد الدولة انتهى إليه مراسلة مرداويج وأخيه وشمكير إلى ياقوت ومراسلته إليهما، فخاف اجتماعهم، فسار من النُّوبندجان إلى إصطَخْر ثم إلى البيضاء وياقوت يتبعه، وانتهى إلى قنطرة على طريق كرمان، فسبقه ياقوت إليها ومنعه من عبورها، واضطر إلى الحرب، وذلك في آخر سنة إحدى وعشرين [وثلاثمائة]، ودخلت سنة اثنتين وعشرين [وثلاثمائة].

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة اجتمعت بنو ثعلبة إلى بني أسد القاصدين إلى أرض الموصل ومن معهم من طي، فصاروا يداً واحدة على بني مالك ومَن معهم من تغلب، وقرب بعضهم من بعض للحرب، فركب ناصر الدولة الحسن بن عبد اللّه بن حمدان في أهله ورجاله، ومعه أبو الأغر بن سعيد بن حمدان للصلح بينهم، فتكلم أبو الأغر، فطعنه رجل من حزب بني ثعلبة فقتله، فحمل عليهم ناصر الدولة ومن معه، فانهزموا وقُتل منهم، ومُلكت بيوتهم، وأُخذ حريمهم وأموالهم ونجوا على ظهور خيولهم، وتبعهم ناصر الدولة إلى الحديثة، فلما وصلوا إليها لقيهم يأنس غلام مؤنس، وقد وليَ الموصل، وهو مصعد إليها، (٢٧٣/٨) فانضم إليه بنو ثعلبة وبنو أسد وعادوا إلى ديار ربيعة.

وفيها ورد الخبر إلى بغداد بوفاة تكين الخاصة بمصر، وكان أميراً عليها، فوليَ مكانه ابنه محمد، وأرسل له القاهر باللّه الخِلَع، وثار الجند بمصر، فقاتلهم محمد وظفر بهم.

وفيها أمر علي بن بليق، قبل قبضه، وكاتبه الحسن بن هارون بلعن معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد على المنابر ببغداد، فاضطربت العامة، فأراد علي بن بليق أن يقبض على البربهاري رئيس الحنابلة، وكان يثير الفتن هو وأصحابه، فعلم بذلك فهرب، فأُخذ جماعة من أعيان أصحابه وحُبسوا وجُعلوا في زورق وأُحدروا إلى عُمان.

وفيها أمر القاهر بتحريم الخمر والغناء وسائر الأنبذة، ونفى بعض مَن كان يُعرف بذلك إلى البصرة والكوفة؛ وأما الجواري المغنّيات فأمر ببيعهن على أنهن سواذج لا يعرفن الغناء، ثم وضع من يشتري له كل حاذقة في صنعة الغناء، فاشترى منهن ما أراد بأرخص الأثمان، وكان القاهر مشتهراً بالغناء والسماع، فجعل ذلك طريقاً إلى تحصيل غرضه رخيصاً، نعوذ باللّه من هذه الأخلاق التي لا يرضاها عامة الناس.

وفيها توفي أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد اللغوي في شعبان، وأبو (٢٧٤/٨) هاشم بن أبي علي الجُبّائي المتكلم المعتزلي في يوم واحد، ودُفنا بمقابر الخيزران.

وفيها توفي محمد بن يوسف بن مطر الفربري، وكان مولده سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وهو الذي روى صحيح البخاري عنه، وكان قد سمعه عشرات ألوف من البخاري فلم ينتشر إلا عنه، وهو منسوب إلى فربر بالفاء والرّاءين المهملتين وبينهما باء معجمة موحدة وهي من قرى بخارى. (٢٧٥/٨)

سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة

ذكر استيلاء ابن بويه على شيراز

في هذه السنة ظفر عماد الدولة بن بويه بياقوت، وملك شيراز، وقد ذكرنا مسير عماد الدولة بن بويه إلى القنطرة، وسبق ياقوت إليها، فلما وصلها ابن بويه وصده ياقوت عن عبورها اضطر إلى محاربته، فتحاربا في جمادى الآخرة، وأحضر علي بن بويه أصحابه، ووعدهم أنّه يترجل معهم عند الحرب [ويقاتل كأحدهم]، ومنّاهم ووعدهم الإحسان.

وكان من سعادته أن جماعة من أصحابه استأمنوا إلى ياقوت، فحين رآهم ياقوت أمر بضرب رقابهم، فأيقن مَن مع ابن بويه أنهم لا أمان لهم عنده، فقاتلوا قتال مستقتل.

ثم إن ياقوتاً قدم أمام أصحابه رجّالة كثيرة يقاتلون بقوارير النفط، فانقلبت الريح في وجوههم، واشتدت، فلما ألقوا النار عادت النار عليهم، فعلقت بوجوههم وثيابهم، فاختلطوا وأكبّ عليهم أصحاب ابن بويه، فقتلوا أكثر الرجّالة، وخالطوا الفرسان فانهزموا، فكانت الدائرة على ياقوت وأصحابه.

فلما انهزم صعد على نشَز مرتفع، ونادى في أصحابه الرجعة، فاجتمع (٢٧٦/٨) إليه نحو أربعة آلاف فارس، فقال لهم: اثبتوا فإن

الديلم يشتغلون بالنهب، ويتفرّقون، فتأخذهم، فثبتوا معه، فلما رأى ابن بويه ثباتهم نهى أصحابه عن النهب، وقال: إن عدوكم يرصدكم لتشتغلوا بالنهب، فيعطف عليكم ويكون هلاككم، فاتركوا هذا، وافرغوا من المنهزمين ثم عودوا إليه؛ ففعلوا ذلك، فلما رأى ياقوت أنهم على قصده ولّى منهزماً، واتّبعه أصحاب ابن بويه يقتلون ويأسرون ويغنمون الخيل والسلاح.

وكان معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه في ذلك اليوم من أحسن الناس أثراً، وكان صبياً لم تنبت لحيته، وكان عمره تسع عشرة سنة، ثم رجعوا إلى السواد، فغنموا ووجدوا في سواده برانس لبود عليها أذناب الثعالب، ووجدوا قيوداً وأغلالاً، فسألوا عنها، فقال أصحاب ياقوت: إن هذه أُعدّت لكم لتُجعل عليكم، ويطاف بكم في البلاد؛ فأشار أصحاب ابن بويه أن يفعل بهم مثل ذلك، فامتنع وقال: إنه بغيٌ، ولؤم ظفر، ولقد لقي ياقوت بغيه.

ثم أحسن إلى الأسارى وأطلقهم وقال: هذه نعمة والشكر عليها واجب يقتضي المزيد؛ وخيّر الأسارى بين المقام عنده واللحوق بياقوت، فاختاروا المقام عنده فخلع عليهم وأحسن إليهم.

وسار من موضع الوقعة حتى نزل بشيراز، ونادى في الناس بالأمان، وبثّ العدل، وأقام لهم شحنة يمنع من ظلمهم، واستولى على تلك البلاد، وطلب الجند أرزاقهم فلم يكن عنده ما يعطيهم، فكاد ينحل أمره، فقعد في غرفة في دار الإمارة بشيراز يفكر في أمره، فرأى حيّة خرجت من موضع في سقف تلك الغرفة ودخلت في ثقب هناك، فخاف أن تسقط عليه، فدعا (٢٧٧/٨) الفراشين، ففتحوا الموضع، فرأوا وراءه باباً فدخلوه إلى غرفة أخرى، وفيها عشرة صناديق مملوءة مالاً ومصوغاً، وكان فيها ما قيمته خمس مائة ألف دينار، فأنفقها، وثبت ملكه بعد أن كان قد أشرف على الزوال.

وحُكي أنه أراد أن يفصّل ثياباً، فدلّوه على خيّاط كان لياقوت، فأحضره، فحضر خائفاً، وكان أصم، فقال له عماد الدولة: لا تخف، فإنما أحضرناك لتفصّل ثياباً؛ فلم يعلم ما قال، فابتدأ وحلف بالطلاق والبراءة من دين الإسلام أن الصناديق التي عنده لياقوت ما فتحها، فتعجّب الأمير من هذا الاتفاق، فأمره بإحضارها، فأحضر ثمانية صناديق فيها مال وثياب قيمته ثلاثمائة ألف دينار، ثم ظهر له من ودائع ياقوت وذخائر يعقوب وعمرو ابني الليث جملةٌ كثيرة، فامتلأت خزائنه وثبت ملكه.

فلما تمكّن من شيراز وفارس كتب إلى الراضي باللّه، وكانت قد أفضت إليه الخلافة، على ما نذكره، وإلى وزيره أبي علي بن مقلة يعرّفهما أنه على الطاعة ويطلب منه أن يقاطع على ما بيده من البلاد، وبذل ألف ألف درهم، فأجيب إلى ذلك، فأنفذوا له الخلع، وشرطوا على الرسول أن لا يسلّم إليه الخلع إلا بعد قبض المال.

فلما وصل الرسول خرج عماد الدولة إلى لقائه، وطلب منه الخلع واللواء، فذكر له الشرط، فأخذهما منه قهراً، ولبس الخلع، ونشر اللواء بين يديه، ودخل البلد، وغالط الرسول بالمال، فمات الرسول عنده سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، وعظم شأنه، وقصده الرجال من الأطراف.

ولمّا سمع مرداويج بما ناله من ابن بويه قام لذلك وقعد وسار إلى أصبهان (٢٧٨/٨) للتدبير عليه، وكان بها أخوه وشمكير لأنه لما خلع القاهر، وتأخر محمد بن ياقوت عنها، عاد إليها وشمكير بعد أن بقيت تسعة عشر يوماً خالية من أمير، فلما وصلها مرداويج ردّ أخاه وشمكير إلى الري.

ذكر استيلاء نصر بن أحمد على كرمان

في هذه السنة خرج أبو علي محمد بن إلياس من ناحية كَرمان إلى بلاد فارس، وبلغ إصطَخْر، فأظهر لياقوت أنّه يريد [أن] يستأمن إليه حيلةً ومكراً، فعلم ياقوت مكره، فعاد إلى كرمان، فسيّر إليه السعيد نصر بن أحمد، صاحب خراسان، ماكانَ بن كالي في جيش كثيف، فقاتله، فانهزم ابن إلياس، واستولى ماكان على كَرمان، نيابةً عن صاحب خراسان.

وكان محمد بن إلياس هذا من أصحاب نصر بن أحمد، فغضب عليه وحبسه، ثم شفع فيه محمد بن عبيد اللّه البلغمي، فأخرجه، وسيّره مع محمد ابن المظفّر إلى جرجان، فلما خرج يحيى بن أحمد وإخوته ببخارى، على ما ذكرناه، سار محمد بن إلياس إليه فصار معه، فلما أدبر أمره سار محمد من نيسابور إلى كرمان فاستولى عليها إلى هذه الغاية، فأزاله ماكان (٢٧٩/٨) عنها، فسار إلى الدِّينَوَر، وأقام ماكان بكرمان، فلما عاد عنها، على ما نذكره، رجع إليها محمد بن إلياس.

ذكر خلع القاهر باللّه

وفيها خُلع القاهر باللّه في جمادى الأولى.

وكان سبب ذلك أن أبا علي بن مقلة كان مستتراً من القاهر، والقاهر يتطلّبه، وكذلك الحسن بن هارون، فكانا يراسلان قوّاد الساجية، والحجريّة، ويخوّفانهم من شرّه، ويذكران لهم غدره ونكثه مرة بعد أخرى: كقتل مؤنس، وبُليق، وابنه علي بعد الأيمان لهم، وكقبضه على طريف السُّبكري بعد اليمين له، مع نصح طريف له، إلى غير ذلك.

وكان ابن مقلة يجتمع بالقوّاد ليلاً، تارة في زي أعمى، وتارة في زي مُكَدٍّ، وتارة في زي امرأة ويغريهم به.

ثم إنه أعطى منجّماً كان لسيما مائتي دينار، وأعطاه الحسن مائة دينار، وكان يذكر لسيما أن طالعه يقتضي أن ينكبه القاهر ويقتله، وأعطى ابن مقلة أيضاً لمعبّر كان لسيما يعبّر له المنامات، فكان يحذره أيضاً من القاهر، ويعبّر له على ما يريد، فازداد نفوراً من القاهر.

ثم إن القاهر شرع في عمل مطامير في الدار، فقيل لسيما ولجماعة قوّاد الساجية والحجرية: إنما عملها لأجلكم؛ فازدادا نفوراً، ونقل إلى سيما أن القاهر يريد قتله، فجمع الساجية، وكان هو رئيسهم المقدّم عليهم، وأعطاهم (٢٨٠/٨) السلاح، وأنفذوا إلى الحجرية: إنْ كنتم موافقين لنا فجيئوا إلينا حتى نحلف بعضنا لبعض، وتكون كلمتنا واحدة؛ فاجتمعوا جميعهم وتحالفوا على اجتماع الكلمة وقَتْل من خالف منهم.

فاتصل ذلك بالقاهر ووزيره الخُصيبي، فأرسل إليهم الوزير: ما الذي حملكم على هذا؟ فقالوا: قد صحّ عندنا أن القاهر يريد القبض على سيما، وقد عمل مطامير ليحبس فيها قوّادنا ورؤساءنا. فلما كان يوم الأربعاء لستّ خلون من جمادى الأولى اجتمع الساجيّة والحجريّة عند سيما، وتحالفوا على الاجتماع على القبض على القاهر، فقال لهم سيما: قوموا بنا الساعة حتى نمضي هذا العزم، فإنه إن تأخر علم به، واحترز وأهلكنا.

وبلغ ذلك الوزير، فأرسل الحاجب سلامة وعيسى الطبيب ليعلماه بذلك، فوجداه نائماً قد شرب أكثر ليلته، فلم يقدرا على إعلامه بذلك.

وزحف الحجريّة والساجيه إلى الدار، ووكّل سيما بأبوابها مَن يحفظها، وبقي هو على باب العامة، وهجموا إلى الدار من سائر الأبواب، فلما سمع القاهر الأصوات والجَلَبة استيقظ مخموراً، وطلب باباً يهرب منه، فقيل له إن الأبواب جميعها مشحونة بالرجال، فهرب إلى سطح حمّام، فلما دخل القوم لم يجدوه، فأخذوا الخدم وسألوهم عنه، فدلّهم عليه خادم صغير، فقصدوه، فرأوه وبيده السيف، فاجتهدوا به فلم ينزل لهم، فألانوا له القول، وقالوا: نحن عبيدك، وإنما نريد أن نأخذ عليك العهود؛ فلم يقبل منهم وقال: مَن صعد إليّ قتلتُه! فأخذ بعضهم سهماً وقال: إن نزلت، وإلاّ وضعتُه (٢٨١/٨) في نحرك! فنزل حينئذ إليهم، فأخذوه وساروا به إلى الموضع الذي فيه طريف السبكري، ففتحوه وأخرجوه منه وحبسوا القاهر مكانه، ثم سملوه، وهرب وزيره الخصيبي وسلامة حاجبه.

وقيل في سبب خلعه وقيام الساجيّة والحجريّة غير ما تقدّم، وهو أن القاهر لما تمكّن من الخلافة أقبل ينقص الساجيّة والحجريّة على ممر الأيام، ولا يقضي لأكابرهم حاجة، ويُلزمهم النوبة في داره، ويؤخر أعطياتهم، ويغلظ لمن يخاطبه منهم في أمر، وبجرمه، فأقبل بعضهم ينذر بعضاً، ويتشاكون بينهم، ثم إنه كان يقول لسلامة حاجبه: يا سلامة! أنت بين يديّ كنز مال يمشي، فأيّ شيء يبين في مالك لو أعطَيتَني ألف ألف دينار؟ فيحمل ذلك منه على الهزل.

وكان وزيره الخصيبيُّ أيضاً خائفاً لما يرى منه، ثم إنه حفر في الدار نحو خمسين مطمورة تحت الأرض، وأحكم أبوابها، فكان يقال: إنه عملها لمقدّمي الساجيّة والحجريّة فازداد نفورهم منه وخوفهم؛ ثم إن جماعة من القرامطة أُخذوا بفارس وأُرسلوا إلى بغداد، كما تقدّم، فحُبسوا في تلك المطامير، ثم تقدّم سرّاً بفتح الأبواب عليهم، والإحسان إليهم، وعزم على أن، يقوى بهم على القبض على مقدّمي الحجريّة والساجيّة، وبمن معه من غلمانه.

وأنكر الحجريّة والساجيّة حال القرامطة، وكونهم معه في داره محسناً إليهم، وقالوا لوزيره الخصيبيّ، وحاجبه سلامة، في ذلك، فقالا له، فأخرجهم من الدار، فسلّمهم إلى محمد بن ياقوت، وهو على شُرطة بغداد، فأنزلهم في دار، (٢٨٢/٨) وأحسن إليهم، وكان يدخل إليهم من يريد، فعظم استيحاشهم.

ثم صار يذمّهم في مجلسه، ويُظهر كراهتهم، حتى تبيّنوا ذلك في وجهه وحركاته معهم، فأظهروا أن لبعض قوّادهم عرساً، فاجتمعوا بحجّته، وقرروا بينهم ما أرادوا، وافترقوا، وأرسلوا إلى سابور خادم والدة المقتدر، فقالوا له: قد علمتَ ما فعله بمولاتك، وقد ركبتَ في موافقته كل عظيم، فإن وافقتنا على ما نحن عليه، وتقدّمتَ إلى الخدم بحفظه، فعفا اللّه عما سلف منك، وإلا فنحن نبدأ بك؛ فأعلمهم ما عنده من الخوف والكراهة للقاهر، وأنه موافقهم، وكان ابن مقلة مع هذا يصنع عليه ويسعى فيه إلى أن خُلع، كما ذكرنا، وكانت خلافته سنة واحدة وستة أشهر وثمانية أيام.

ذكر خلافة الراضي باللّه

هو أبو العباس أحمد بن المقتدر باللّه، ولمّا قُبض القاهر سألوا الخدم عن المكان الذي فيه أبو العباس بن المقتدر، فدلّوهم عليه، وكان هو ووالدته محبوسين، فقصدوه، وفتحوا عليه ودخلوا فسلّموا عليه بالخلافة، وأخرجوه وأجلسوه على سرير القاهر يوم الأربعاء لستّ خلون من جمادى الأولى، ولقّبوه بالراضي باللّه، وبايعه القوّاد والناس، وأمر بإحضار علي بن عيسى وأخيه عبد الرحمن، وصدر عن رأيهما فيما يفعله، واستشارهما وأراد على بن عيسى على الوزارة، فامتنع لكبره، وعجزه، وضعفه، (٢٨٣/٨) وأشار بابن مقلة.

ثم إن سيما قال للراضي: إنّ الوقت لا يحتمل أخلاق علي،

وابن مقلة أليق بالوقت؛ فكتب له أماناً وأحضره واستوزره، فلمّا وزر أحسن إلى كلّ مَن أساء إليه، وأحسن سيرته، وقال: عاهدت اللّه عند استتاري بذلك؛ فوفى به، وأحضر الشهود والقضاة وأرسلهم إلى القاهر ليشهدوا عليه بالخلع، فلم يفعل، فسُمل من ليلته، فبقي أعمى لا يبصر.

وأرسل ابن مقلة إلى الخصيبي وعيسى المتطبّب بالأمان فظهرا وأحسن إليهما واستعمل الخصيبيّ وولاه؛ واستعمل الراضي باللّه على الشرطة بدراً الخَرَشَنيّ، واستعمل ابنُ مقلة أبا الفضل بن جعفر بن الفرات، في جمادى الأولى، نائباً عنه على سائر العمال بالموصل، وقَرْدَى، وبازَبْدي، وماردين، وطور عَبدين، وديار الجزيرة، وديار بكر، وطريق الفرات، والثغور الجزريّة والشاميّة، وأجناد الشام، وديار مصر، يصرف من يرى، ويستعمل مَن يرى في الخراج، والمعاون، والنفقات، والبريد وغير ذلك.

وأرسل إلى محمد بن رائق يستدعيه ليولّيه الحجبة، وكان قد استولى على الأهواز وأعمالها، ودفع عنها ابن ياقوت، ولم يبق بيد ابن ياقوت من تلك الولاية إلا السُّوس، وجُندَيسابور، وهو يريد المسير إلى أصبهان أميراً عليها، على ما ذكرناه، وكان ذلك آخر أيام القاهر، فلمّا وليَ الراضي، واستحضره، سار إلى واسط، وأرسل محمد بن ياقوت يخطب الحجبة، فأُجيب إليها، فسار (٢٨٤/٨) في أثر ابن رائق؛ وبلغ ابن رائق الخبر، فلم يقف، وسار من واسط مصعداً إلى بغداد يسابق ابن ياقوت، فلمّا وصل إلى المدائن لقيه توقيع الراضي يأمره بترك دخول بغداد، وتقليده الحرب، والمعاون بواسط، مضافاً إلى ما بيده من البصرة وغيرها، فعاد منحدراً في دجلة، ولقيه ابن ياقوت مصعداً فيها أيضاً، فسلّم بعضهم على بعض، وأصعد ابن ياقوت إلى بغداد فتولّى الحجبة على ما نذكره.

ذكر وفاة المهدي صاحب إفريقية وولاية ولده القائم

في هذه السنة، في شهر ربيع الأول، توفي المهدي أبو محمد عبيد اللّه العلوي بالمهدية، وأخفى ولده أبو القاسم موته سنة لتدبير كان له، وكان يخاف أن يختلف الناس عليه إذا علموا بموته، وكان عمر المهدي لما توفي ثلاثاً وستين سنة، وكانت ولايته منذ دخل رقّادة ودُعي له بالإمامة إلى أن توفّي أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً.

ولما توفّي ملك بعده ابنه أبو القاسم محمد، وكان أبوه قد عهد إليه، ولما أظهر وفاة والده كان قد تمكّن وفرغ من جميع ما أراده، واتّبع سُنّة أبيه، وثار عليه جماعة، فتمكّن منهم؛ وكان من أشدهم رجل يقال له ابن طالوت القرشيُّ، في ناحية طرابلس، ويزعم أنه ولد المهدي، فقاموا معه، وزحف إلى مدينة طرابلس، فقاتله أهلها، ثم تبين للبربر كذبه، فقتلوه وحملوا رأسه إلى القائم.

وجهّز القائم أيضاً جيشاً كثيفاً مع ميسور الفتى إلى المغرب، فانتهى إلى (٢٨٥/٨) فاس، وإلى تَكرور، وهزم خارجيّاً هناك، وأخذ ولده أسيراً، وسيّر أيضاً جيشاً في البحر وقدّم عليهم رجلاً اسمه يعقوب بن إسحاق إلى بلد الروم، فسبى، وغنم في بلد جَنَوة؛ وسيّر جيشاً آخر مع خادمه زيدان، وبالغ في النفقة عليهم وتجهيزهم، إلى مصر، فدخلوا الإسكندريّة، فأخرج إليهم محمد الإخشيد عسكراً كثيفاً، فقاتلهم، وهزموا المغاربة، وقتلوا فيهم، وأسروا، وعاد المغاربة مفلولين.

ذكر استيلاء مرداويج على الأهواز

لما بلغ مرداويج استيلاء علي بن بويه على فارس اشتد ذلك عليه، فسار إلى أصبهان للتدبير على ابن بويه، فرأى أن ينفذ عسكراً إلى الأهواز ليستولي عليها، ويسد الطريق على عماد الدولة بن بويه إذا قصده، فلا يبقى له طريق إلى الخليفة، ويقصده هو من ناحية أصبهان، ويقصده عسكره من ناحية الأهواز، فلا يثبت لهم.

فسارت عساكر مرداويج في شهر رمضان، حتى بلغت إيذَجَ، فخاف ياقوت أن يحصل بينهم وبين ابن بويه، فسار إلى الأهواز ومعه ابنه المظفَّر، وكتب إلى الراضي ليقلّده أعمال الأهواز، فقلّده ذلك، وصار أبو عبد اللّه (٢٨٦/٨) ابن البريدي كاتبه مضافاً إلى ما بيده من أعمال الخراج بالأهواز، وصار أخوه أبو الحسين يخلف ياقوتاً ببغداد.

ثم استولى عسكر مرداويج على رامهرمز، أول شوال من هذه السنة، وساروا نحو الأهواز، فوقف لهم ياقوت على قنطرة أرْبَقَ، فلم يمكنهم من العبور لشدة جرية الماء، فأقاموا بإزائه أربعين يوماً، ثم رحلوا فعبروا على الأطواف نهر المسرُقان، فبلغ الخبر إلى ياقوت، وقد أتاه مدد من بغداد قبل ذلك بيومين، فسار بهم إلى قرية الرِّيخ، وسار منها إلى واسط، وبها حينئذ محمد بن رائق، فأخلى له غربي واسط، فنزل فيه ياقوت.

ولما بلغ عماد الدولة استيلاءُ مرداويج على الأهواز كاتب نائب مرداويج يستميله، ويطلب منه أن يتوسط الحال بينه وبين مرداويج، ففعل ذلك، وسعى فيه، فأجابه مرداويج إلى ذلك على أن يطيعه ويخطب له، فاستقر الحال بينهما، وأهدى له ابن بويه هدية جليلة، وأنفذ أخاه ركن الدولة رهينة، وخطب لمرداويج في بلاده، فرضي مرداويج منه، واتفق أنه قُتل على ما نذكره، فقوي أمر ابن بويه.

ذكر عود ياقوت إلى الأهواز

ولمّا وصل ياقوت إلى واسط أقام بها إلى أن قُتل مرداويج،

ومعه أبو عبد اللّه البريدي يكتب له، فلما قُتل مرداويج عاد ياقوت إلى الأهواز، واستولى على تلك الولاية، ولما وصل ياقوت إلى عسكر مُكرَم، بعد قتل مرداويج، (٢٨٧/٨) كانت عساكر ابن بويه قد سبقته، فالتقوا بنواحي أرّجان، وكان ابن بويه قد لحق بأصحابه، واشتد قتالهم بين يديه، فانهزم ياقوت، ولم يفلح بعدها.

وراسل أبو عبد اللّه البريدي ابن بُوَيه في الصلح، فأجاب إلى ذلك، وكتب به إلى الراضي، فأجاب إلى ذلك، وقرر بلاد فارس على ابن بُوَيه، واستقر بشيراز، واستقر ياقوت بالأهواز ومعه ابن البريدي.

وكان محمد بن ياقوت قد سار إلى بغداد وتولّى الحجبة، وخلع الراضي عليه، وتولّى مع الحجبة رئاسة الجيش، وأدخل يده في أمر الدواوين، وتقدّم إليهم بأن لا يقبلوا توقيعاً بولاية ولا عزل وإطلاق إلاّ إذا كان خطّه عليه، وأمرهم بحضور مجلسه، فصبر أبو علي بن مقلة على ذلك، وألزم نفسه بالمصير إلى دار ابن ياقوت، في بعض الأوقات، وبقي كالمتعطّل.

ولقد كان في هذه الأيام القليلة حوادث عظيمة منها: انصراف وشمكير أخي مرداويج عن أصبهان بكتاب القاهر، بعد أن ملكها، واستعمال القاهر محمد بن ياقوت عليها، وخلع القاهر، وخلافة الراضي، وأمر الحجبة لمحمد بن رائق، ثم انفساخه، ومسير محمد بن ياقوت من رامَهُرْمُز إلى بغداد، وولايته الحجبة، بعد أن كان سائراً إلى أصبهان ليتولاها، وإعادة مرداويج أخاه وشمكير إليها؛وملك علي بن بويه أرّجان؛ هذا جميعه في هذه اللحظة القريبة في سبعين يوماً، فتبارك اللّه الذي بيده الملك والملكوت يُصرِّفُ الأمور كيف يشاء، لا إله إلا هو. (٢٨٨/٨)

ذكر قتل هارون بن غريب

في هذه السنة قُتل هارون بن غريب، وكان سبب قتله أنه كان، كما ذكرنا، قد استعمله القاهر على ماه الكوفة، وقصبتها الدِّينور، وعلى ماسَبذان وغيرها، فلما خُلع القاهر واستخلف الراضي رأى هارون أنه أحق بالدولة من غيره لقرابته من الراضي، حيث هو ابن خال المقتدر، فكاتب القوّاد ببغداد يعدهم الإحسان والزيادة في الأرزاق، ثم سار من الدِّينور إلى خانقين، فعظم ذلك على ابن مقلة وابن ياقوت والحجريّة والساجيّة واجتمعوا، وشكوه إلى الراضي، فأعلمهم أنه كاره له، وأذن لهم في منعه، فراسلوه أولاً، وبذلوا له طريق خراسان زيادة على ما في يده، فلم يقنع به، وتقدّم إلى النَّهروان، وشرع في جباية الأموال، وظلم الناس، وعسفهم، وقويت شوكته.

فخرج إليه محمد بن ياقوت في سائر جيوش بغداد، ونزل قريباً منه، ووقت الطلائع بعضها على بعض، وهرب بعض أصحاب محمد بن ياقوت إلى هارون، وراسله محمد يستميله، ويبذل له، فلم يجب إلى ذلك، وقال: لا بدّ من دخول بغداد.

فلمّا كان يوم الثلاثاء لستّ بقين من جمادى الآخرة تزاحف العسكران، واشتد القتال، واستظهر أصحاب هارون لكثرتهم، فانهزم أكثر أصحاب ابن ياقوت ونُهب أكثر سوادهم، وكثر فيهم الجراح والقتل، فسار محمد بن ياقوت حتى قطع قنطرة نهر بِين، فبلغ ذلك هارون، فسار (٢/٨) نحو القنطرة منفرداً عن أصحابه، طمعاً في قتل محمد بن ياقوت، أو أسره، فتقنطر به فرسه، فسقط عنه في ساقية، فلحقه غلام له اسمه يُمن، فضربه بالطَّبرزين حتى أثخنه، وكسّر عظامه، ثم نزل إليه فذبحه ثم رفع رأسه وكبّر، فانهزم أصحابه وتفرّقوا، ودخل بعضهم بغداد سرّاً، ونهب سواد هارون، وقتل جماعة من قوّاده وأسر جماعة.

وسار محمد إلى موضع جثّة هارون، فأمر بحملها إلى مضربه، وأمر بغسله وتكفينه، ثم صلى عليه ودفنه، وأنفذ إلى داره من يحفظها من النهب، ودخل بغداد ورأس هارون بين يديه ورؤوس جماعة من قوّاده، فنُصب ببغداد.

ذكر ظهور إنسان ادّعى النبوة

في هذه السنة ظهر بباسِند، من أعمال الصغانيان، رجل ادّعى النبوة، فقصده فوج بعد فوج، واتّبعه خلق كثير، وحارب من خالفه، فقتل خلقاً كثيراً ممن كذّبه، فكثر أتباعه من أهل الشاش خصوصاً.

وكان صاحب حيل ومخاريق، وكان يدخل يده في حوض ملآن ماء، فيخرجها مملوءة دنانير، إلى غير ذلك من المخاريق، فكثر جمعه، فأنفذ إليه أبو علي بن محمد بن المظفّر جيشاً، فحاربوه، وضيّقوا عليه، وهو فوق جبل عال، حتى قبضوا عليه وقتلوه وحملوا رأسه إلى أبي علي، وقتلوا (٢٩٠/٨) خلقاً كثيراً ممن اتّبعه وآمن به؛ وكان يدّعي أنه متى مات عاد إلى الدنيا، فبقي بتلك الناحية جماعة كثيرة على ما دعاهم إليه مدة طويلة ثم اضمحلّوا وفنوا.

ذكر قتل الشَّلمغاني وحكاية مذهبه

وفي هذه السنة قُتل أبو جعفر محمد بن علي الشَّلمغاني المعروف بابن أبي القراقر، وشَلْمَغانُ التي يُنسب إليها قرية بنواحي واسط.

وسبب ذلك أنه قد أحدث مذهباً غالياً في التشيع، والتناسخ، وحلول الإلهيّة فيه، إلى غير ذلك مما يحكيه، وأظهر ذلك من فعله أبو القاسم الحسين ابن رَوْح، الذي تسمّيه الإمامية الباب، متداول وزارة حامد بن العباس، ثم اتصل أبو جعفر الشلمغاني بالمحسن بن أبي الحسن بن الفرات في وزارة أبيه الثالثة، ثم إنه طُلب في

وزارة الخاقاني، فاستتر وهرب إلى الموصل، فبقي سنين عند ناصر الدولة الحسن بن عبد اللّه بن حمدان في حياة أبيه عبد اللّه بن حمدان، ثم انحدر إلى بغداد واستتر، وظهر عنه ببغداد أنه يدّعي لنفسه الربوبيّة، وقيل إنه اتّبعه على ذلك الحسين بن القاسم بن عبد اللّه بن سليمان بن وهب الذي وزر للمقتدر باللّه، وأبو جعفر، وأبو علي ابنا بِسطام، وإبراهيم بن محمد بن أبي عون، وابن شبيب الزيّات، وأحمد بن محمد بن عبدوس، (٢٩١/٨) كانوا يعتقدون ذلك فيه، وظهر ذلك عنهم، وطُلبوا أيام وزارة ابن مقلة للمقتدر باللّه، فلم يوجدوا.

فلما كان في شوال سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ظهر الشلمغاني، فقبض عليه الوزير ابن مقلة وسجنه، وكبس داره فوجد فيها رقاعاً وكتباً ممن يدّعي عليه أنه على مذهبه، يخاطبونه بما لا يخاطب به البشر بعضهم بعضاً، وفيها خطّ الحسين بن القاسم، فعُرضت الخطوط فعرفها الناس، وعُرضت على الشلمغاني فأقر أنها خطوطهم، وأنكر مذهبه، وأظهر الإسلام، وتبرأ مما يقال فيه، وأُخذ ابن أبي عون، وابن عبدوس معه، وأُحضرا معه عند الخليفة، وأُمرا بصفعه فامتنعا، فلما أُكرها مد ابن عبدوس يده وصفعه، وأما ابن أبي عون فإنه مد يده إلى لحيته ورأسه، فارتعدت يده، فقبّل لحية الشلمغاني ورأسه، ثم قال: إلهي، وسيدي ورازقي؛ فقال له الراضي: قد زعمتَ أنك لا تدّعي الإلهيّة، فما هذا؟ فقال: وما علي من قول ابن أبي عون واللّه يعلم أنني ما قُلتُ له إنني إله قط!

فقال ابن عبدوس: إنه لم يدّع الإلهيّة وإنما ادّعى أنه الباب إلى الإمام المنتظر، مكان ابن رَوح، وكنتُ أظن أنه يقول ذلك تقيّةً، ثم أُحضروا عدة مرات، ومعهم الفقهاء، والقضاة، والكتّاب، والقوّاد، وفي آخر الأيام أفتى الفقهاء بإباحة دمه، فصُلب ابن الشلمغاني، وابن أبي عون، في (٢٩٢/٨) ذي القعدة فأحرقا بالنار.

وكان من مذهبه أنه إله الآلهة يحق الحق، وأنه الأول القديم، الظاهر، الباطن، الرازق، التام، الموماً إليه بكل معنى؛ وكان يقول: إن اللّه، سبحانه وتعالى يحل في كل شيء على قدر ما يحتمل، وإنه خلق الضد ليدل على المضدود، فمن ذلك إنه حلّ في آدم لمّا خلقه، وفي إبليسه أيضاً، وكلاهما ضدّ لصاحبه لمضادته إياه في معناه، وإن الدليل على الحق أفضل من الحق، وإن الضد أقرب إلى الشيء من شبهه، وإن اللّه، عز وجل، إذا حلّ في جسد ناسوتي ظهر من القدرة والمعجزة ما يدل على أنه هو، وإنه لما غاب آدم ظهر اللاهوت في خمسة ناسوتيّة، كلما غاب منهم واحد ظهر مكانه آخر، وفي خمسة أبالسة أضداد لتلك الخمسة، ثم اجتمعت اللاهوتية في إدريس وإبليسه، وتفرقت بعدهما كما تفرقت بعد آدم، واجتمعت في نوح، عليه السلام، وإبليسه، وتفرقت عند غيبتهما، واجتمعت في هود وإبليسه، وتفرّقت بعدهما، واجتمعت في صالح، عليه السلام، وإبليسه عاقر الناقة، وتفرّقت بعدهما، واجتمعت في إبراهيم، عليه السلام، وإبليسه نمروذ، وتفرّقت لما غابا، واجتمعت في هارون وإبليسه فرعون، وتفرّقت بعدهما، واجتمعت في سليمان وإبليسه، وتفرّقت بعدهما، واجتمعت في عيسى وإبليسه، فلما غابا تفرّقت في تلاميذ عيسى وأبالستهم، ثم اجتمعت في علي ابن أبي طالب وإبليسه.

(٢٩٣/٨) ثم إن اللّه يظهر في كل شيء، وكل معنى، وإنه في كل أحد بالخاطر الذي يخطر بقلبه، فيتصور له ما يغيب عنه، حتى كأنه يشاهده؛ وإن اللّه اسم لمعنى؛ وإن من احتاج الناس إليه فهو إلهٌ، ولهذا المعنى يستوجب كل أحد أن يسمى إلهاً، وإن كل أحد من أشياعه يقول: إنه رب لمن هو في دون درجته، وإن الرجل منهم يقول: أنا رب لفلان، وفلان رب لفلان، وفلان رب ربّي، حتى يقع الانتهاء إلى ابن أبي القراقر فيقول: أنا رب الأرباب، لا ربوبيّة بعده.

ولا ينسبون الحسن والحسين، رضي اللّه عنهما، إلى علي، كرّم اللّه وجهه، لأن من اجتمعت له الربوبيّة لا يكون له ولد، ولا والد، وكانوا يسمون موسى ومحمداً ﷺ الخائنين، لأنهم يدّعون أن هارون أرسل موسى، وعلياً أرسل محمداً، فخاناهما، ويزعمون أن علياً أمهل محمداً عدة سني أصحاب الكهف، فإذا انقضت هذه العدة، وهي ثلاثمائة وخمسون سنة، انتقلت الشريعة؛ ويقولون إن الملائكة كل من ملك نفسه، وعرف الحق، وإن الجنة معرفتهم وانتحال مذهبهم، والنار الجهل بهم، والعدول عن مذهبهم.

ويعتقدون ترك الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات، ولا يتناكحون بعقد، ويبيحون الفروج، ويقولون إن محمداً ﷺ بعث إلى (٢٩٤/٨) كبراء قريش وجبابرة العرب، ونفوسهم أبيّة، فأمرهم بالسجود، وإن الحكمة الآن أن يمتحن الناس بإباحة فروج نسائهم، وإنه يجوز أن يجامع الإنسان من شاء من ذوي رحمه، وحرم صديقه، وابنه، بعد أن يكون على مذهبه، وإنه لا بدّ للفاضل منهم أن ينكح المفضول ليولج النور فيه، ومن امتنع من ذلك قُلب في الدور الذي يأتي بعد هذا العالم امرأةً، إذ كان مذهبهم التناسخ، وكانوا يعتقدون إهلاك الطالبيّين والعباسيّين، تعالى اللّه عما يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً.

وما أشبه هذه المقالة بمقالة النصيريّة، ولعلها هي هي، فإن النصيرية يعتقدون في ابن الفرات، ويجعلونه رأساً في مذهبهم.

وكان الحسين بن القاسم بالرُّقّة، فأرسل الراضي باللّه إليه، فقُتل آخر ذي القعدة، وحُمل رأسه إلى بغداد.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة أرسل محمد بن ياقوت حاجب الخليفة رسولاً إلى أبي طاهر القُرمُطي يدعوه إلى طاعة الخليفة، ليقرّه على ما بيده من البلاد، ويقلّده بعد ذلك ما شاء من البلدان، ويحسن إليه، ويلتمس منه أن يكفّ عن الحاجّ جميعهم، وأن يردّ الحجر الأسود إلى موضعه بمكة، فأجاب أبو طاهر إلى (٢٩٥/٨) أنه لا يتعرض للحاجّ، ولا يصيبهم بمكروه، ولم يجب إلى ردّ الحجر الأسود إلى مكة، وسأل أن يطلق له الميرة من البصرة ليخطب للخليفة في أعمال هجر، فسار الحاج إلى مكة وعاد ولم يتعرض لهم القرامطة.

وفيها، في ذي القعدة، عزم محمد بن ياقوت على المسير إلى الأهواز لمحاربة عسكر مرداويج، فتقدّم إلى الجند الحجريّة والساجيّة بالتجهز للمسير معه، وبذل مالاً يتجهزون به، فامتنعوا وتجمّعوا وقصدوا دار محمد بن ياقوت، فأغلظ لهم في الخطاب، فسبّوا، ورموا داره بالحجارة، ولما كان الغد قصدوا داره أيضاً، وأغلظوا له في الخطاب، وقاتلوا من بداره من أصحابه، فرماهم أصحابه وغلمانه بالنشاب، فانصرفوا وبطلت الحركة إلى الأهواز.

وفيها سار جماعة من أصحاب أبي طاهر القُرمُطي إلى نواحي تَوّج في مراكب وخرجوا منها إلى تلك الأعمال، فلما بعدوا عن المراكب أرسل الوالي في البلاد إلى المراكب وأحرقها، وجمع الناس وحارب القرامطة، فقتل بعضاً، وأسر بعضاً، فيهم ابن الغمر، وهو من أكابر دُعاتهم، وسيرهم إلى بغداد، أيام القاهر، فدخلوها مشهورين، وسُجنوا، وكان من أمرهم ما ذكرناه في خلع القاهر.

وفيها قتل القاهر باللّه إسحاقَ بن إسماعيل النوبختيّ، وهو الذي أشار باستخلافه، فكان كالباحث عن حتفه بظلفه، وقتل أيضاً أبا السرايا بن حمدان، وهو أصغر ولد أبيه؛ وسبب قتلهما أنه أراد أن يشتري مغنّيَتَين قبل أن (٢٩٦/٨) يلي الخلافة، فزادا عليه في ثمنهما، فحقد ذلك عليهما، فلما أراد قتلهما استدعاهما للمنادمة، فتزيّنا، وتطيّبا، وحضرا عنده، فأمر بإلقائهما إلى بئر في الدار، وهو حاضر، فتضرّعا وبكيا، فلم يلتفت إليهما وألقاهما فيها وطمّها عليهما.

وفيها أُحضر أبو بكر بن مُقسم ببغداد في دار سلامة الحاجب، وقيل له إنه قد ابتدع قُراءة لم تُعرف، وأُحضر ابن مجاهد والقضاة والقراء وناظروه، فاعترف بالخطأ وتاب منه، وأُحرقت كتبه.

وفيها سار الدُّمُستُق قرقَاش في خمسين ألفاً من الروم، فنازل مَلَطية وحصرها مدة طويلة، وهلك أكثر أهلها بالجوع، وضرب خيمتين على إحداهما صليب، وقال: مَن أراد النصرانية انحاز إلى خيمة الصليب ليردّ عليه أهله وماله، ومن أراد الإسلام انحاز إلى الخيمة الأخرى، وله الأمان على نفسه ونبلغه مأمنه؛ فانحاز أكثر المسلمين إلى الخيمة التي عليها الصليب، طمعاً في أهليهم وأموالهم، وسيّر مع الباقين بطريقاً يبلغهم مأمنهم، وفتحها بالأمان، مستهل جمادى الآخرة، يوم الأحد، وملكوا سُميساط، وخرّبوا الأعمال، وأكثروا القتل، وفعلوا الأفاعيل الشنيعة، وصار أكثر البلاد في أيديهم.

وفيها توفي عبد الملك بن محمد بن عدي أبو نُعيم الفقيه الجرجاني الاستراباذي، وأبو علي الروذباري الصوفي، واسمه محمد بن أحمد بن القاسم، وقيل توفي سنة ثلاث وعشرين [وثلاثمائة].

(٢٩٧/٨) وفيها توفي خير بن عبد اللّه النسّاج الصوفي من أهل سامرّا، وكان من الأبدال، ومحمد بن علي بن جعفر أبو بكر الكناني الصوفي المشهور، وهو من أصحاب الجُنيد، وأبو سعيد الخرّاز (الخرّاز بالخاء المعجمة والراء والزاي). (٢٩٨/٨)

سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة

ذكر قتل مرداويج

في هذه السنة قُتل مرداويج الديلمي صاحب بلاد الجبل وغيرها.

وكان سبب قتله أنه كان كثر الإساءة للأتراك، وكان يقول إن روح سليمان بن داود، عليه السلام، حلّت فيه، وإن الأتراك هم الشياطين والمردة، فإن قهرهم، وإلا أفسدوا: فثقلت وطأته عليهم وتمنّوا هلاكه.

فلما كان ليلة الميلاد من هذه السنة، وهي ليلة الوقود، أمر بأن يُجمع الحطب من الجبال والنواحي، وأن يُجعل على جانبي الوادي المعروف بزندروذ كالمنابر والقباب العظيمة، ويُعمل مثل ذلك على الجبل المعروف بكريم كوه المشرف على أصبهان، من أسفله إلى أعلاه، بحيث إذا اشتعلت تلك الأحطاب يصير الجبل كله ناراً، وعمل مثل ذلك بجميع الجبال والتلال التي هناك، وأمر فجُمع له النفط ومن يلعب به، وعمل من الشموع ما لا يحصى، وصيدَ له من الغُربان والحدأ زيادة على ألفي طائر ليجعل في أرجلها النفط وترسل لتطير بالنار في الهواء، وأمر بعمل سماط عظيم كان من جملة ما فيه: مائة فرس، ومائتان من البقر مشوية، صحاحاً، سوى ما شوي (٢٩٩/٨) من الغنم فإنها كانت ثلاثة آلاف رأس، سوى المطبوخ، وكان فيه من الدجاج وغيره من أنواع الطير زيادة على عشرة آلاف عدد، وعمل من ألوان الحلواء ما لا يُحدّ، وعزم على أن يجمع الناس على ذلك السماط، فإذا فرغوا قام إلى مجلس الشراب ويشعل النيران فيتفرّج.

فلما كان آخر النهار ركب وحده، وغلمانه رجّالة، وطاف بالسماط ونظر إليه وإلى تلك الأحطاب، فاستحقر الجميع لسعة الصحراء، فتضجّر وغضب، ولعن من صنعه ودبّره، فخافه من حضر، فعاد ونزل ودخل خركاة له فنام، فلم يجسر أحد [أن] يكلمه.

واجتمع الأمراء والقوّاد وغيرهم، وأرجفوا عليه، فمن قائل إنه غضب لكثرته لأنه كان بخيلاً، ومن قائل إنه قد اعتراه جنون؛ وقيل بل أوجعه فؤاده؛ وقيل غير ذلك، وكادت الفتنة تثور.

وعرف العميد وزيره صورة الحال فأتاه ولم يزل حتى استيقظ وعرّفه ما الناس فيه، فخرج وجلس على الطعام، وأكل ثلاث لقم ثم قام ونهب الناس بالباقي، ولم يجلس للشراب، وعاد إلى مكانه، وبقي في معسكره بظاهر أصبهان ثلاثة أيام لا يظهر.

فلما كان اليوم الرابع تقدم بإسراج الدواب ليعود من منزلته إلى داره بأصبهان، فاجتمع ببابه خلق كثير، وبقيت الدواب مع الغلمان، وكثر صهيلها ولعبها، والغلمان يصيحون بها لتسكن من الشغب، وكانت مزدحمة فارتفع من الجميع أصوات هائلة.

(٣٠٠/٨) وكان مرداويج نائماً، فاستيقظ، فصعد فنظر فرأى ذلك، فسأل فعرف الحال، فازداد غضباً، وقال: أما كفى من خرق الحرمة ما فعلوه في ذلك الطعام، وما أرجفوا به، حتى انتهى أمري إلى هؤلاء الكلاب؟ ثم سأل عن أصحاب الدواب، فقيل: إنها للغلمان الأتراك، وقد نزلوا إلى خدمتك؛ فأمر أن تُحطّ السروج عن الدواب وتجعل على ظهور أصحابها الأتراك، ويأخذوا بأرسان الدواب إلى الإسطبلات، ومن امتنع من ذلك ضربه الدّيلم بالمقارع حتى يطيع، ففعلوا ذلك بهم وكانت صورة قبيحة يأنف منها أحقر الناس.

ثم ركب هو بنفسه مع خاصته، وهو يتوعّد الأتراك، حتى صار إلى داره قرب العِشاء، وكان قد ضرب قبل ذلك جماعة من أكابر الغلمان الأتراك، فحقدوا عليه، وأرادوا قتله، فلم يجدوا أعواناً، فلما جرت هذه الحادثة انتهزوا الفرصة، وقال بعضهم: ما وجه صبرنا على هذا الشيطان؟ فاتفقوا، وتحالفوا على الفتك به، فدخل الحمّام، وكان كورتكين يحرسه في خلواته وحمّامه، فأمره ذلك اليوم أن لا يتبعه، فتأخر عنه مغضباً، وكان هو الذي يجمع الحرس، فلشدة غضبه لم يأمر أحداً أن يحضر حراسته؛ وإذا أراد الله أمراً هيّأ أسبابه.

وكان له أيضاً خادم أسود يتولى خدمته بالحمّام، فاستمالوه، فمال إليهم، فقالوا للخادم الاّ يحمل معه سلاحاً، وكانت العادة أن يحمل معه خنجراً طوله (٣٠١/٨) نحو ذراع ملفوفاً في منديل، فلما قالوا ذلك للخادم قال: ما أجسر؛ فاتفقوا على أن كسروا حديد الخنجر وتركوا النصاب في الغلاف بغير حديد، فلفّوه في المنديل كما جرت العادة لئلا ينكر الحال.

فلما دخل مرداويج الحمّام فعل الخادم ما قيل له، وجاء خادم آخر، وهو أستاذ داره، فجلس على باب الحمام، فهجم الأتراك إلى الحمام، فقام أستاذ داره ليمنعهم، وصاح بهم، فضربه بعضهم بالسيف فقطع يده، فصاح بالأسود وسقط، وسمع مرداويج الضجة، فبادر إلى الخنجر ليدفع به عن نفسه، فوجده مكسوراً، فأخذ سريراً من خشب كان يجلس عليه إذا اغتسل، فترّس به باب الحمام من داخل، ودفع الأتراك الباب، فلم يقدروا على فتحه، فصعد بعضهم إلى السطح، وكسروا الجامات، ورموه بالنشاب، فدخل البيت الحار، وجعل يتلطفهم، ويحلف لهم على الإحسان، فلم يلتفتوا إليه، وكسروا باب الحمام ودخلوا عليه فقتلوه.

وكان الذين ألّبوا الناس عليه وشرعوا في قتله توزون، وهو الذي صار أمير العساكر ببغداد، ويارق، وابن بغرا، ومحمد بن ينال الترجمان، ووافقهم بجكم، وهو الذي ولّيَ أمر العراق قبل توزون، وسيرد ذكر ذلك إن شاء الله تعالى. فلما قتلوه بادروا فأعلموا أصحابهم، فركبوا ونهبوا قصره وهربوا، ولم يعلم بهم الديلم لأن أكثرهم كانوا قد دخلوا المدينة ليلحق بهم وتخلّف الأتراك معه لهذا السبب.

فلما علم الديلم والجيل ركبوا في أثرهم، فلم يلحقوا منهم إلا نفراً يسيراً وقفت دوابّهم، فقتلوهم، وعادوا لينهبوا الخزائن، فرأوا العميد (٣٠٢/٨) قد ألقى النار فيها، فلم يصلوا إليها، فبقيت بحالها.

ومن عجيب ما يحكى أن العساكر في ذلك اليوم لما رأوا غضب مرداويج قعدوا يتذاكرون ما هم فيه معه من الجور، وشدة عتوّه، وتمرده عليهم، ودخل بينهم رجل شيخ لا يعرفه منهم أحد، وهو راكب، فقال: قد زاد أمر هذا الكافر، واليوم تكفنونه ويأخذه الله؛ ثم سار، فلحقت الجماعة دهشة، ونظر بعضهم في وجوه بعض، ومرّ الشيخ، فقالوا: المصلحة أننا نتبعه ونأخذ، ونستعيده الحديث، لئلا يسمع مرداويج ما جرى، فلا نلقى منه خيراً؛ فتبعوه فلم يروا أحداً.

وكان مرداويج قد تجبّر قبل أن يُقتل وعتا، وعمل له كرسيّاً من ذهب يجلس عليه، وعمل كراسي من فضة يجلس عليها أكابر قواده، وكان قد عمل تاجاً مرصّعاً على صفة تاج كسرى، وقد عزم على قصد العراق والاستيلاء عليه، وبناء المدائن وقصور كسرى ومساكنه، وأن يخاطَب، إذا فُعل ذلك بشاهنشاه، فأتاه أمر الله وهو غافل عنه، واستراح الناس من شره، ونسأل الله تعالى أن يريح الناس من كل ظالم سريعاً.

ولما قُتل مرداويج اجتمع أصحابه الديلم والجيل وتشاوروا، وقالوا: إن بقينا بغير رأس هلكنا؛ فاجتمعوا على طاعة أخيه وشمكير بن زيار، وهو والد قابوس، وكان بالرّي، فحملوا تابوت مرداويج وساروا نحو الري، فخرج من بها من أصحابه مع أخيه وشمكير، فالتقوه على أربعة فراسخ مشاة، حفاة، وكان يوماً مشهوداً.

وأما أصحابه الذين كانوا بالأهواز وأعمالها فإنهم لما بلغهم الخبر كتموه، (٣٠٣/٨) وساروا نحو الري، فأطاعوا وشمكير أيضاً، واجتمعوا عليه.

ولما قُتل مرداويج كان ركن الدولة بن بويه رهينة عنده، كما ذكرناه، فبذل للموكّلين مالاً فأطلقوه، فخرج إلى الصحراء ليفكّ قيوده، فأقبلت بغال عليها تبن، وعليها أصحابه وغلمانه، فألقي التبن، وكسر أصحابه قيوده، وركبوا الدواب، ونجوا إلى أخيه عماد الدولة بفارس.

ذكر ما فعله الأتراك بعد قتله

لما قتل الأتراك مرداويج هربوا وافترقوا فرقتين، ففرقة سارت إلى عماد الدولة بن بويه مع خَجخج الذي سمله توزون فيما بعد، وسنذكره.

وفرقة سارت نحو الجبل مع بَجكم، وهي أكثرها، فجبوا خراج الدّينور وغيرها، وساروا إلى النهروان، فكاتبوا الراضي في المسير إلى بغداد، فأذن لهم، فدخلوا بغداد، فظن الحجرية أنها حيلة عليهم، فطلبوا رد الأتراك إلى بلد الجبل، فأمرهم ابن مقلة بذلك، وأطلق لهم مالاً، فلم يرضوا به، وغضبوا، فكاتبهم ابن رائق، وهو بواسط، وله البصرة أيضاً، فاستدعاهم، فمضوا إليه، وقدّم عليهم بجكم، وأمره بمكاتبة الأتراك والديلم من أصحاب مرداويج، فكاتبهم، فأتاه منهم عدة وافرة، فأحسن إليهم، وخلع عليهم، وإلى بجكم خاصة، وأمره أن يكتب إلى الناس بجكم الراتقي، فأقام عنده، وكان من أمرهما ما نذكره. (٣٠٤/٨)

ذكر حال وشمكير بعد قتل أخيه

وأما وشمكير فإنه لما قُتل أخوه، وقصدته العساكر التي كانت لأخيه، وأطاعته، أقام بالري، فكتب الأمير نصر بن أحمد السامانيُّ إلى أمير جيشه بخراسان، محمد بن المظفّر بن محتاج، بالمسير إلى قُومِس، وكتب إلى ماكان بن كالي، وهو بكَرمان، بالمسير عنها إلى محمد بن المظفّر، ليقصدوا جُرجان والرّي.

فسار ماكان إلى الدامغان على المفازة، فتوجه إليه بانجين الديلمي، من أصحاب وشمكير، في جيش كثيف، واستمد ماكان محمد بن المظفر، وهو ببسطام، فأمده بجمع كثير أمرهم بترك المحاربة إلى أن يصل إليهم، فخالفوه وحاربوا بانجين، فلم يتعاونوا، وتخاذلوا فهزمهم بانجين، فرجعوا إلى محمد بن المظفر، وخرجوا إلى جُرجان، فسار إليهم بانجين ليصدهم عنها، فانصرفوا إلى نيسابور وأقاموا بها وجُعلت ولايتها لماكان بن كالي وأقام بها، وكان ذلك آخر سنة ثلاث وعشرين وأول سنة أربع وعشرين وثلاثمائة.

ولما سار ماكان عن كرمان عاد إليها أبو علي محمد بن إلياس فاستولى عليها، وصفت له بعد حروب له مع جنود نصر بكَرمان، وكان الظفر له أخيراً، وسنذكر باقي خبرهم سنة أربع وعشرين وثلاثمائة. (٣٠٥/٨)

ذكر القبض على ابنَيْ ياقوت

في هذه السنة، جمادى الأولى، قبض الراضي باللّه على محمد والمظفر ابني ياقوت.

وكان سبب ذلك أن الوزير أبا علي بن مقلة كان قد قلق لتحكّم محمد ابن ياقوت في المملكة بأسرها، وأنه هو ليس له حكم في شيء، فسعى به إلى الراضي، وأدام السعاية، فبلغ ما أراده.

فلما كان خامس جمادى الأولى ركب جميع القواد إلى دار الخليفة على عادتهم، وحضر الوزير، وأظهر الراضي أنه يريد [أن] يقلّد جماعة من القواد أعمالاً، وحضر محمد بن ياقوت للحجبة، ومعه كاتبه أبو إسحاق القراريطي، فخرج الخدم إلى محمد بن ياقوت فاستدعوه إلى الخليفة، فدخل مبادراً، فعدلوا به إلى حجرة هناك، فحبسوه فيها، ثم استدعوا القراريطي فدخل فعدلوا به إلى حجرة أخرى، ثم استدعوا المظفر بن ياقوت من بيته، وكان مخموراً، فحضر، فحبسوه أيضاً.

وأنفذ الوزير أبو علي بن مُقلة إلى دار محمد يحفظها من النهب، وكان ياقوت حينئذ مقيماً بواسط، فلما بلغه القبض على ابنيه انحدر يطلب فارس ليحارب ابن بُويه، وكتب إلى الراضي يستعطفه، ويسأله إنفاذ ابنيه ليساعداه على حروبه، فاستبدّ ابن مقلة بالأمر. (٣٠٦/٨)

ذكر حال البريدي

وفيها قوي أمر عبد اللّه البريدي، وعظم شأنه.

وسبب ذلك أنه كان ضامناً أعمال الأهواز، فلما استولى عليها عسكر مرداويج وانهزم ياقوت، كما ذكرنا، عاد البريدي إلى البصرة، وصار يتصرف في أسافل أعمال الأهواز، مضافاً إلى كتابة ياقوت، وسار إلى ياقوت فأقام معه بواسط.

فلما قبض على ابني ياقوت كتب ابن مُقلة إلى ابن البريدي يأمره أن يسكّن ياقوتاً، ويعرفه أن الجند اجتمعوا وطلبوا القبض على ولديه، فقُبضا تسكيناً للجند، وأنهما يسيران إلى أبيهما عن قريب، وأن الرأي أن يسير هو لفتح فارس، فسار ياقوت من واسط على طريق السُّوس، وسار البريدي على طريق الماء إلى الأهواز، وكان إلى أخويه أبي الحسين وأبي يوسف ضمان السوس وجُنديسابور، وادّعيا أن دَخْل البلاد لسنة اثنتين وعشرين [وثلاثمائة] أخذه عسكر مرداويج، وأن دَخْل سنة ثلاث وعشرين [وثلاثمائة] لا يحصل منه شيء لأن نواب مرداويج، ظلموا الناس، فلم يبق لهم ما يزرعونه.

وكان الأمر بضد ذلك في السنتين، فبلغ ذلك الوزير ابن مُقلة، فأنفذ نائباً له ليحقق الحال، فواطأ ابني البريدي، وكتب يصدقهم، فحصل لهم (٣٠٧/٨) بذلك مال عظيم، وقويت حالهم، وكان مبلغ ما أخذوه أربعة آلاف ألف دينار.

وأشار ابن البريدي على ياقوت بالمسير إلى أرّجان لفتح فارس، وقام هو بجباية الأموال من البلاد، فحصل منها ما أراد.

فلما سار ياقوت إلى فارس في جموعه لقيه ابن بويه بباب أرّجان، فانهزم أصحاب ياقوت، وبقي إلى آخرهم، ثم انهزم وسار ابن بويه خلفه إلى رَامَهُرْمُز، وسار ياقوت إلى عسكر مُكْرَم، وأقام ابن بويه برَامَهُرْمُز إلى أن وقع الصلح بينهما.

ذكر فتنة الحنابلة ببغداد

وفيها عظم أمر الحنابلة، وقويت شوكتهم، وصاروا يكبسون من دور القوّاد والعامة، وإن وجدوا نبيذاً أراقوه، وإن وجدوا مغنّية ضربوها وكسروا آلة الغناء، واعترضوا في البيع والشراء، ومشى الرجال مع النساء والصبيان، فإذا رأوا ذلك سألوه عن الذي معه مَن هو، فأخبرهم، وإلا ضربوه وحملوه إلى صاحب الشرطة، وشهدوا عليه بالفاحشة، فأرهجوا بغداد.

فركب بدر الخرشَنيُّ، وهو صاحب الشرطة، عاشر جمادى الآخرة، ونادى في جانبي بغداد، في أصحاب أبي محمد البربهاري الحنابلة، ألا يجتمع (٣٠٨/٨) منهم اثنان ولا تناظروا في مذهبهم ولا يصلي منهم إماماً إلا إذا جهر ببسم اللّه الرحمن الرحيم في صلاة الصبح والعشاءَين، فلم يفد فيهم، وزاد شرهم وفتنتهم، واستظهروا بالعميان الذين كانوا يأوون المساجد، وكانوا إذا مرّ بهم شافعيُّ المذهب أغروا به العميان، فيضربونه بعصيّهم، حتى يكاد يموت.

فخرج توقيع الراضي بما يُقرأ على الحنابلة ينكر عليهم فعلهم، ويوبّخهم باعتقاد التشبيه وغيره، فمنه تارة أنكم تزعمون أن صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين، وهيئتكم الرذلة على هيئته، وتذكرون الكفّ والأصابع والرجلين والنعلين المذهّبين، والشعر القطط، والصعود إلى السماء، والنزول إلى الدنيا، تبارك اللّه عما يقول الظالمون والجاحدون، علوّاً كبيراً، ثم طعنكم على خيار الأئمة، ونسبتكم شيعة آل محمدﷺ إلى الكفر والضلال، ثم استدعاؤكم المسلمين إلى الدين بالبدع الظاهرة والمذاهب الفاجرة التي لا يشهد بها القرآن، وإنكاركم زيارة قبور الأئمة، وتشنيعكم على زوّارها بالابتداع، وأنتم مع ذلك تجتمعون على زيارة قبر رجل من العوام ليس بذي شرف، ولا نسب، ولا سبب برسول اللّهﷺ وتأمرون بزيارته، وتدّعون له معجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء، فلعن اللّه شيطاناً زيّن لكم هذه المنكرات، وما أغواه. (٣٠٩/٨)

وأمير المؤمنين يقسم باللّه قسماً جهداً إليه يلزمه الوفاء به لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم ومعوجّ طريقتكم ليوسعنّكم ضرباً وتشريداً، وقتلاً وتبديداً، وليستعملنّ السيف في رقابكم، والنار في منازلكم ومحالّكم.

ذكر قتل أبي العلاء بن حمدان

وفيها قتل ناصرُ الدولة أبو محمد الحسن بن عبد اللّه بن حمدان عمّه أبا العلاء بن حمدان.

وسبب ذلك أن أبا العلاء سعيد بن حمدان ضمن الموصل وديار ربيعة سرّاً، وكان بها ناصر الدولة ابن أخيه أميراً، فسار عن بغداد في خمسين رجلاً، وأظهر أنه متوجه ليطلب مال الخليفة من ابن أخيه، فلما وصل إلى الموصل خرج ابن أخيه إلى تلقّيه، وقصد مخالفة طريقه، فوصل أبو العلاء، ودخل دار ابن أخيه، وسأل عنه فقيل: إنه خرج إلى لقائك، فقعد ينتظره، فلما علم ناصر الدولة بمقامه في الدار أنفذ جماعة من غلمانه، فقبضوا عليه ثم أنفذ جماعة غيرهم فقتلوه.

ذكر مسير ابن مقلة إلى الموصل وما كان بينه وبين ناصر الدولة

لما قتل ناصر الدولة عمّه أبا العلاء واتصل خبره بالراضي عظم ذلك عليه وأنكره، وأمر ابن مُقلة بالمسير إلى الموصل، فسار إليها في العساكر (٣١٠/٨) في شعبان، فلما قاربها رحل عنها ناصر الدولة بن حمدان، ودخل الزَّوْزَان، وتبعه الوزير إلى جبل التِّنّين، ثم عاد عنه وأقام بالموصل يجبي مالها.

ولما طال مقامه بالموصل احتال بعض أصحاب ابن حمدان على ولد الوزير، وكان ينوب عنه في الوزارة ببغداد، فبذل له عشرة آلاف دينار ليكتب إلى أبيه يستدعيه، فكتب إليه يقول إن الأمور بالحضرة قد اختلّت، وإن تأخر لم يأمن حدوث ما يبطل به أمرهم،

فانزعج الوزير لذلك، واستعمل على الموصل علي بن خلف بن طبّاب وماكرد الديلمي، وهو من الساجية، وانحدر إلى بغداد منتصف شوال.

فلما فارق الموصل عاد إليها ناصر الدولة بن حمدان فاقتتل هو وماكرد الديلمي، فانهزم ابن حمدان، ثم عاد وجمع عسكراً آخر، فالتقوا على نصيبين في ذي الحجة، فانهزم ماكرد إلى الرّقة، وانحدر منها إلى بغداد، وانحدر أيضاً ابن طبّاب، واستولى ابن حمدان على الموصل والبلاد، وكتب إلى الخليفة يسأله الصفح، وأن يضمن البلاد، فأُجيب إلى ذلك واستقرت البلاد عليه.

ذكر فتح جنوة وغيرها

في هذه السنة سيّر القائم العلوي جيشاً من إفريقية في البحر إلى ناحية الفرنج، ففتحوا مدينة جنوة ومروا بسردانية فأوقعوا بأهلها، وأحرقوا مراكب كثيرة، ومروا بقَرقِيسيا فأحرقوا مراكبها وعادوا سالمين. (٣١١/٨)

ذكر القرامطة

في هذه السنة خرج الناس إلى الحج، فلما بلغوا القادسية اعترضهم أبو ظاهر القُرمُطي ثاني عشر ذي القعدة، فلم يعرفوه، فقاتله أصحاب الخليفة، وأعانهم الحجّاج، ثم التجؤوا إلى القادسية، فخرج جماعة من العلويين بالكوفة إلى أبي طاهر، فسألوه أن يكفّ عن الحجّاج، فكفّ عنهم، وشرط عليهم أن يرجعوا إلى بغداد، فرجعوا، ولم يحجّ بهذه السنة من العراق أحد، وسار أبو طاهر إلى الكوفة فأقام بها عدة أيام ورحل عنها.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة، في المحرّم، قلّد الراضي باللّه ولديه أبا جعفر وأبا الفضل ناحيتي المشرق والمغرب مما بيده، وكتب بذلك إلى البلاد.

وفيها، في ليلة الثاني عشر من ذي القعدة، وهي الليلة التي أوقع القرمطي بالحجّاج، انقضّت الكواكب من أول الليل إلى آخره انقضاضاً دائماً مسرفاً جداً لم يُعهد مثله.

وفيها مات أبو بكر محمد بن ياقوت، في الحبس، بنفث الدم، فأُحضر القاضي والشهود، وعُرض عليهم، فلم يروا به أثر ضرب ولا خنق، (٣١٢/٨) وجذبوا شعره فلم يكن مسموماً، فسُلّم إلى أهله، وأخذوا ماله وأملاكه ومعامليه ووكلاءه وكل من يخالطه.

وفيها كان بخراسان غلاء شديد، ومات من أهلها خلق كثير من الجوع، فعجز الناس عن دفنهم، فكانوا يجمعون الغرباء والفقراء في دار إلى أن يتهيأ لهم تكفينهم ودفنهم.

وفيها جهز عماد الدولة بن بويه أخاه ركن الدولة الحسن إلى بلاد الجبل، وسير معه العساكر بعد عوده لما قُتل مرداويج، فسار إلى أصبهان، فاستولى عليها، وأزال عنها وعن عدة من بلاد الجبل نوّاب وشمكير، وأقبل وشمكير وجهز العساكر نحوه، وبقي هو ووشمكير يتنازعان تلك البلاد، وهي أصبهان، وهمذان، وقُم، وقاجَان، وكَرج، والرّي، وكنكور، وقزوين وغيرها.

وفيها، في آخر جمادى الآخرة، شغب الجند ببغداد ، وقصدوا دار الوزير أبي علي بن مقلة وابنه، وزاد شغبهم، فمنعهم أصحاب ابن مقلة، فاحتال الجند ونقبوا دار الوزير من ظهرها، ودخلوها، وملكوها وهرب الوزير وابنه إلى الجانب الغربي، فلما سمع الساجية بذلك ركبوا إلى دار الوزير، ورفقوا بالجند فردّوهم، وعاد الوزير وابنه إلى منازلهما.

واتّهم الوزير بإثارة هذه الفتنة بعض أصحاب ابن ياقوت، فأمر فنودي أن لا يقيم أحد منهم بمدينة السلام، ثم عاود الجند الشغب حادي عشر ذي الحجة، ونقبوا دار الوزير عدة نقوب، فقاتلهم غلمانه ومنعوهم، فركب صاحب الشرطة، وحفظ السجون حتى لا تُفتح، ثم سكنوا من الشغب.

وفي هذه السنة أُطْلِقَ المظفّر بن ياقوت من حبس الراضي باللّه بشفاعة الوزير (٣١٣/٨) ابن مقلة، وحلف للوزير أنه يواليه ولا ينحرف عنه، ولا يسعى له ولا لولده بمكروه، فلم يفِ له ولا لولده ووافق الحجرية عليه، فجرى في حقّه ما يكره.

وكان المظفّر حقد على الوزير حين قُتل أخوه لأنه اتّهمه أنه سمّه.

وفيها أرسل ابن مقلة رسولاً إلى محمد بن رائق بواسط، وكان قد قطع الحمل عن الخليفة، فطالبه بارتفاع البلاد واسط والبصرة وما بينهما، فأحسن إلى الرسل وردهم برسالة ظاهرة إلى ابن مقلة مغالطة، وأخرى باطنة إلى الخليفة الراضي باللّه وحده، مضمونها أنه إن استدعي إلى الحضرة وفُوّضت إليه الأمور وتدبير الدولة قام بكل ما يحتاج إليه من نفقات الخليفة وأرزاق الجند، فلما سمع الخليفة الرسالة لم يُعد إليه جوابها.

وفيها توفي أبو عبد اللّه محمد بن إبراهيم بن عبدويه بن سدوس الهذلي من ولد عتبة بن مسعود بالكوفة، وهو من نيسابور، وإبراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه النحوي، وله مصنفات، وهو من ولد المهلّب بن أبي صُفرة. (٣١٤/٨)

سنة أربع وعشرين وثلاثمائة

ذكر القبض على ابن مقلة ووزارة عبد الرحمن بن عيسى

لما عاد الرسل من عند ابن رائق بغير مال رأى الوزير أن يسير ابنه، فتجهّز، وأظهر أنه يريد الأهواز، فلما كان منتصف جمادى الأولى حضر الوزير دار الراضي لينفذ رسولاً إلى ابن رائق يُعرّفه عزمه على قصد الأهواز لئلا يستوحش لحركته فيحتاط، فلما دخل الدار قبض عليه المظفّر بن ياقوت والحجرية، وكان المظفّر قد أُطلق من محبسه على ما نذكره.

ووجهوا إلى الراضي يعرّفونه ذلك، فاستحسن فعلهم، واختفى أبو الحسين بن أبي علي بن مقلة وسائر أولاده وحُرَمه وأصحابه، وطلب الحجرية والساجية من الراضي أن يستوزر وزيراً، فردّ الاختيار إليهم، فأشاروا بوزارة علي بن عيسى، فأحضره الراضي للوزارة، فامتنع وأشار بأخيه عبد الرحمن فاستوزره، وسلّم إليه ابن مقلة فصادره وصرف بدراً الخَرَشنيَّ عن الشرطة، ثم عجز عبد الرحمن عن تمشية الأمور وضاق عليه، فاستعفى [من] الوزارة. (٨/٣١٥)

ذكر القبض على عبد الرحمن ووزارة أبي جعفر الكَرخي

لما ظهر عجز عبد الرحمن للراضي، ووقوف الأمور، قبض عليه وعلى أخيه علي بن عيسى، فصادره على مائة ألف دينار، وصادر أخاه عبد الرحمن بسبعين ألف دينار.

ذكر قتل ياقوت

وفي هذه السنة قُتل ياقوت بعسكر مُكرَم.

وكان سبب قتله ثقته بأبي عبد اللّه البريدي فخانه، وقابل إحسانه بالإساءة على ما نذكره.

وقد ذكرنا أن أبا عبد اللّه ارتسم بكتابة ياقوت مع ضمان الأهواز، فلما كتب إليه وثق به وعوّل على ما يقوله، وكان إذا قيل له شيء في أمره وخُوّف من شره يقول: إن أبا عبد اللّه ليس كما تظنون، لأنه لا يحدّث نفسه بالإمرة، وقود العساكر، وإنما غايته الكتابة. فاغترّ بهذا منه.

وكان، رحمه اللّه، سليم القلب، حسن الاعتقاد، فلهذا لم يخرج عن طاعة الخليفة حين قبض على ولديه بل دام على الوفاء.

(٨/٣١٦) فأما حاله مع البريدي، فإنه لما عاد مهزوماً من عماد الدولة بن بويه إلى عسكر مُكرَم كتب إليه أبو عبد اللّه أن يقيم بعسكر مُكرَم ليستريح، ويقع التدبير بعد ذلك، وكان بالأهواز، وهو يكره الاجتماع معه في بلد واحد، فسمع ياقوت قوله وأقام، فأرسل إليه أخاه أبا يوسف البريدي يتوجّع له ويهنّيه بالسلامة، وقرر القاعدة على أن يحمل له أخوه من مال الأهواز خمسين ألف دينار، واحتج بأن عنده من الجند خلقاً كثيراً منهم البربر، والشفيعيّة، والنازوكيّة، والبليقيّة، والهارونيّة. كان ابن مقلة قد ميّز هذه الأصناف من عسكر بغداد وسيّرهم إلى الأهواز ليخفّ عليه مؤونتهم، فذكر أبو يوسف أن هؤلاء متى رأوا المال يخرج عنهم إليك شغبوا، ويحتاج أبو عبد اللّه إلى مفارقة الأهواز، ثم يصير أمرهم إلى أنهم يقصدونك ولا نعلم كيف يكون الحال؛ ثم قال له: إن رجالك مع سوء أثرهم يقنعون بالقليل.

فصدّقه ياقوت فيما قال: وأخذ ذلك المال وفرقّه، وبقي عدة شهور لم يصله منه شيء، إلى أن دخلت سنة أربع وعشرين [وثلاثمائة] فضاق الرزق على أصحاب ياقوت، واستغاثوا، وذكروا ما فيه أصحاب البريدي بالأهواز من السعة، وما هم فيه من الضيق.

وكان قد اتصل بياقوت طاهر الجيليُّ، وهو من كبار أصحاب ابن بويه، في ثمانمائة رجل، وهو من أرباب المراتب العالية، وممن يسمو إلى معالي الأمور.

وسبب اتصاله به خوفه من ابن بويه أن يقبض عليه خوفاً منه، فلما رأى حال ياقوت انصرف عنه إلى غربي تُستَر، وأراد أن يتغلّب على ماه البصرة، وكان معه أبو جعفر الصَّيمري، وهو كاتبه، فسمع به عماد الدولة بن بويه، فكبسه، فانهزم هو وأصحابه، واستولى ابن بويه على عسكره وغنمه، وأسر (٨/٣١٧) الصَّيمري، فأطلقه الخيّاط وزير عماد الدولة بن بويه، فمضى إلى كَرمان، واتصل بالأمير معزّ الدولة أبي الحسن بن بويه وكان ذلك سبب إقباله.

فلما سار طاهر من عند ياقوت ضعفت نفسه، واستطال عليه أصحابه، فخافهم، وراسل البريدي، وعرّفه ما هو فيه، وأعلمه أنّ معوّله على ما يدبّره به، فأنفذ إليه البريدي يقول: إنّ عسكرك قد فسدوا، وفيهم مَن ينبغي أن يخرج، والرأي أن يُنفذهم إليه ليستصلحهم، فإنه له أشغال تمنعه أن يحضر عنده، ولو حضر عنده، والجند مجتمعون، لم يتمكّن من الانتصاف منهم لأنهم يظاهر بعضهم بعضاً، وإذا حضروا عنده بالأهواز متفرقين فعل بهم ما أراد ولا يمكنهم خلافه.

ففعل ذلك ياقوت، وأنفذ أصحابه إليه، فاختار منهم مَن أراد لنفسه، وردّ مَن لا خير فيه إلى ياقوت، بعد أن كسرهم وأسقط من أرزاقهم، فقيل ذلك لياقوت، فأشير عليه بمعاجلة البريدي قبل أن يستفحل أمره، فلم يلتفت وقال: إنما جعلتُهم عنده عدة لي.

وأحسن البريدي إلى من عنده من الجند، فقال أصحاب ياقوت له في ذلك، وطلبوا أرزاقهم التي قررها البريدي، فكتب إليه فلم ينفذ شيئاً، فراجعه فلم ينفذ شيئاً، فسار ياقوت إليه جريدة لئلا يستوحش منه، فلما بلغه ذلك خرج إلى لقائه، وقبّل يده وقدمه،

وأنزله داره، وقام بين يديه، وقدّم (٣١٨/٨) بنفسه الطعام ليأكل.

وكان قد وضع الجند على إثارة الفتنة، فحضروا الباب وشغبوا واستغاثوا، فسأل ياقوت عن الخبر، فقيل له: إن الجند بالأبواب قد شغبوا، ويقولون قد اصطلح ياقوت والبريدي، ولا بد لنا من قتل ياقوت؛ فقال له البريديُّ: قد ترى ما دُفعنا إليه، فانجُ بنفسك وإلا قُتلنا جميعاً! فخرج من باب آخر خائفاً يترقّب، ولم يفاتح البريدي بكلمة واحدة، وعاد إلى عسكر مُكرَم؛ فكتب إليه البريدي يقول له: إن العسكر الذين شغبوا قد اجتهدتُ في إصلاحهم وعجزتُ عن ذلك، ولست آمنهم أن يقصدوك، وبين عسكر مُكرَم والأهواز ثمانية فراسخ، والرأي أن تتأخر إلى تُستَر لتبعد عنهم، وهي حصينة؛وكتب له على عامل تُستَر بخمسين ألف دينار.

فسار ياقوت إليها، وكان له خادم اسمه مؤنس، فقال: أيها الأمير إن البريدي [يحزُّ مفاصلنا] ويفعل بنا ما ترى، وأنت مُغتَر به، وهو الذي وضع الجند بالأهواز حتى فعلوا ذلك، وقد شرع في إبعادك بعد أن أخذ وجوه أصحابك، وقد أطلق لك ما لا يقوم بأوَد أصحابك الذين عندك، وما أعطاك ذلك أيضاً إلا حتى تتبلّغ به، وتضيق الأرزاق علينا، ويفنى ما لنا من دابة وعُدة فننصرف عنك على أقبح حال، فحينئذ يبلغ منك ما يريده، فاحفظ نفسك منه، ولا تأمنه، ولم يثق للجند الحجرية ببغداد شيخ غيرك، وقد كاتبوك، فسر إليهم، فكل من ببغداد يسلّم إليك الرئاسة، (٣١٩/٨) فإن فعلت، وإلا فسر بنا إلى الأهواز لنطرد البريدي عنها وإن كان أكثر منا، فأنت أمير وهو كاتب.

فقال: لا تقُل في أبي عبد اللّه هذا، فلو كان لي أخ ما زاد على محبته.

ثم إن ياقوتاً ظهر منه ما يدل على ضعفه وعجزه عن البريدي، فضعفت نفوس أصحابه، وصار كل ليلة يمضي منهم طائفة إلى البريدي، فإذا قيل ذلك لياقوت يقول: إلى كاتبي يمضون؛ فلم يزل كذلك حتى بقي في ثمانمائة رجل.

ثم إن الراضي قبض على المظفر بن ياقوت في جمادى الأولى، وسجنه أسبوعاً ثم أطلقه وسيّره إلى أبيه، فلما اجتمع به بتُستَر أشار عليه بالمسير إلى بغداد، فإن دخلها فقد حصل له ما يريد، وإلا سار إلى الموصل وديار ربيعة فاستولى عليها، فلم يسمع منه، ففارقه ولده إلى البريدي، فأكرمه وجعل موكّلين يحفظونه.

ثم إن البريدي خاف مَن عنده من أصحاب ياقوت أن يعاودوا الميل والعصبية له، وينادوا بشعاره، فيهلك، فأرسل إلى ياقوت يقول له: إن كتاب الخليفة ورد علي يأمرني أن لا أتركك تقيم بهذه البلاد، وما يمكنني مخالفة السلطان، وقد أمرني أن أخيّرك إما أن تمضي إلى حضرته في خمسة عشر غلاماً، وإما إلى بلاد الجبل ليولّيك بعض الأعمال، فإن خرجتَ طائعاً، وإلا أخرجتُك قهراً.

فلما وصلت الرسالة إلى ياقوت تحيّر في أمره، واستشار مؤنساً غلامه، فقال له: قد نهيتُك عن البريدي وما سمعتَ، وما بقي للرأي وجه؛ فكتب ياقوت يستمهله شهراً ليتأهّب، وعلم حينئذٍ خبث البريدي حيث لا ينفعه عمله.

(٣٢٠/٨) فلما وصل كتاب ياقوت يطلب المهلة أجابه أنه لا سبيل إلى المهلة، وسيّر العساكر من الأهواز إليه، فأرسل ياقوت الجواسيس ليأتوه بالأخبار، فظفر البريدي بجاسوس، فأعطاه مالاً على أن يعود إلى ياقوت ويخبره أن البريدي وأصحابه قد وافوا عسكر مُكرَم، ونزلوا في الدور متفرّقين مطمئنين، فمضى الجاسوس وأخبر ياقوتاً بذلك، فأحضر مؤنساً وقال: قد ظفرنا بعدونا وكافر نعمتنا؛ وأخبره بما قال الجاسوس، وقال: نسير من تُستَر العتمة، ونصبح عسكر مُكرَم وهم غارّون، فنكبسهم في الدور، فإن وقع البريدي فاللّه مشكور، وإن هرب اتّبعناه.

فقال مؤنس: ما أحسن هذا إن صح وإن كان الجاسوس صادقاً! فقال ياقوت: إنه يحبني ويتولاني وهو صادق؛ فسار ياقوت فوصل إلى عسكر مُكرم طلوع الشمس، فلم ير للعسكر أثراً، فعبر البلد إلى نهر جارود، وخيّم هناك، وبقي يومه ولا يرى لعسكر البريدي أثراً، فقال له مؤنس: إن الجاسوس كذبنا، وأنت تسمع كلام الكاذبين، وإنني خائف عليك.

فلما كان بعد العصر أقبلت عساكر البريدي، فنزلوا على فرسخ من ياقوت، وحجز بينهم الليل، وأصبحوا الغد، فكانت بينهم مناوشة، واتّعدوا للحرب الغد.

وكان البريدي قد سيّر عسكراً من طريق أخرى ليصيروا وراء ياقوت من حيث لا يشعر، فيكون كميناً يظهر عند القتال فهم ينتظرونه، فلما كان الموعد باكروا القتال، فاقتتلوا من بُكرة إلى الظهر، وكان عسكر البريدي قد أشرف على الهزيمة مع كثرتهم، وكان مقدّمهم أبا جعفر الحمّال. فلما جاء الظهر ظهر الكمين من وراء عسكر ياقوت، فردّ إليهم مؤنساً في ثلاثمائة (٣٢١/٨) رجل، فقاتلهم وهم في ثلاثة آلاف رجل، فعاد مؤنس منهزماً، فحينئذ انهزم أصحاب ياقوت، وكانوا، سوى الثلاثمائة، خمسمائة، فلما رأى ياقوت ذلك نزل عن دابته، وألقى سلاحه، وجلس بقميص إلى جانب جدار رباط. ولو دخل الرباط واستتر فيه لخفي أمره، وكان أدركه الليل، فربما سلم، ولكن اللّه إذا أراد أمراً هيأ أسبابه، وكان أمر اللّه قدراً مقدوراً.

فلما جلس مع الحائط غطى وجهه بكمه، ومد يده كأنه يتصدّق ويستحيي [أن] يكشف وجهه، فمر به قوم من البربر من أصحاب البريدي فأنكروه، فأمروه بكشف وجهه فامتنع، فنخسه أحدهم

بمزراق معه، فكشف وجهه وقال: أنا ياقوت، فما تريدون مني؟ احملوني إلى البريدي؛ فاجتمعوا عليه فقتلوه وحملوا رأسه إلى العسكر، وكتب أبو جعفر الحمّال كتاباً إلى البريدي على جناح طائر يستأذنه في حمل رأسه إلى العسكر، فأعاد الجواب بإعادة الرأس إلى الجثة وتكفينه ودفنه، وأُسر غلامه مؤنس وغيره من قوّاده فقُتلوا، وأرسل البريدي إلى تُستَر فحمل ما فيها لياقوت من جوار ومال وغير ذلك، فلم يظهر لياقوت غير اثني [عشر] ألف دينار، فحمل الجميع إليه، وقبض على المظفر بن ياقوت فبقي في حبس البريدي مدة ثم نفّذه إلى بغداد.

وتجبّر البريدي بعد قتل ياقوت وعصى، وقد أطلنا في ذكر هذه الحادثة وإنما ذكرناها على طولها لما فيها من الأسباب المحرِّضة على الاحتياط والاحتراز، فإنها من أولها إلى آخرها فيها تجارب وأمور يكثر وقوع مثلها. (٣٢٢/٨)

ذكر عزل أبي جعفر ووزارة سليمان بن الحسن

لما تولّى الوزير أبو جعفر الكرخي، على ما تقدّم، رأى قلة الأموال وانقطاع المواد، فازداد عجزاً إلى عجزه، وضاق عليه الأمر.

وما زالت الإضافة تزيد، وطمع مَن بين يديه من المعاملين فيما عنده من الأموال، وقطع ابن رائق حمل واسط والبصرة، وقطع البريدي حمل الأهواز وأعمالها، وكان ابن بويه قد تغلّب على فارس، فتحيّر أبو جعفر، وكثرت المطالبات عليه، ونقصت هيبته، واستتر بعد ثلاثة أشهر ونصف من وزارته، فلما استتر استوزر الراضي أبا القاسم سليمان بن الحسن، فكان في الوزارة كأبي جعفر في وقوف الحال وقلة المال.

ذكر استيلاء ابن رائق على أمر العراق وتفرّق البلاد

لما رأى الراضي وقوف الحال عنده ألجأته الضرورة إلى أن راسل أبا بكر محمد بن رائق، وهو بواسط، يعرض عليه إجابته إلى ما كان بذله من القيام بالنفقات وأرزاق الجند ببغداد، فلما أتاه الرسول بذلك فرح به، وشرع يتجهّز للمسير إلى بغداد، فأنفذ إليه الراضي الساجية، وقلّده إمارة الجيش، وجعله (٣٢٣/٨) أمير الأمراء، وولاه الخراج والمعاون في جميع البلاد والدواوين، وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر، وأنفذ إليه الخِلَع.

وانحدر إليه أصحاب الدواوين والكتّاب والحجّاب، وتأخر الحجريّة عن الانحدار، فلما استقر الذين انحدروا إلى واسط قبض ابن رائق على الساجية سابع ذي الحجة، ونهب رحلهم ومالهم ودوابهم، وأظهر أنه إنما فعل ذلك لتتوفر أرزاقهم على الحجرية، فاستوحش الحجرية من ذلك وقالوا: اليوم لهؤلاء وغداً لنا؛ وخيّموا بدار الخليفة، فأُصعد ابن رائق إلى بغداد ومعه بجكم، وخلع الخليفة عليه أواخر ذي الحجة، وأتاه الحجرية يسلّمون عليه، فأمرهم بقلع خيامهم، فقلعوها وعادوا إلى منازلهم.

وبطلت الدواوين من ذلك الوقت، وبطلت الوزارة، فلم يكن الوزير ينظر في شيء من الأمور إنما كان ابن رائق وكاتبه ينظران في الأمور جميعها، وكذلك كل من تولى إمرة الأمراء بعده، وصارت الأموال تُحمل إلى خزائنهم فيتصرفون فيها كما يريدون ويطلقون للخليفة ما يريدون، وبطلت بيوت الأموال، وتغلّب أصحاب الأطراف، وزالت عنهم الطاعة، ولم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها، والحكم في جميعها لابن رائق ليس للخليفة حكم.

وأما باقي الأطراف فكانت البصرة في يد ابن رائق؛ وخوزستان في يد البريدي؛ وفارس في يد عماد الدولة بن بويه؛ وكرمان في يد أبي علي محمد بن إياس؛ والرَّي وأصبهان والجبل في يد ركن الدولة بن بويه ويد وشمكير أخي مرداويج يتنازعان عليها؛ والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في يد بني حمدان؛ ومصر والشام في يد محمد بن طُغْج؛ والمغرب وإفريقية في يد أبي القاسم القائم بأمر اللّه بن المهدي العلوي، وهو الثاني منهم، ويلقّب بأمير (٣٢٤/٨) المؤمنين؛ والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الأموي؛ وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن أحمد الساماني؛ وطبرستان وجُرجان في يد الديلم؛ والبحرين واليمامة في يد أبي طاهر القُرمُطي.

ذكر مسير مُعزّ الدولة بن بويه إلى كَرمان وما جرى عليه بها

في هذه السنة سار أبو الحسين أحمد بن بُويه، الملقّب بمُعز الدولة، إلى كرمان.

وسبب ذلك أن عماد الدولة بن بويه وأخاه ركن الدولة لما تمكّنا من بلاد فارس وبلاد الجبل، وبقي أخوهما الأصغر أبو الحسين أحمد بغير ولاية يستبد بها، رأيا أن يسيّراه إلى كرمان، ففعلا ذلك، وسار إلى كرمان في عسكر ضخم شجعان، فلما بلغ السيرجان استولى عليها، وجبى أموالها وأنفقها في عسكره.

وكان إبراهيم بن سيمجور الدواتيُّ يحاصر محمد بن إلياس بن أليسع بقلعة هناك، بعساكر نصر بن أحمد صاحب خراسان، فلما بلغه إقبال معز الدولة سار عن كرمان إلى خراسان، ونفّس عن محمد بن إلياس، فتخلص من القلعة، وسار إلى مدينة بَمّ، وهي على طرف المفازة بين كرمان وسِجستان، فسار إليه أحمد بن بويه، فرحل من مكانه إلى سِجستان بغير قتال، فسار أحمد إلى جِيرَفْت، وهي قصبة كرمان، واستخلف على بَم بعض أصحابه.

فلما قارب جيرَفت أتاه رسول علي بن الزنجي المعروف بعلي (٣٢٥/٨) كَلويه، وهو رئيس القُفص، والبَلُوص، وكان هو وأسلافه متغلبين على تلك الناحية، إلا أنهم يجاملون كل سلطان يرد البلاد، ويطيعونه، ويحملون إليه مالاً معلوماً ولا يطؤون بساطه، فبذل لابن بويه ذلك المال، فامتنع أحمد من قبوله إلا بعد دخول جيرفت، فتأخر علي بن كلويه نحو عشرة فراسخ، ونزل بمكان صعب المسلك، ودخل أحمد بن بويه جيرَفت واصطلح هو وعلي، وأخذ رهائنه وخطب له.

فلما استقر الصلح وانفصل الأمر أشار بعض أصحاب ابن بويه عليه بأن يقصد علياً ويغدر به، ويسري إليه سرّاً على غفلة، وأطمعه في أمواله، وهوّن عليه أمره بسكونه إلى الصلح، فأصغى الأمير أبو الحسين أحمد إلى ذلك، لحداثة سنه، وجمع أصحابه وأسرى نحوهم جريدة.

وكان علي محترزاً ومَن معه قد وضعوا العيون على ابن بويه، فساعة تحرك بلغته الأخبار، فجمع أصحابه ورتّبهم بمضيق على الطريق، فلما اجتاز بهم ابن بويه ثاروا به ليلاً من جوانبه، فقتلوا في أصحابه، وأسروا، ولم يُفلت منهم إلاّ اليسير، ووقعت بالأمير أبي الحسين ضربات كثيرة، ووقعت ضربة منها في يده اليسرى فقطعتها من نصف الذراع، وأصاب يده اليمنى ضربة أخرى سقط [منها] بعض أصابعه، وسقط مثخناً بالجراح بين القتلى، وبلغ الخبر بذلك إلى جيرَفت فهرب كل من كان بها من أصحابه.

ولما أصبح علي كلويه تتبّع القتلى، فرأى الأمير أبا الحسين قد أشرف على التلف، فحمله إلى جيرَفت، وأحضر له الأطباء، وبالغ في علاجه، واعتذر (٣٢٦/٨) إليه، وأنفذ رسله يعتذر إلى أخيه عماد الدولة بن بويه، ويعرّفه غدر أخيه، ويبذل من نفسه الطاعة، فأجابه عماد الدولة إلى ما بذله، واستقر بينهما الصلح، وأطلق علي كل مَن عنده من الأسرى وأحسن إليهم.

ووصل الخبر إلى محمد بن إلياس بما جرى على أحمد بن بويه، فسار من سِجستان إلى البلد المعروف بجنّابة، فتوجه إليه ابن بويه، وواقعه ودامت الحرب بينهما عدة أيام، فانهزم ابن إلياس، وعاد أحمد بن بويه ظافراً، وسار نحو علي كلويه لينتقم منه، فلما قاربه أسرى إليه في أصحابه الرجّالة، فكبسوا عسكره ليلاً في ليلة شديدة المطر، فأثّروا فيهم وقتلوا ونهبوا وعادوا، وبقي ابن بويه باقي ليلته؛ فلما أصبح سار نحوهم، فقتل منهم عدداً كثيراً، وانهزم علي كلويه.

وكتب ابن بويه إلى أخيه عماد الدولة بما جرى له معه ومع ابن إلياس وهزيمته، فأجابه أخوه يأمره بالوقوف بمكانه ولا يتجاوزه، وأنفذ إليه قائداً من قوّاده يأمره بالعود إليه إلى فارس، ويُلزمه بذلك، فعاد إلى أخيه، وأقام عنده بإصطَخْر إلى أن قصدهم أبو عبد الله البريدي منهزماً من ابن رائق وبجكم، فأطمع عماد الدولة في العراق، وسهّل عليه ملكه، فسيّر معه أخاه معز الدولة أبا الحسين، على ما نذكره سنة ست وعشرين وثلاثمائة.

ذكر استيلاء ماكان على جُرجان

وفي هذه السنة استولى ماكان بن كالي على جُرجان.

وسبب ذلك أننا ذكرنا أولاً أن ماكان لما عاد من جرجان أقام بنَيسابور، (٣٢٧/٨) وأقام بانجين بجُرجان، فلما كان بعد ذلك خرج بانجين يلعب بالكرة، فسقط عن دابته فوقع ميتاً.

وبلغ خبره ماكان بن كالي، وهو بنيسابور، وكان قد استوحش من عارض جيش خراسان، فاحتج علي [بن] محمد بن المظفر صاحب الجيش بخراسان بأن بعض أصحابه قد هرب منه، وأنه قد يخرج في طلبه، فأذن له في ذلك، وسار عن نيسابور إلى أسفرايين، فأنفذ جماعة من عسكره إلى جُرجان واستولوا عليها، فأظهر العصيان على محمد بن المظفّر، وسار من أسفرايين إلى نيسابور، مغافصةً، وبها محمد بن المظفّر، فخذل محمداً أصحابُه ولم يعاونوه، وكان في قلة من العسكر غير مستعد له، فسار نحو سَرْخَس، وعاد ماكان من نيسابور خوفاً من اجتماع العساكر عليه، وكان ذلك في شهر رمضان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة.

ذكر وزارة الفضل بن جعفر للخليفة

وفيها كتب ابن رائق كتاباً عن الراضي إلى أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات يستدعيه ليجعله وزيراً، وكان يتولى الخراج بمصر والشام؛ وظن ابن رائق أنه إذا استوزره جبى له أموال الشام ومصر، فقدم إلى بغداد، ونفذت له الخِلَع قبل وصوله، فلقيته بهَيت، فلبسها ودخل بغداد، وتولى وزارة الخليفة ووزارة ابن رائق جميعاً. (٣٢٨/٨)

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة قلّد الراضي محمد بن طُغْج أعمال مصر مضافاً إلى ما بيده من الشام، وعزل أحمد بن كُيْغَلَغ عن مصر.

وفيها انخسف القمر جميعه ليلة الجمعة لأربع عشرة خلت من ربيع الأول، وانخسف جميعه أيضاً لأربع عشرة خلت من شوال.

وفيها قُبض على أبي عبد الله بن عبدوس الجهشياري، وصودر على مائتي ألف دينار.

وفيها وُلد عضد الدولة أبو شجاع فَنّاخَسرو بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه بأصبهان.

وفيها توفي أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك، المعروف بجحظة، وله شعر مطبوع، وكان عارفاً بفنون شتى من العلوم.

وفيها توفي أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد في شعبان، وكان إماماً في معرفة القراءات؛ وعبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلّس أبو الحسن الفقيه الظاهري، صاحب التصانيف المشهورة.

وفيها توفي عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل أبو بكر النَّيسابوري الفقيه الشافعي في ربيع الأول، وكان مولده سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وكان قد جالس الربيع بن سليمان والمزنيَّ ويونس بن عبد الأعلى أصحاب الشافعي، وكان إماماً. (٣٢٩/٨)

سنة خمس وعشرين وثلاثمائة

ذكر مسير الراضي بالله إلى حرب البريدي

في هذه السنة أشار محمد بن رائق على الراضي بالله ولانحدار معه إلى واسط ليقرب من الأهواز، ويراسل أبا عبد الله بن البريدي، فإن أجاب إلى ما يطلب منه، وإلا قرّب قصده عليه، فأجاب الراضي إلى ذلك، وانحدر أول المحرّم، فخالف الحجرية وقالوا: هذه حيلة علينا ليعمل بنا مثل ما عمل بالساجية؛ فلم يلتفت ابن رائق إليهم، وانحدر، وتبعه بعضهم، ثم انحدروا بعده، فلما صاروا بواسط اعترضهم ابن رائق، فأسقط أكثرهم، فاضطربوا وثاروا، فقاتلهم قتالاً شديداً، فانهزم الحجرية، وقتل منهم جماعة.

ولما وصل المنهزمون إلى بغداد ركب لؤلؤ صاحب الشرطة ببغداد ولقيهم، فأوقع بهم، فاستتروا، فنُهبت دورهم، وقُبضت أموالهم وأملاكهم، وقُطعت أرزاقهم.

فلما فرغ منهم ابن رائق قتل من كان اعتقله من الساجية سوى صافي الخازن، وهارون بن موسى، فلما فرغ أخرج مضاربه ومضارب الراضي نحو الأهواز لإجلاء ابن البريدي عنها، فأرسل إليه في معنى تأخير الأموال، وما قد ارتكبه من الاستبداد بها وإفساد الجيوش وتزيين العصيان لهم، إلى غير (٣٣٠/٨) ذلك من ذكر معايبه، ثم يقول بعد ذلك: وإنه إن حمل الواجب عليه وسلّم الجند الذي أفسدهم أُقرّ على عمله، وإن أبى قوبل بما استحقه.

فلما سمع الرسالة جدد ضمان الأهواز، كل سنة بثلاثمائة وستين ألف دينار، يحمل كل شهر بقسطه، وأجاب إلى تسليم الجيش إلى من يؤمر بتسليمه إليه ممن يسير بهم إلى قتال ابن بويه، إذ كانوا كارهين للعود إلى بغداد لضيق الأموال بها واختلاف الكلمة، فكتب الرسل ذلك إلى ابن رائق، فعرضه على الراضي، وشاور فيه أصحابه، فأشار الحسين بن علي النُّوبختي بأن لا يقبل منه ذلك، فإنه خداع ومكر للقرب منه، ومتى عُدتم عنه لم يقف على ما بذله.

وأشار أبو بكر بن مقاتل بإجابته إلى ما التمس من الضمان، وقال: إنه لا يقوم غيره مقامه، وكان يتعصّب للبريدي، فسمع قوله وعقد الضمان على البريدي وعاد هو والراضي إلى بغداد، فدخلاها ثامن صفر.

فأما المال فما حمل منه ديناراً واحداً، وأما الجيش فإن ابن رائق أنفذ جعفر بن ورقاء ليتسلّمه منه وليسير بهم إلى فارس، فلما وصل إلى الأهواز واستصحب معه جعفراً وقدّم لهم طعاماً كثيراً، فأكلوا وانصرفوا، وأقام جعفر عدة أيام.

ثم إن جعفراً أمر الجيش فطالبوه بمال يفرّقه فيهم ليتجهزوا به إلى فارس، فلم يكن معه شيء، فشتموه وتهددوه بالقتل، فاستتر منهم ولجأ (٣٣١/٨) إلى البريدي، وقال له البريدي: ليس العجب ممن أرسلك، وإنما العجب منك كيف جئتَ بغير شيء، فلو أن الجيش مماليك لما ساروا إلا بمال ترضيهم به؛ ثم أخرجه ليلاً وقال: انجُ بنفسك؛ فسار إلى بغداد خائباً.

ثم إن ابن مقاتل شرع مع ابن رائق في عزل الحسين بن علي النوبختي وزيره، وأشار عليه بالاعتضاد بالبريدي، وأن يجعله وزيراً له عوض النوبختي، وبذل له ثلاثين ألف دينار، فلم يجبه إلى ذلك، فلم يزل ابن مقاتل يسعى ويجتهد إلى أن أجابه إليه، فكان من أعظم الأسباب في بلوغ ابن مقاتل غرضه أن النوبختي كان مريضاً، فلما تحدّث ابن مقاتل مع ابن رائق في عزله امتنع من ذلك، وقال له: علي حق كثير، هو الذي سعى لي حتى بلغتُ هذه الرتبة، فلا أبتغي به بديلاً.

فقال ابن مقاتل: فإن النوبختي مريض لا مطمع في عافيته.

قال له ابن رائق: فإن الطبيب قد أعلمني أنه قد صلح وأكل الدُّرّاج.

فقال: إن الطبيب يعلم منزلته منك وأنه وزير الدولة فلا يلقاك في أمره بما تكره، ولكن أحضر ابن أخي النوبختي وصهره عليَّ بن أحمد واسأله عنه سراً، فهو يخبرك بحاله.

فقال: أفعل.

وكان النوبختي قد استناب ابن أخيه هذا عند ابن رائق ليقوم بخدمته في مرضه، ثم إن ابن مقاتل فارق ابن رائق على هذا، واجتمع بعلي بن أحمد وقال له: قد قررتُ لك مع الأمير ابن رائق الوزارة، فإذا سألك عن عمك فأعلمه أنه على الموت ولا يجيء

منه شيء لتتم لك الوزارة.

فلما اجتمع ابن رائق بعلي بن أحمد سأله عن عمه، فغشي عليه، ثم لطم (٣٣٢/٨) برأسه ووجهه وقال: يبقى اللّه الأمير ويعظّم أجره فيه، فلا يعده الأمير إلا في الأموات! فاسترجع وحوقل وقال: لو فُدي بجميع ما أملكه لفعلتُ.

فلما حضر عنده ابن مقاتل قال له ابن رائق: قد كان الحق معك، وقد يئسنا من النوبختي، فاكتب إلى البريدي ليرسل من ينوب عنه في وزارتي؛ ففعل وكتب إلى البريدي بإنفاذ أحمد بن علي الكوفي لينوب عنه في وزارة ابن رائق، فأنفذه، فاستولى على الأمور، وتمشّى حال البريدي بذلك، فإن النوبختي كان عارفاً به لا يتمشى معه محاله.

فلما استولى الكوفي وابن مقاتل شرعا في تضمين البصرة من أبي يوسف ابن البريدي، أخي أبي عبد اللّه، فامتنع ابن رائق من ذلك، فخدعاه إلى أن أجاب إليه، وكان نائب ابن رائق بالبصرة محمد بن يزداد، وقد أساء السيرة وظلم أهلها، فلما ضمنها البريدي حضر عنده بالأهواز جماعة من أعيان أهلها، فوعدهم ومنّاهم، وذمّ ابن رائق عندهم بما كان يفعله ابن يزداد، فدعوا له.

ثم أنفذ البريدي غلامه إقبالاً في ألفي رجل، وأمرهم بالمقام بحصن مهدي إلى أن يأمرهم بما يفعلون، فلما علم ابن يزداد بهم قامت قيامته من ذلك وعلم أن البريدي يريد التغلب على البصرة، وإلا لو كان يريد التصرف في ضمانه لكان يكفيه عامل في جماعته.

وأمر البريدي بإسقاط بعض ما كان ابن يزداد يأخذه من أهل البصرة، حتى (٣٣٣/٨) اطمأنوا، وقاتلوا معه عسكر ابن رائق، ثم عطف عليهم، فعمل بهم أعمالاً تمنّوا [معها] أيام ابن رائق وعدّوها أعياداً.

ذكر ظهور الوحشة بين ابن رائق والبريدي والحرب بينهما

في هذه السنة أيضاً ظهرت الوحشة بين ابن رائق والبريدي، وكان لذلك عدة أسباب منها أن ابن رائق لما عاد من واسط إلى بغداد أمر بظهور مَن اختفى من الحجريين، فظهروا، فاستخدم منهم نحو ألفي رجل، وأمر الباقين بطلب الرزق أين أرادوا، فخرجوا من بغداد، واجتمعوا بطريق خراسان، ثم ساروا إلى أبي عبد اللّه البريدي فأكرمهم وأحسن إليهم، وذمّ ابن رائق وعابه، وكتب إلى بغداد يعتذر عن قبولهم، ويقول: إنني خفتُهم، فلهذا قبلتُهم، وجعلهم طريقاً إلى قطع ما استقر عليه من المال، وذكر أنهم اتفقوا مع الجيش الذي عنده ومنعوه من حمل المال الذي استقر عليه، فأنفذ إليه ابن رائق يُلزمه بإبعاد الحجرية، فاعتذر ولم يفعل.

ومنها أن ابن رائق بلغه ما ذمّه به ابن البريدي عند أهل البصرة، فساءه ذلك، وبلغه مقام إقبال في جيشه بحصن مهدي، فعظم عليه، واتّهم الكوفي بمحاباة البريدي، وأراد عزله، فمنعه عنه أبو بكر محمد بن مقاتل، وكان مقبول القول عند ابن رائق، فأمر الكوفي أن يكتب إلى البريدي يعاتبه على هذه الأشياء، ويأمره بإعادة عسكره من حصن مهدي، فكتب إليه في ذلك، فأجاب بأن (٣٣٤/٨) أهل البصرة يُخفون القرامطة، وابن يزداد عاجز عن حمايتهم، وقد تمسّكوا بأصحابي لخوفهم.

وكان أبو طاهر الهجري قد وصل إلى الكوفة في الثالث والعشرين من ربيع الآخر، فخرج ابن رائق في عساكره إلى قصر ابن هُبيرة، وأرسل إلى القُرمُطي، فلم يستقر بينهم أمر، فعاد القُرمُطي إلى بلده؛ فعاد حينئذ ابن رائق وسار إلى واسط، فبلغ ذلك البريدي، فكتب إلى عسكره بحصن مهدي يأمرهم بدخول البصرة، وقتال مَن منعهم، وأنفذ إليهم جماعة من الحجرية معونة لهم، فأنفذ ابن يزداد جماعة من عنده ليمنعهم من دخول البصرة، فاقتتلوا بنهر الأمير، فانهزم أصحاب ابن يزداد، فأعادهم، وزاد في عدّتهم كل متجنّد بالبصرة، واقتتلوا ثانياً فانهزموا أيضاً.

ودخل إقبال وأصحاب البريدي البصرة، وانهزم ابن يزداد إلى الكوفة، وقامت القيامة على ابن رائق، وكتب إلى أبي عبد اللّه البريدي يتهدده، ويأمره بإعادة أصحابه من البصرة، فاعتذر ولم يفعل، وكان أهل البصرة في أول الأمر يريدون البريدي لسوء سيرة ابن يزداد.

ذكر استيلاء بجكم على الأهواز

لما وصل جواب الرسالة من البريدي إلى ابن رائق بالمغالطة عن إعادة جنده من البصرة، استدعى بدراً الخَرشني وخلع عليه، وأحضر بجكم أيضاً وخلع عليه، وسيّرهما في جيش، وأمرهم أن يقيموا بالجامدة، فبادر بجكم، ولم يتوقّف على بدر ومَن معه، وسار إلى السُّوس. (٣٣٥/٨)

فبلغ ذلك البريدي، فأخرج إليه جيشاً كثيفاً في ثلاثة آلاف مقاتل، ومقدّمهم غلامه محمد المعروف بالحمّال، فاقتتلوا بظاهر السُّوس، وكان مع بجكم مائتان وسبعون رجلاً من الأتراك، فانهزم أصحاب البريدي وعادوا إليه، فضرب البريدي محمداً الحمّال وقال: انهزمت بثلاثة آلاف من ثلاثمائة؟ فقال له: أنت ظننتَ أنك تحارب ياقوتاً المدبر، قد جاءك خلاف ما عهدت؛ فقامَ إليه وجعل يلكمه بيديه.

ثم رجع عسكره، وأضاف إليهم من لم يشهد الوقعة، فبلغوا ستة آلاف رجل، وسيّرهم مع الحمّال أيضاً، فالتقوا عند نهر تُستَر، فبادر بجكم فعبر النهر هو وأصحابه، فلما رآه أصحاب البريدي انهزموا من غير حرب، فلما رآهم أبو عبد اللّه البريدي ركب هو

وإخوته ومن يلزمه في السفن، فأخذ معه ما بقي عنده من المال، وهو ثلاثمائة ألف دينار، فغرقت السفينة بهم، فأخرجهم الغواصون وقد كادوا يغرقون، وأُخرج بعض المال، وأُخرج باقي المال لبجكم، ووصلوا إلى البصرة، فأقاموا بالأُبُلّة، وأعدّوا المراكب للهرب إن انهزم إقبال.

وسيّر أبو عبد اللّه البريدي غلامه إقبالاً إلى مطارا وسيّر معه جمعاً من فتيان البصرة، فالتقوا بمطارا مع أصحاب ابن رائق، فانهزمت الرائقيّة، وأُسر منهم جماعة، فأطلقهم البريدي، وكتب إلى ابن رائق يستعطفه، وأرسل إليه جماعة من أعيان أهل البصرة، فلم يجبهم، وطلبوا منه أن، يحلف لأهل البصرة (٣٣٦/٨) ليكونوا معه، ويساعدوه، فامتنع وحلف لئن ظفر بها ليحرقنّها، ويقتل كل من فيها، فازدادوا بصيرة في قتاله.

واطمأن البريديّون بعد انهزام عسكر ابن رائق، وأقاموا حينئذ بالبصرة، واستولى بجكم على الأهواز، فلما بلغ ابن رائق هزيمة أصحابه جهز جيشاً آخر وسيّره إلى البر والماء، فالتقى عسكره الذي على الظهر مع عسكر البريدي، فانهزم الرائقيّة، وأما العسكر الذي في الماء فإنهم استولوا على الكلاّء، فلما رأى ذلك أبو عبد اللّه البريدي ركب في السفن وهرب إلى جزيرة أُوال، وترك أخاه أبا الحسين بالبصرة في عسكر يحميها، فخرج أهل البصرة مع أبي الحسين لدفع عسكر ابن رائق عن الكلاّء، فقاتلوهم حتى أجلوهم عنه.

فلما اتصل ذلك بابن رائق سار بنفسه من واسط إلى البصرة على الظهر، وكتب إلى بَجكم ليلحق به، فأتاه فيمن عنده من الجند، فتقدموا وقاتلوا أهل البصرة، فاشتد القتال، وحامى أهل البصرة، وشتموا ابن رائق، فلما رأى بجكم ذلك هاله، وقال لابن رائق: ما الذي عملتَ بهؤلاء القوم حتى أحوجتهم إلى هذا؟ فقال: واللّه لا أدري! وعاد ابن رائق وبجكم إلى معسكرهما.

وأما أبو عبد اللّه البريدي فإنه سار من جزيرة أوال إلى عماد الدولة ابن بويه، واستجار به، وأطمعه في العراق، وهوّن عليه أمر الخليفة وابن رائق، فنفّذ معه أخاه معز الدولة على ما نذكره.

فلما سمع ابن رائق بإقبالهم من فارس إلى الأهواز سيّر بجكم إليها، (٣٣٧/٨) فامتنع من المسير إلا أن يكون إليه الحرب والخراج، فأجابه إلى ذلك، وسيّره إليها.

ثم إن جماعة من أصحاب البريدي قصدوا عسكر ابن رائق ليلاً، فصاحوا في جوانبه، فانهزموا، فلما رأى ابن رائق ذلك أمر بإحراق سواده وآلاته لئلا يغنمه البريدي، وسار إلى الأهواز جريده، فأشار جماعة على بجكم بالقبض عليه فلم يفعل، وأقام ابن رائق أياماً، وعاد إلى واسط، وكان باقي عسكره قد سبقوه إليها.

ذكر الفتنة بين أهل صقلية وأمرائهم

في هذه السنة خالف أهل جُرجنت، وهي من بلاد صقلية، على أميرهم سالم بن راشد، وكان استعمله عليهم القائم العلوي، صاحب إفريقية، وكان سيء السيرة في الناس، فأخرجوا عامله عليهم، فسيّر إليهم سالم جيشاً كثيراً من أهل صقلية وإفريقية، فاقتتلوا أشد قتال، فهزمهم أهل جرجنت، وتبعهم فخرج إليهم سالم، ولقيهم، واشتد القتال بينهم وعظم الخطب، فانهزم أهل جرجنت في شعبان.

فلما رأى أهل المدينة خلاف أهل جرجنت خرجوا أيضاً على سالم، وخالفوه، وعظم شغبهم عليه، وقاتلوه في ذي القعدة من هذه السنة، فهزمهم، (٣٣٨/٨) وحصرهم بالمدينة، فأرسل إلى القائم بالمهدية يعرّفه، أن أهل صِقلية قد خرجوا عن طاعته، وخالفوا عليه، ويستمده، فأمدّه القائم بجيش، واستعمل عليهم خليل بن إسحاق، فساروا حتى وصلوا إلى صِقلية، فرأى خليل من طاعة أهلها ما سرّه، وشكوا إليه مِن ظُلم سالم وجوره، وخرج إليه النساء والصبيان يبكون ويشكون، فرق الناس لهم، وبكوا لبكائهم.

وجاء أهل البلاد إلى خليل وأهل جرجنت، فلما وصلوا اجتمع بهم سالم، وأعلمهم أن القائم قد أرسل خليلاً لينتقم منهم بمن قتلوا من عسكره، فعاودوا الخلاف، فشرع خليل في بناء مدينة على مَرسى المدينة، وحصّنها، ونقض كثيراً من المدينة، وأخذ أبوابها، وسمّاها الخالصة.

ونال الناس شدة في بناء المدينة، فبلغ ذلك أهل جرجنت، فخافوا، وتحقق عندهم ما قال لهم سالم، وحصّنوا مدينتهم واستعدوا للحرب، فسار إليهم خليل في جمادى الأولى سنة ست وعشرين وثلاثمائة، وحصرهم، فخرجوا إليه، والتحم القتال، واشتد الأمر، وبقي محاصراً لهم ثمانية أشهر لا يخلو يوم من قتال، وجاء الشتاء فرحل عنهم في ذي الحجة إلى الخالصة فنزلها.

ولما دخلت سنة سبع وعشرين [وثلاثمائة] خالف على خليل جميع القلاع وأهل مَازَر، كل ذلك بسعي أهل جرجنت، وبثّوا سراياهم، واستفحل أمرهم، وكاتبوا ملك القُسطنطينيّة يستنجدونه، فأمدّهم بالمراكب فيها الرجال والطعام، فكتب خليل إلى القائم يستنجده، فبعث إليه جيشاً كثيراً، فخرج خليل بمن معه من أهل صِقلية فحصروا قلعة أبي ثَور، فملكوها (٣٣٩/٨) وكذلك أيضاً البلّوط ملكوها، وحصروا قلعة أبلاطنوا، وأقاموا عليها حتى انقضت سنة سبع وعشرين وثلاثمائة.

فلما دخلت سنة ثمان وعشرين رحل خليل عن أبلاطنوا، وحصر جرجنت وأطال الحصار، ثم رحل عنها وترك عليها عسكراً يحاصرها، مقدّمهم أبو خلف بن هارون، فدام الحصار إلى سنة

تسع وعشرين وثلاثمائة، فسار كثير من أهلها إلى بلاد الروم، وطلب الباقون الأمان، فأمّنهم على أن ينزلوا من القلعة، فلما نزلوا غدر بهم وحملهم إلى المدينة.

فلما رأى أهل سائر القلاع ذلك أطاعوا، فلما عادت البلاد الإسلامية إلى طاعته رحل إلى إفريقية في ذي الحجة سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وأخذ معه وجوه أهل جرجنت، وجعلهم في مركب، وأمر بثقبه وهو في لجّة البحر فغرقوا.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة خرجت الفرنج إلى بلاد الأندلس التي للمسلمين، فنهبوا وقتلوا وسبوا، وممن قُتل من المشهورين جحّاف بن يُمن قاضي بلنسية.

وفيها توفي عبد اللّه بن محمد بن سفيان أبو الحسين الجزّاز النحوي في ربيع الأول، وكان صحب ثعلباً والمُبرّد، وله تصانيف في علوم القرآن. (٣٤٠/٨)

سنة سِت وعشرين وثلاثمائة

ذكر استيلاء معز الدولة على الأهواز

في هذه السنة سار معزُّ الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه إلى الأهواز وتلك البلاد، فملكها واستولى عليها.

وكان سبب ذلك ما ذكرناه من مسير أبي عبد اللّه البريدي إلى عماد الدولة، كما سبق، فلما وصل إليه أطمعه في العراق والاستيلاء عليه، فسيّر معه أخاه معزَّ الدولة إلى الأهواز، وترك أبو عبد اللّه البريدي ولديه: أبا الحسن محمداً، وأبا جعفر الفياض عند عماد الدولة بن بويه رهينةً وساروا، فبلغ الخبر إلى بجكم بنزولهم أرّجان، فسار لحربهم، فانهزم من بين أيديهم.

وكان سبب الهزيمة أن المطر اتصل أياماً كثيرة، فعُطلت أوتار قسي الأتراك، فلم يقدروا على رمي النشّاب، فعاد بجكم وأقام بالأهواز، وجعل بعض عسكره بعسكر مُكرَم، فقاتلوا معزَّ الدولة بها ثلاثة عشر يوماً، ثم انهزموا إلى تُستَر، فاستولى معزُّ الدولة على عسكر مُكرَم؛ وسار بجكم إلى تُستَر من الأهواز، وأخذ معه جماعة من أعيان الأهواز، وسار هو وعسكره إلى واسط، وأرسل من الطريق إلى ابن رائق يعلمه الخبر، ويقول له: إن العسكر محتاج إلى المال، فإن كان معك مائتا ألف دينار فتقيم بواسط (٣٤١/٨) حتى نصل إليك، وتنفق فيهم المال، وإن كان المال قليلاً فالرأي أنك تعود إلى بغداد لئلا يجري من العسكر شغب.

فلما بلغ الخبر إلى ابن رائق عاد من واسط إلى بغداد، ووصل بجكم إلى واسط فأقام بها، واعتقل من معه من الأهوازيين، وطالبهم بخمسين ألف دينار، وكان فيهم أبو زكريا يحيى بن سعيد السُّوسي.

قال أبو زكريا: أردتُ أن أعلم ما في نفس بجكم، فأنفذتُ إليه أقول: عندي نصيحة، فأحضرني عنده، فقلتُ: أيها الأمير أنت تحدّث نفسك بمملكة الدنيا، وخدمة الخلافة، وتدبير الممالك، كيف يجوز أن تعتقل قوماً منكوبين قد سُلبوا نعمتهم وتطالبهم بمال وهم في بلد غربة، وتأمر بتعذيبهم حين جُعل أمس طشت فيه نار على بطن بعضهم؟ أما تعلم أن هذا إذا سُمع عنك استوحش منك الناس وعاداك من لا يعرفك؟ وقد أنكرتَ على ابن رائق إيحاشه لأهل البصرة، أتراه أساء إلى جميعهم؟ لا واللّه، بل أساء إلى بعضهم، فأبغضوه كلهم، وعوام بغداد لا تحتمل أمثال هذا. وذكرتُ له فعل مرداويج، فلما سمع ذلك قال: قد صدقتني، ونصحتَني؛ ثم أمر بإطلاقهم.

ولما استولى ابن بويه والبريدي على عسكر مُكرم سار أهل الأهواز إلى البريدي يهنّونه، وفيهم طبيب حاذق، وكان البريدي يُحمّ بحُمى الرِّبع، فقال لذلك الطبيب: أما ترى يا أبا زكريا حالي وهذه الحمى؟ فقال له: خِلْطٌ، يعني في المأكول، فقال له: أكثرُ من هذا التخليط، قد رهجتُ الدنيا.

ثم ساروا إلى الأهواز فأقاموا بها خمسة وثلاثين يوماً، ثم هرب البريدي من ابن بويه إلى الباسيان، فكاتبه بعتب كثير، ويذكر غدره في هربه.

(٣٤٢/٨) وكان سبب هربه أن ابن بويه طلب عسكره الذين بالبصرة ليسيروا إلى أخيه ركن الدولة بأصبهان، معونةً له على حرب وشمكير، فأحضر منهم أربعة آلاف، فلما حضروا قال لمعز الدولة: إن أقاموا وقع بينهم وبين الديلم فتنة، والرأي أن يسيروا إلى السُّوس ثم يسيروا إلى أصبهان؛ فأذن له في ذلك، ثم طالبه بأن يحضر عسكره الذين بحصن مهدي ليسيّرهم في الماء إلى واسط، فخاف البريدي أن يعمل به مثل ما عمل هو بياقوت.

وكان الديلم يهينونه ولا يلتفتون إليه، فهرب وأمر جيشه الذي بالسُّوس فساروا إلى البصرة، وكاتب معزَّ الدولة بالافراج له عن الأهواز حتى يتمكّن من ضمانه، فإنه كان قد ضمن الأهواز والبصرة من عماد الدولة بن بُوَيه، كل سنة بثمانية عشر ألف ألف درهم، فرحل عنها إلى عسكر مُكرَم خوفاً من أخيه عماد الدولة لئلا يقول له: كسرتَ المال؛ فانتقل البريدي إلى بناباذ، وأنفذ خليفته إلى الأهواز، وأنفذ إلى معز الدولة يذكر له حاله وخوفه منه، ويطلب أن ينتقل إلى السوس من عسكر مُكرَم ليبعد عنه ويأمن بالأهواز.

فقال له أبو جعفر الصّيمري وغيره: إن البريدي يريد أن يفعل بك كما فعل بياقوت، ويفرق أصحابك عنك، ثم يأخذك فيتقرّب بك إلى بجكم وابن رائق، ويستعيد أخاك لأجلك؛ فامتنع معز الدولة من ذلك.

وعلم بجكم بالحال، فأنفذ جماعة من أصحابه، فاستولوا على السوس وجُنْديسابور، وبقيت الأهواز بيد البريدي، ولم يبق بيد معز الدولة من كوَر الأهواز إلا عسكر مُكرَم، فاشتد الحال عليه، وفارقه بعض جنده، وأرادوا الرجوع إلى فارس، فمنعهم أصفهدوست وموسى قيّاذه، وهما (٣٤٣/٨) من أكابر القوّاد، وضمنا لهم أرزاقهم ليقيموا شهراً، فأقاموا وكتب إلى أخيه عماد الدولة يعرّفه حاله، فأنفذ له جيشاً، فقوي بهم، وعاد فاستولى على الأهواز، وهرب البريدي إلى البصرة واستقر فيها فاستقر ابن بويه بالأهواز.

وأقام بجكم بواسط طامعاً في الاستيلاء على بغداد ومكان ابن رائق، ولا يظهر له شيئاً من ذلك، وأنفذ ابن رائق علي بن خلف بن طيّاب إلى بجكم ليسير معه إلى الأهواز ويُخرج منها ابن بويه، فإذا فعل ذلك كانت ولايتها لبجكم والخراج إلى عليّ بن خلف، فلمّا وصل عليٌّ إلى بجكم بواسط استوزره بجكم، وأقام معه، وأخذ بجكم جميع مال واسط.

ولما رأى أبو الفتح الوزير ببغداد إدبار الأمور أطمع ابن رائق في مصر والشام، وصاهره، وعقد بينه وبين ابن طُغْج عهداً وصِهراً، وقال لابن رائق: أنا أجبي إليك مال مصر والشام إن سيّرتني إليهما، فأمره بالتجهز للحركة، ففعل وسار أبو الفتح إلى الشام في ربيع الآخر.

ذكر الحرب بين بجكم والبريدي والصلح بعد ذلك

لما أقام بجكم بواسط وعظم شأنه خافه ابن رائق لأنه ظن ما فعله بجكم من التغلب على العراق، فراسل أبا عبد اللّه البريدي وطلب منه الصلح على بجكم، فإذا انهزم تسلّم البريدي واسطاً وضمنها بستمائة ألف دينار في السنة (٣٤٤/٨) على أن ينفذ أبو عبد اللّه عسكراً.

فسمع بجكم بذلك، فخاف واستشار أصحابه في الذي يفعله، فأشاروا عليه بأن يبتدئ بأبي عبد اللّه البريدي، وأن لا يهجم إلى حضرة الخلافة، ولا يكاشف ابن رائق إلا بعد الفراغ من البريدي، فجمع عسكره، وسار إلى البصرة يريد البريدي، فسيّر أبو عبد اللّه جيشاً بلغت عدّتهم عشرة آلاف رجل، عليهم غلامه أبو جعفر محمد الحمّال، فالتقوا واقتتلوا، فانهزم عسكر البريدي، ولم يتبعهم بجكم بل كف عنهم.

وكان البريديّون بمطارا ينتظرون ما ينكشف من الحال، فلما انهزم عسكرهم خافوا، وضعفت نفوسهم، إلا أنه لما رأى عسكره سالماً لم يُقتل منهم أحد ولا غرق طاب قلبه.

وكانت نيّة بجكم إذلال البريدي وقطعه عن ابن رائق، ونفسه معلّقة بالحضرة، فأرسل ثاني يوم الهزيمة إلى البريدي يعتذر إليه مما جرى، ويقول له: أنت بدأتَ وتعرضتَ بي، وقد عفوتُ عنك وعن أصحابك، ولو تبعتُهم لغرق وقُتل أكثرهم، وأنا أصالحك على أن أقلّدك واسطاً إذا ملكتُ الحضرة، وأصاهرك؛ فسجد البريدي شكراً للّه تعالى، وحلف لبجكم وتصالحا، وعاد إلى واسط، وأخذ في التدبير على ابن رائق، والاستيلاء على الحضرة ببغداد. (٣٤٥/٨)

ذكر قطع يد ابن مقلة ولسانه

في هذه السنة، في منتصف شوال، قُطعت يد الوزير أبي علي بن مقلة.

وكان سبب قطعها أن الوزير أبا الفتح بن جعفر بن الفرات لما عجز عن الوزارة وسار إلى الشام استوزر الخليفة الراضي باللّه أبا علي بن مقلة، وليس له من الأمر شيء إنما الأمر جميعه إلى ابن رائق، وكان ابن رائق قبض أموال ابن مقلة وأملاكه، وأملاك ابنه، فخاطبه فلم يردّها، فاستمال أصحابه، وسألهم مخاطبته في ردّها، فوعدوه، فلم يقضوا حاجته، فلما رأى ذلك سعى بابن رائق، فكاتب بجكم يطمعه في موضع ابن رائق، وكتب إلى وشمكير بمثل ذلك، وهو بالري، وكتب إلى الراضي يشير عليه بالقبض على ابن رائق وأصحابه ويضمن أنه يستخرج منه ثلاثة آلاف ألف دينار، وأشار عليه باستدعاء بجكم وإقامته مقام ابن رائق، فأطمعه الراضي وهو كاره لما قاله، فعجّل ابن مقلة وكتب إلى بجكم يعرّفه إجابة الراضي، ويستحثّه على الحركة والمجيء إلى بغداد.

وطلب ابن مقلة من الراضي أن ينتقل ويقيم عنده بدار الخلافة إلى أن يتم على ابن رائق ما اتفقا عليه، فأذن له في ذلك، فحضر متنكّراً آخر ليلة من رمضان، وقال: إن القمر تحت الشعاع، وهو يصلح للأسرار؛ فكان عقوبته حيث نظر إلى غير اللّه أن ذاع سرّه وشهر أمره، فلما حصل بدار الخليفة لم يوصله الراضي إليه، واعتقله في حجرة، فلما كان الغد أنفذ إلى ابن رائق يعرّفه الحال، ويعرض عليه خطّ ابن مقلة، فشكر الراضي، وما زالت الرسل تتردد بينهما في معنى ابن مقلة إلى منتصف شوال، فأُخرج ابن مقلة من محبسه، وقُطعت (٣٤٦/٨) يده ثم عولج فبرأ، فعاد يكاتب الراضي، ويخطب الوزارة، ويذكر [أنّ] قطع يده لم يمنعه من عمله، وكان يشد القلم على يده المقطوعة ويكتب.

فلما قرب بجكم من بغداد سمع الخدم يتحدّثون بذلك، فقال: إن وصل بجكم فهو يستخلصني، وأكافئ ابن رائق؛ وصار يدعو

على من ظلمه وقطع يده، فوصل خبره إلى الراضي وإلى ابن رائق، فأمرا بقطع لسانه، ثم نُقل إلى محبس ضيّق، ثم لحقه ذرب في الحبس، ولم يكن عنده مَن يخدمه، فآل الحال إلى أن كان يستقي الماء من البئر بيده اليسرى ويمسك الحبل بفيه، ولحقه شقاء شديد إلى أن مات ودُفن بدار الخليفة، ثم إنّ أهله سألوا فيه، فنُبش وسُلّم إليهم، فدفنوه في داره، ثم نُبش فنُقل إلى دار أخرى.

ومن العجب أنه ولي الوزارة ثلاث دفعات، ووزر لثلاثة خلفاء، وسافر ثلاث سفرات: اثنتين منفيّاً إلى شيراز، وواحدة في وزارته إلى الموصل، ودُفن بعد موته ثلاث مرات وخُصّ به من خدمه ثلاثة.

ذكر استيلاء بجكم على بغداد

وفي هذه السنة دخل بجكم بغداد، ولقي الراضي، وقُلّد إمرة الأمراء مكان ابن رائق، ونحن نذكر ابتداء أمر بجكم، وكيف بلغ إلى هذه الحال، فإن بعض أمره قد تقدّم، وإذا افترق لم يحصل الغرض منه. (٣٤٧/٨)

كان بجكم هذا من غلمان أبي علي العارض، وكان وزيراً لماكان بن كالي الديلمي، فطلبه منه ماكان، فوهبه له، ثم إنه فارق ماكان مع من فارقه من أصحابه والتحق بمرداويج، وكان في جملة من قتله، وسار إلى العراق، واتصل بابن رائق، وسيّره إلى الأهواز فاستولى عليها وطرد البريدي عنها.

ثم خرج البريدي مع معز الدولة بن بويه من فارس إلى الأهواز، فأخذوها من بجكم، وانتقل بجكم من الأهواز إلى واسط، وقد تقدم ذكر ذلك مفصّلاً، فلما استقر بواسط تعلّقت همّته بالاستيلاء على حضرة الخليفة، وهو مع ذلك يظهر التبعية لابن رائق، وكان على أعلامه وتراسه بجكم الرائقي، فلما وصلته كتب ابن مقلة يعرّفه أنه قد استقر مع الراضي أن يقلّده إمرة الأمراء، طمع في ذلك، وكاشف ابن رائق، ومحا نسبته إليه من أعلامه، وسار من واسط نحو بغداد غرّة ذي القعدة.

واستعد ابن رائق له، وسأل الراضي أن يكتب إلى بجكم يأمره بالعود إلى واسط، فكتب الراضي إليه، وسيّر الكتاب، فلما قرأه ألقاه عن يده ورمى به، وسار حتى نزل شرقي نهر ديالي، وكان أصحاب ابن رائق على غربيّه، فألقى أصحاب بجكم نفوسهم في الماء فانهزم أصحاب ابن رائق، وعبر أصحاب بجكم وساروا إلى بغداد، وخرج ابن رائق عنها إلى عُكبرا ودخل بجكم بغداد ثالث عشر ذي القعدة، ولقي الراضي من الغد، وخلع عليه، وجعله أمير الأمراء، وكتب كتباً عن الراضي إلى القوّاد الذين مع ابن رائق يأمرهم (٣٤٨/٨) بالرجوع إلى بغداد، ففارقوه جميعهم وعادوا.

فلما رأى ابن رائق ذلك عاد إلى بغداد واستتر، ونزل بجكم بدار مؤنس، واستقر أمره ببغداد، فكانت مدة إمارة أبي بكر بن رائق سنة واحدة وعشرة أشهر وستة عشر يوماً، ومن مَكر بجكم أنه كان يراسل ابن رائق على لسان أبي زكريا يحيى بن سعيد السوسي، قال أبو زكريا: أشرت على بجكم أنه لا يكاشف ابن رائق، فقال، لِمَ أشرتَ بهذا؟ فقلتُ له: إنه قد كان له عليك رئاسة وإمرة، وهو أقوى منك وأكثر عدداً، والخليفة معه، والمال عنده كثير؛ فقال: أمّا كثرة رجاله فهم جوز فارغ، وقد بلوتُهم، فما أُبالي بهم قلّوا أم كثروا؛ وأمّا كون الخليفة معه، فهذا لا يضرّني عند أصحابي؛ وأمّا قلّة المال معي فليس الأمر كذلك، قد وفيتُ أصحابي مستحقّهم، ومعي ما يُستظهر به، فكم تظن مبلغه؟ فقلتُ: لا أدري! فقال: على كل حال؛ فقلتُ: مائة ألف درهم؛ فقال: غفر اللّه لك، معي خمسون ألف دينار لا أحتاج إليها.

فلما استولى على بغداد قال لي يوماً: أتذكر إذ قلتُ لك: معي خمسون ألف دينار؟ واللّه لم يكن معي غير خمسة آلاف درهم؛ فقلت: هذا يدل على قلّة ثقتك بي؛ قال: لا ولكنك كنتَ رسولي إلى ابن رائق، فإذا علمتَ قلة المال معي ضعفت نفسك فطمع العدو فينا، فأردتُ أن تمضي إليه بقلب قوي، فتكلمه بما تخلع [به] قلبه وتُضعف نفسه. قال: فعجبتُ من مكره وعقله. (٣٤٩/٨)

ذكر استيلاء لشكري على أذربيجان وقتله

وفيها تغلب لشكري بن مردى على أذربيجان، ولشكري هذا أعظم من الذي تقدّم ذكره، فإنّ هذا كان خليفة وشمكير على أعمال الجبل، فجمع مالاً ورجالاً وسار إلى أذربيجان، وبها يومئذ ديسم بن إبراهيم الكردي، وهو من أصحاب ابن أبي الساج، فجمع عسكراً وتحارب هو ولشكري، فانهزم ديسم، ثم عاد وجمع، وتصافّا مرة ثانية، فانهزم أيضاً واستولى لشكري على بلاده، إلا أردبيل، فإنّ أهلها امتنعوا بها لحصانتها، ولهم بأس ونجدة، وهي دار المملكة بأذربيجان، فراسلهم لشكري، ووعدهم الإحسان لما كان يبلغهم من سوء سيرة الديلم مع بلاد الجبل همذان وغيرها، فحصرهم وطال الحصار، ثم صعد أصحابه السور ونقبوه أيضاً في عدة مواضع ودخلوا البلد.

وكان لشكري يدخله نهاراً، ويخرج منه ليلاً إلى عسكره، فبادر أهل البلد وأصلحوا ثلم السور، وأظهروا العصيان، وعاودوا الحرب، فندم على التفريط وإضاعة الحزم؛ فأرسل أهل أردبيل إلى ديسم يعرّفونه الحال ويواعدونه يوماً يجيء فيه ليخرجوا فيه إلى قتال لشكري، ويأتي هو من ورائه، ففعل وسار نحوهم، وظهروا يوم الموعد في عدد كثير، وقاتلوا لشكري، وأتاه ديسم من خلف ظهره، فانهزم أقبح هزيمة، وقُتل من أصحابه خلق كثير، وانحاز إلى

موقان، فأكرمه أصبهبذها ويُعرف بابن دولة، وأحسن ضيافته.

وجمع لشكري وسار نحو ديسم، وساعده ابن دولة، فهرب ديسم (٣٥٠/٨) وعبر نهر أرس، وعبر بعض أصحاب لشكري إليه، فانهزم ديسم، وقصد وشمكير، وهو بالري، وخوّفه من لشكري، وبذل له مالاً كل سنة ليسيّر معه عسكراً، فأجابه إلى ذلك وسيّر معه عسكراً، وكاتب عسكر لشكري وشمكير يعلمونه بما هم عليه من طاعته، وأنهم متى رأوا عسكره صاروا معه على لشكري، فظفر لشكري بالكتب، فكتم ذلك عنهم، فلما قرب منه عسكر وشمكير جمع أصحابه وأعلمهم ذلك وأنه لا يقوى بهم، وأنه يسير بهم نحو الزوزان، وينهب مَن على طريقه من الأرمن، ويسير نحو الموصل ويستولي عليها وعلى غيرها، فأجابوه إلى ذلك، فسار بهم إلى أرمينية وأهلها غافلون، فنهب وغنم وسبى، وانتهى إلى الزوزان ومعهم الغنائم، فنزل بولاية إنسان أرمني، وبذل له مالاً ليكف عنه وعن بلاده، فأجابه إلى ذلك.

ثم إن الأرمني كمّن كميناً في مضيق هناك، وأمر بعض الأرمن أن ينهب شيئاً من أموال لشكري ويسلك ذلك المضيق، ففعلوا، وبلغ الخبر إلى لشكري، فركبَ في خمسة أنفس، فسار وراءهم، فخرج عليه الكمين فقتلوه ومَن معه، ولحقه عسكره، فرأوه قتيلاً ومن معه، فعادوا وولّوا عليهم ابنه لشكرستان، واتفقوا على أن يسيروا على عقبة التنين، وهي تجاوز الجُودي، ويحرزوا سوادهم، ويرجعوا إلى بلد طرم الأرمني فيدركوا آثارهم، فبلغ ذلك طرم فرتّب الرجال على تلك المضايق يرمونهم بالحجارة، ويمنعونهم العبور، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وسلم القليل منهم، وفيمن سلم لشكرستان، وسار فيمن معه إلى ناصر الدولة بن حمدان بالموصل، فأقام بعضهم عنده وانحدر بعضهم إلى بغداد.

فأمّا الذين أقاموا بالموصل فسيّرهم مع ابن عم أبي عبد اللّه الحسين بن (٣٥١/٨) سعيد بن حمدان إلى ما بيده من أذربيجان لمّا أقبل نحوه ديسم ليستولي عليه، وكان أبو عبد اللّه من قِبَل ابن عمه ناصر الدولة على معاون أذربيجان، فقصده ديسم وقاتله فلم يكن لابن حمدان به طاقة، ففارق أذربيجان واستولى عليها ديسم.

ذكر اختلال أمور القرامطة

في هذه السنة فسد حال القرامطة، وقتل بعضهم بعضاً.

وسبب ذلك أنه كان رجل منهم يقال له ابن سنبر، وهو من خواص أبي سعيد القرمطي والمطّلعين على سره، وكان له عدو من القرامطة اسمه أبو حفص الشريك، فعمد ابن سنبر إلى رجل من أصبهان وقال له: إذا ملّكتك أمر القرامطة أريد منك أن تقتل عدوي أبا حفص؛ فأجابه إلى ذلك وعاهده عليه، فاطلعه على أسرار أبي سعيد، وعلامات كان يذكر أنها في صاحبهم الذي يدعون إليه، فحضر عند أولاد أبي سعيد، وذكر لهم ذلك، فقال أبو طاهر: هذا هو الذي يدعو إليه؛ فأطاعوه، ودانوا له، حتى كان يأمر الرجل بقتل أخيه فيقتله، وكان إذا كره رجلاً، يقول له إنه مريض، يعني أنه قد شكّ في دينه، ويأمر بقتله.

وبلغ أبا طاهر أن الأصبهاني يريد قتله ليتفرّد بالملك، فقال لإخوته: لقد أخطأنا في هذا الرجل، وسأكشف حاله، فقال له: إنّ لنا مريضاً، فانظر إليه (٣٥٢/٨) ليبرأ، فحضروا وأضجعوا والدته وغطوها بإزار، فلما رآها قال: إنّ هذا المريض لا يبرأ فاقتلوهُ فقالوا له: كذبتَ، هذه والدته؛ ثم قتلوه بعد أن قُتل منهم خلق كثير من عظمائهم وشجعانهم. وكان هذا سبب تمسّكهم بهجر، وترك قصد البلاد، والإفساد فيها.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة كان الفداء بين المسلمين والروم في ذي القعدة، وكان القيّم به ابن ورقاء الشيباني، وكان عدة مَن فُوديَ من المسلمين ستة آلاف وثلاثمائة من بين ذكر وأنثى، وكان الفداء على نهر البدندون.

وفيها وُلد الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد. (٣٥٣/٨)

سنة سبع وعشرين وثلاثمائة

ذكر مسير الراضي وبجكم إلى الموصل وظهور ابن رائق ومسيره إلى الشام

في هذه السنة، في المحرم، سار الراضي باللّه وبجكم إلى الموصل وديار ربيعة.

وسبب ذلك أن ناصر الدولة بن حمدان أخر المال الذي عليه من ضمان البلاد التي بيده، فاغتاظ الراضي منه لسبب ذلك، فسار هو وبجكم إلى الموصل، ومعهما قاضي القضاة أبو الحسين عمر بن محمد، فلما بلغوا تكريت أقام الراضي بها، وسار بجكم، فلقيه ناصر الدولة بالكُحَيْل على ستة فراسخ من الموصل، فاقتتلوا، واشتد القتال، فانهزم أصحاب ناصر الدولة، وساروا إلى نَصيبين، وتبعهم بجكم ولم ينزل بالموصل.

فلما بلغ نصيبين سار ابن حمدان إلى آمِد، وكتب بجكم إلى الراضي بالفتح، فسار من تكريت في الماء يريد الموصل، وكان مع الراضي جماعة من القرامطة، فانصرفوا عنه إلى بغداد قبل وصول كتاب بجكم، وكان ابن رائق يكاتبهم، فلما بلغوا بغداد ظهر ابن رائق من استتاره واستولى على بغداد، ولم يعرض لدار الخليفة.

(٣٥٤/٨) وبلغ الخبر إلى الراضي، فأُصعد من الماء إلى البر،

وسار إلى الموصل، وكتب إلى بجكم بذلك، فعاد عن نصيبين، فلما بلغ خبر عوده إلى ناصر الدولة سار من آمِد إلى نصيبين، فاستولى عليها وعلى ديار ربيعة، فقلق بجكم لذلك، وتسلل أصحابه إلى بغداد، فاحتاج أن يحفظ أصحابه، وقال: قد حصل الخليفة وأمير الأمراء على قصبة الموصل حسب.

وأنفذ ابن حمدان قبل أن يتصل به خبر ابن رائق، يطلب الصلح ويعجّل خمسمائة ألف درهم، ففرح بجكم بذلك، وأنهاه إلى الراضي، فأجاب إليه، واستقر الصلح بينهم، وانحدر الراضي وبجكم إلى بغداد. وكان قد راسلهم ابن رائق مع أبي جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد يلتمس الصلح، فسار إليهم إلى الموصل وأدى الرسالة إلى بجكم، فأكرمه بجكم وأنزله معه، وأحسن إليه، وقدّمه إلى الراضي فأبلغه الرسالة أيضاً، فأجابه الراضي وبجكم إلى ما طلب وأرسل في جواب رسالته قاضي القضاة أبا الحسين عمر بن محمد، وقلّده طريق الفرات وديار مضر: حرّان والرُّها وما جاورها وجند قِنّسرين والعواصم، فأجاب ابن رائق أيضاً إلى هذه القاعدة، وسار عن بغداد إلى ولايته، ودخل الراضي وبجكم بغداد تاسع ربيع الآخر.

ذكر وزارة البريدي للخليفة

في هذه السنة مات الوزير أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات بالرملة، وقد ذكرنا سبب مسيره إلى الشام، فكانت وزارته سنة وثمانية أشهر وخمسة (٣٥٥/٨) وعشرين يوماً، ولما سار إلى الشام استناب بالحضرة عبد اللّه بن علي النُّقُري.

وكان بجكم قد قبض على وزيره علي بن خلف بن طبّاب، فاستوزر أبا جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد، فسعى أبو جعفر في الصلح بين بجكم والبريدي، فتم ذلك، ثم ضمن البريدي أعمال واسط بستمائة ألف دينار كل سنة، ثم شرع ابن شيرزاد أيضاً، بعد موت أبي الفتح الوزير بالرملة، في تقليد أبي عبد اللّه البريدي الوزارة، فأرسل إليه الراضي في ذلك، فأجاب إليه في رجب، واستناب بالحضرة عبد اللّه بن علي النُّقُري أيضاً كما كان يخلف أبا الفتح.

ذكر مخالفة بالبا على الخليفة

كان بجكم قد استناب بعض قوّاده الأتراك ويُعرف ببالبا على الأنبار، فكاتبه يطلب أن يقلّد أعمال طريق الفرات بأسرها ليكون في وجه ابن رائق، وهو بالشام، فقلّده بجكم ذلك، فسار إلى الرحبة، وكاتب ابن رائق، وخالف على بجكم والراضي، وأقام الدعوة لابن رائق وعظم أمره.

فبلغ الخبر إلى بجكم فسيّر طائفة من عسكره وأمرهم بالجد وأن يطووا المنازل ويسبقوا خبرهم ويكبسوا بالرحبة، ففعلوا ذلك، فوصلوا إلى الرحبة في خمسة أيام، ودخلوها على حين غفلة من بالبا، وهو يأكل الطعام، فلما بلغه الخبر اختفى عند إنسان حائك، ثم ظفروا به فأخذوه وأدخلوه بغداد على جمل ثم حُبس، فكان آخر العهد به. (٣٥٦/٨)

ذكر ولاية أبي علي بن محتاج خراسان

في هذه السنة استعمل الأمير السعيد نصر بن أحمد على خراسان وجيوشها أبا علي أحمد بن أبي بكر محمد بن المظفر بن محتاج، وعزل أباه واستقدمه إلى بخارى.

وسبب ذلك أن أبا بكر مرض مرضاً شديداً طال به، فأنفذ السعيد فأحضر ابنه أبا علي من الصغانيان، واستعمله مكان أبيه، وسيره إلى نيسابور، وكتب إلى أبيه يستدعيه إليه، فسار عن نيسابور، فلقيه ولده على ثلاث مراحل من نيسابور، فعرفه ما يحتاج إلى معرفته، وسار أبو بكر إلى بخارى مريضاً، ودخل ولده أبو علي نيسابور أميراً في شهر رمضان من هذه السنة.

وكان أبو علي عاقلاً شجاعاً حازماً، فأقام بها ثلاثة أشهر يستعد للمسير إلى جُرجان وطبرستان، وسنذكر ذلك سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

ذكر غلبة وشمكير على أصبهان وألمَوت

وفيها أرسل وشمكير بن زيار أخو مرداويج جيشاً كثيفاً من الرّي إلى أصبهان، وبها أبو علي الحسن بن بُوَيه، وهو ركن الدولة، فأزالوه عنها، (٣٥٧/٨) واستولوا عليها، وخطبوا فيها لوشمكير، ثم سار ركن الدولة إلى بلاد فارس فنزل بظاهر إصطَخر، وسار وشمكير إلى قلعة ألمَوت فملكها وعاد عنها، وسيرد من أخبارهما سنة ثمان وعشرين [وثلاثمائة] ما تقف عليه.

ذكر الفتنة بالأندلس

وفي هذه السنة عصى أميّة بن إسحاق، بمدينة شَنْتَرِين، على عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس.

وسبب ذلك أنه كان له أخ اسمه أحمد، وكان وزيراً لعبد الرحمن، فقتله عبد الرحمن، وكان أمية بشَنْتَرِين، فلما بلغه ذلك عصى فيها، والتجأ إلى ردمير ملك الجلالقة، ودلّه على عورات المسلمين، ثم خرج أمية في بعض الأيام يتصيّد، فمنعه أصحابه من دخول البلد، فسار إلى ردمير فاستوزره.

وغزا عبد الرحمن بلاد الجلالقة، فالتقى هو وردمير هذه السنة، فانهزمت الجلالقة، وقُتل منهم خلق كثير، وحصرهم عبد الرحمن.